وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان ـ كلية التربية
قسم التأريخ

صناعة القرار في تاريخ المغرب الإسلامي

٢٢-٩٢هـ/٦٤٢-٧١٠م

دراسة تاريخية

رسالة تقدمت بها

هاجر بهزاد حسين

الى مجلس كلية التربية ـ جامعة ميسان

وهي جزء مِن متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف

الأستاذ الدكتور

غفران محمد عزيز الدعمي

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾

صَدَقَ اللهُ العليُّ العظيم

سورة ص، الآية ٦٠

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **(صنـــاعة القــرار في تاريخ المغرب الإسلامي ٢٢-٩٢هـ/٦٤٢-٧١٠م دراسة تاريخية)** المقدمة مِن الطالبة هاجر بهزاد حسين، جرى تحت اشرافي في كلية التربية/ جامعة ميسان، وهي جزء مِن متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

التوقيع:

المشرف: أ. د غفران محمد عزيز الدعمي

التاريخ:

بناءَ على التوصيات المتوفرة، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:

أ. د. محمد حسين زبون

رئيس قسم التاريخ

التاريخ:

إقرار الخبير اللغوي

أشهد أنّ هذه الرسالة الموسومة بـ **(صنـــاعة القــرار في تاريخ المغرب الإسلامي ٢٢-٩٢هـ/٦٤٢-٧١٠م دراسة تاريخية)** المقدمة مِن الطالبة هاجر بهزاد حسين الى مجلس كلية التربية/ جامعة ميسان، وهي جزء مِن متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، صالحة مِن الناحية اللغوية.

التوقيع:

الخبير اللغوي:

التاريخ:

إقرار الخبير العلمي

أشهد أنّ هذه الرسالة الموسومة بـ **(صنـــاعة القــرار في تاريخ المغرب الإسلامي ٢٢-٩٢هـ/٦٤٢-٧١٠م دراسة تاريخية)** المقدمة مِن الطالبة هاجر بهزاد حسين الى مجلس كلية التربية/ جامعة ميسان، وهي جزء مِن متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، صالحة مِن الناحية العلمية.

التوقيع:

الخبير العلمي:

التاريخ:

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة إننا أطلعنا على الرسالة الموسومة بـ **(صنـــاعة القـــرار في تاريخ المغرب الإسلامي ٢٢-٩٢هـ/٦٤٢-٧١٠م دراسة تاريخية)** المقدمة مِن الطالبة هاجر بهزاد حسين الى مجلس كلية التربية/ جامعة ميسان، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها ووجدنا إنها جديرة بالقبول نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

التوقيع: **التوقيع:**

الاسم: **الاسم:**

التاريخ: **التاريخ:**

التوقيع: **التوقيع:**

الاسم: **الاسم:**

التاريخ: **التاريخ:**

تمت المصادقة على هذه الرسالة مِن مجلس كلية التربية ـ جامعة ميسان

التوقيع

أ. م. د براق طالب شلش

عميد كلية التربية

التاريخ:

الإهـــــداء

إلى الذين لا يدانيهم في المودة حبيـــب

الذين بهم يعلو شأني وتحلو دنياي وتطيب

الى أمي وأبي . . . نبض القلب وسر الدعاء المستجاب

الى أخواتـــي . . . زهـــــرة العمر ورفيقات الدرب

الى زوجي . . . سندي وشريكي في حلم النجاح

الى عائلتي جميعاً . . . أنتم المعنى الحقيقي لكل إنجاز

أهديكـــم ثمرة هذا الجهد ، عرفاً ومحبة لا توصف

الباحثة

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أنّ هدانا الله، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خاتم النبيّين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وفي ختام هذا الجهد العلمي المتواضع، لا يسعني إلاّ أنّ أعبّر عن بالغ امتناني وعظيم تقديري لكل مِن وقف إلى جانبي، وساندني في إنجاز هذه الرسالة، التي ما كانت لترى النور لولا فضل الله وتوفيقه، ثم بفضل أيادي الخير التي أحاطتني بدعمها وإرشادها.

أتقدّم بوافر الشكر وخالص الامتنان إلى أستاذي المشرف الفاضل الأستاذ الدكتور **(غفران محمد عزيز الدعمي)**، لما غمرني به مِن علمه، وما أولاني إياه مِن صبر وتوجيهات سديدة، ولحرصه الدائم على أنّ تخرج هذه الرسالة بالمستوى العلمي اللائق، فله منّي جزيل الشكر، ودعائي الخالص بأن يحفظه الله ويسدّد خطاه.

كما أقدّم شكري الجزيل إلى جميع أساتذة قسم التاريخ في كلية التربية – جامعة ميسان، الذين كان لهم الفضل بعد الله في تعليمي وتوجيهي، ولكل رفقاء الدرب مِن زملائي وزميلاتي الذين شاركوني مسيرة الدراسة والبحث، متمنية لهم دوام الموفقية والنجاح.

ولا يفوتني أنّ أخص بالشكر والامتنان الى المدرس المساعد الأستاذ **(علاء صبري عاتي)**، لما قدّمه لي مِن دعم علمي، فله مني أسمى معاني الشكر والتقدير، سائلة الله أنّ يبارك له في علمه وعمله، وأن يجزيه خير الجزاء.

وإلى كل مِن ساعدني في توفير المصادر والمراجع والرسائل والأطاريح الجامعية، أتقدّم بخالص الامتنان، لا سيما مكتبة كلية التربية والمكتبة المركزية في جامعة ميسان، لما قدّموه لي مِن تسهيلات وجهود ملموسة كان لها الأثر البالغ في إنجاز هذا العمل.

وفي الختام، أسأل الله العليّ القدير أنّ يوفّقني لردّ الجميل لكل مِن أسدى لي النصح أم قدّم لي يد العون أم بادلني بكلمة طيبة، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وينفع به كل طالب علم.

والحمد لله ربّ العالمي

الباحثة

فهرست الموضوعات

العنوان	الصفحة
الاهداء	
الشكر والتقدير	
فهرست الموضوعات	أ–ب
المقدمة	ت–د
الفصل الأول مفهوم صناعة القرار وجذوره التاريخية	١–٤٤
المبحث الأول: مفهوم صناعة القرار في اللغة والاصطلاح	٢–٥
أولاً . صناعة القرار في اللغة	٢–٣
ثانياً . صناعة القرار في الاصطلاح	٣–٥
المبحث الثاني: مفهوم صناعة القرار في القران الكريم والحديث النبوي	٦–١٨
أولاً . صناعة القرار في القران الكريم	٦–١٥
ثانياً . صناعة القرار في الحديث النبوي الشريف	١٥–١٨
المبحث الثالث: صناعة القرار مِن صدر الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي ٤١هـ	١٩–٤٤
أولاً . صناعة القرار السياسي	١٩–٢٥
ثانياً . صناعة القرار العسكري	٢٥–٢٩
ثالثاً . صناعة القرار الإداري	٣٠–٣٦
رابعاً . صناعة القرار الديني	٣٦–٤٢
خامساً. صناعة القرار الحضاري	٤٢–٤٤

الفصل الثاني **صناعة القرار السياسي والعسكري في المغرب (٢٢-٩٢هـ)**	**٤٥-٩٥**
المبحث الأول: العوامل العامة في صناعة قرار الفتح الإسلامي	**٤٦-٥٤**
المبحث الثاني: صناعة القرار السياسي والعسكري في العصر الراشدي حتى عام ٤١هـ	**٥٥-٧١**
المبحث الثالث: صناعة القرار السياسي والعسكري في العصر الأموي حتى عام ٩٢هـ	**٧٢-٩٥**
الفصل الثالث **صناعة القرار الإداري والحضاري في المغرب (٢٢-٩٢هـ)**	**٩٦-١٢٦**
المبحث الأول: صناعة القرار الإداري	**٩٧-١٠٩**
المبحث الثاني: صناعة القرار الحضاري	**١١٠-١٢٦**
الخاتمة	**١٢٧-١٣٠**
قائمة المصادر والمراجع	**١٣١-١٤٦**
Abstract	**A – B**

المقدمـــــة

المقدمة

تُعدّ الدراسات التاريخية لأي أمة مِن أبرز الحقول المعرفية التي تسجّل ما مرت به تلك الأمة مِن تحولات سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية، وتعكس في الوقت نفسه مسارات تطورها الحضاري، وفي هذا السياق، برز في تاريخ المغرب الإسلامي بوصفه مركزاً فاعلاً في بناء الحضارة العربية الإسلامية؛ لما شهدته مِن حراك معرفي واسع، ونشاط علمي وفكري كبير، أسهم فيه فقهاؤها وعلماؤها ورجالاتها في إثراء الثقافة الإسلامية، وترسيخ جذور التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب.

مثّل العصر الإسلامي المبكر في المغرب، لاسيما في مدة الدراسة(٢٢-٩٢هـ) مرحلة تأسيسية حاسمة في تاريخ المنطقة، حيث برزت فيها ملامح صناعة القرار السياسي والعسكري والإداري والحضاري بشكل واضح، انعكاساً لطبيعة التحديات التي واجهتها الدولة الإسلامية في سعيها لترسيخ الحكم وبسط النفوذ، فقد كان للخلفاء والقادة والولاة دور مركزي في اتخاذ القرارات المصيرية، إذ لم تكن تلك القرارات ارتجالية، بل جاءت نتيجة دراسات وتقديرات سلطوية، ورؤية شاملة لمتطلبات المرحلة، ما يعكس المصلحة السياسية والادارية والحضارية لدى صناع القرار في ذلك الوقت.

تكمن الأهمية لهذه الدراسة في سعيها إلى التوغّل في عمق الحقب الزمنية الإسلامية الأولى، لإبراز القواسم المشتركة في التواصل التاريخي لصناعة القرارات السياسية والعسكرية خلال مرحلة الفتوحات الاسلامية، كما تسلّط الضوء على طبيعة تلك القرارات التي رافقت الحملات العسكرية الكبرى، التي كانت تصدر بتوجيه مباشر مِن الخلفاء، بدءا مِن عصر الخلافة الراشدة ومرورا بفترة الفتح ومرحلة حكم الولاة في بلاد المغرب.

وعلى الرغم مِن تعدد الكتابات التاريخية التي تناولت أحداث الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، إلاّ أنّ أغلبها لم يتناول موضوع صناعة القرار بوصفه مفهوماً متخصصاً في تاريخ المغرب الاسلامي، مِن هنا تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على هذا البُعد المهم، مِن خلال تتبع عومل نشأة وتطور القرار السياسي والعسكري والإداري والحضاري في المغرب خلال تلك الحقبة، وإبراز آليات اتخاذ القرار ومحدداته، وأثره في مسار الأحداث التاريخية.

وهنا يكمن الدافع في اختيار الموضوع من خلال الرغبة الأكاديمية الجادة في فهم آلية صناعة القرار في الفتح الإسلامي، بمختلف أبعاده السياسية والعسكرية والإدارية والحضارية، وهي أبعاد لم تُعالج في الدراسات السابقة بشكل واضح ، إذ تم ملاحظة غياب وجود مثل هذه الدراسات التي تُعنى بمفهوم صناعة القرار في سياق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، رغم وفرة الكتابات التي تناولت الشخصيات القيادية والفتوحات والمواجهات الكبرى، إلاّ أنّ معظمها اكتفى بسرد الوقائع دون تحليل عميق لكيفية اتخاذ القرار ودور الخلفاء والقادة في الاعداد له وتنفيذه.

لقد واجه البحث عدداً مِن التحديات، مِن أبرزها: غياب وجود دراسات مماثلة تتناول صناعة القرار مِن زاوية تحليلية مباشرة، إذ ركزت أغلب الكتابات على الجوانب التاريخية السياسية والحضارية دون الخوض في طبيعة القرار ومراحله وظروفه، فضلا عن افتقار العديد مِن المصادر والمراجع إلى توضيح دور صانع القرار في الفتح الإسلامي، حيث اكتفت بعرض تسلسل الوقائع التاريخية دون الإشارة إلى البنية العقلية والتنظيمية التي أفضت إلى اتخاذ القرار، كذلك عدم توفر دراسات تتناول صناعة القرار الإداري والحضاري، سواء على الصعيد السياسي أم العسكري، مما دفع الباحث إلى الاعتماد في قراءتها التحليلية للأحداث التاريخية، وتتبع المواقف والقرارات التي اتخذها الخلفاء والقادة في إدارة شؤون الحملات العسكرية، بدءاً مِن تعيين القادة أم عزلهم، مروراً بتوجيهاتهم في أثناء الحملات، وانتهاءً بتحديد مصير المناطق المفتوحة بما يحقق المصلحة العليا للدولة الإسلامية.

وعليه، فإن هذه الدراسة حاولت ان تسلط الضوء على هذا الجانب المهم في حقل الدراسات التاريخية، وذلك من خلال قراءة جديدة لآليات صناعة القرار في الفتح الإسلامي للمغرب العربي، مِن خلال الاطلاع على الفكر القيادي للدولة وطريقة اتخاذ القرارات وفق الشروط المختلفة، في إطار الظروف السياسية والاقتصادية والدينية المؤثرة.

اعتمدت الدراسة في منهج الكتابة على التقسيم الزمني والموضوعي حسب متطلبات البحث اذ جاء الفصل الاول والثالث معتمدا على الجانب الموضوعي في حين قسم الفصل الثاني على اساس الناحية الموضوعية والزمنية وذلك لوجود روايات تفصيلية دفعت نحو هذا التقسيم والشكل الذي وصلت اليه، مع الابتعاد قدر الامكان عن التفصيلات التاريخية الخارجة عن فكرة الموضوع، ومع ذلك اضطر البحث الى التطرق الى البعض منها لما لها من اهمية توضح الاثار المترتبة على صناعة تلك القرارات.

قسمت الدراسة الى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة حيث تناول الفصل الأول مفهوم صناعة القرار وجذوره التاريخية، من حيث دلالاته اللغوية والاصطلاحية، ثم ينتقل لاستعراض معالمه في النصوص الشرعية، القرآنية والحديثية، ويُختتم باستعراض لصناعة القرار بمختلف أنواعه في صدر الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي سنة (٤١هـ)، بما يشمل الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية والدينية والحضارية.

أمّا الفصل الثاني، فيتخصص بدراسة صناعة القرار السياسي والعسكري في المغرب خلال الحقبة الممتدة مِن سنة (٢٢هـ) حتى (٩٢هـ)، مع التركيز على العوامل العامة المؤثرة في توجيه مسارات القرار، وتحليل الأساليب التي انتهجتها الدولة الأموية في إدارة الفتح واتخاذ القرارات الحاسمة على الأرض.

ويتناول الفصل الثالث صناعة القرار الإداري والحضاري في المغرب خلال المرحلة ذاتها، وذلك عبر دراسة آليات اتخاذ القرارات الإدارية التي ساعدت في ضبط شؤون

المناطق المفتوحة، وكذلك إبراز مظاهر القرار الحضاري الذي مهّد لبناء منظومة ثقافية واجتماعية مستقرة في المغرب بعد الفتح وينتهي البحث بخاتمة تتضمن أبرز الآثار والنتائج المستخلصة مِن مجمل الدراسة.

ومما لا شك فأن دراسة صناعة القرار يعد مِن الموضوعات الصعبة؛ فالمصادر العربية الإسلامية لم تخصص كتباً لدراسة هذا الموضوع، بل أنصب اهتمامها في الأعم الأغلب على الجوانب السياسية وتواريخ الخلفاء، لذا يجب على الباحث أنّ يطلع على جميع المصادر العربية المتيسرة والبحث بين سطورها عن الجواب المتعلقة بهذا الموضوع، وعليه أنّ إلاّ يقتصر على ذلك فقط، بل يجب أنّ ينتقل مِن كتب التاريخ الى كتب الأدب، واللغة وغير ذلك حتى يتمكن الوصول الى مبتغاه في الإلمام بجوانب الموضوع الذي يدرسه لذا فقد تم الاعتماد على مصادر متنوعة ومختلفة، مِن أجل الإلمام بالموضوع وإظهاره بالصورة المطلوبة، فكان مِن جملة الكتب التي تم الاعتماد عليها كالآتي:

١. كتب التاريخ:

وتعد مِن أهم المصادر لأي دراسة تاريخي/ة إذ لا غنى عنها، نظراً لما تحتويه معلومات تقدمها للباحثين في مختلف جوانب الحياة العامة، ومن أهم هذه الكتب هو كتاب فتوح مصر واخبارها لأبن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ)، وهو مِن اوائل ما كتب عن فتح المغرب، كما اختص كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبن عذاري (ت٧١٢هـ) بتاريخ المغرب بأسلوب سردي دقيق، كما ويعد كتاب تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ) مِن المصادر المغربية التي اعتمدتها الدراسة.

كما واعتمدت الدراسة في كثير من المواضع على مصادر تاريخية أخرى على الرغم مِن أنّ مؤلفيها مِن خارج المغرب ومن هذه المصادر كتاب تاريخ اليعقوبي لمؤلفه احمد بن أبي يعقوب (ت٢٩٢هـ)، كما شكل كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت٣١٠هـ)

مورداً مهماً مِن موارد الدراسة، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي(ت٣١٤هـ)، وكتاب الكامل في التاريخ لأبن الأثير (ت٦٣٠هـ)، والبداية والنهاية لابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وغير ذلك مِن المصادر.

٢ . كتب التراجم:

كما شكلت كتب التراجم والطبقات مورداً مهماً مِن مصادر الدراسة التي أفاد منها الباحث لرفد دراسته بالمادة التاريخية، ككتاب الطبقات الكبرى لأبن سعد (ت٢٣٠هـ) الذي يعد مِن أقدم كتب التراجم، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبن الأثير(ت٦٣٠هـ)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبن خلكان (ت٦٨١هـ)، كما أفادت الدراسة مِن مؤلفات الذهبي(ت٧٤٨هـ) مثل : كتاب سير اعلام النبلاء وكتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام وكتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال، فضلاً عن كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (ت٧٦٤هـ) الذي تم الاعتماد عليه.

٣ . كتب الأنساب:

اكتسبت كتب الأنساب أهمية كبيرة في إغناء الدراسة فقد حوت على معلومات قيمة عن هذه الدراسة، كتاب أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ)، الذي تمت الاستفادة منه طوال الفصول ومباحث الدراسة. في تراجم بعض الشخصيات الواردة في الرسالة.

٤ . كتب اللغة:

ولبيان ما أبهم مِن الألفاظ والمفردات الواردة في البحث كان لابدَّ مِن الرجوع الى المصادر اللغوية، إذ أنّ أكثر المصطلحات لزم علينا إرجاعها الى معناها اللغوي قبل البدء بدراستها تاريخياً، ومن أهم الكتب التي تم الرجوع إليها هو كتاب العين للفراهيدي (ت١٧٥هـ)، والصحاح للجوهريِ (ت٣٩٣هـ)، ولسان العرب لآبن

منظـور(ت٧١١هـ)، وكتـاب القـاموس المحـيط للفيـروز آبـادي (ت٨١٧هـ)، وتـاج العروس للزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، وقد أستفاد البحث منها في الفصل الأول تحديداً.

٥ . كتب الجغرافية والبلدان:

كما حددت كتب الجغرافية والبلدان بعض الأماكن التي يتم ذكرها في طيات الرسالة، ومنها كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب للبكري (ت٤٨٧هـ)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) الذي يُعدّ مِن أضخم الكتب الجغرافية ذات الصفة الشمولية بين الجغرافية والعلوم الأخرى، والتي أفادت الدراسة في أغلب التراجم الخاصة بالبلدان والمواقع.

٦. المراجع الثانوية العربية:

أسهمت المراجع الثانية العربية والمعربة في إغناء الرسالة بالمادة العلمية وكان أبرزها، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لمؤلفه احمد بن خالد الناصري المعروف بالسلاوي (ت١٣١٥هـ) والذي يعد مِن المصادر التي افادت الدراسة في أغلب فصولها، ومؤلفات حسين مؤنس (فجر الأندلس) و(فتح العرب للمغرب)، وكتاب عبد الرحمن علي الحجي (التاريخ الأندلسي مِن الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة)، وغير ذلك مِن المؤلفات.

لقد جاءت هذه الرسالة لتعطي صورة واضحة عن صناعة القرار في المغرب الإسلامي (٢٢-٩٢هـ) لتسهم بذلك في رفد المكتبة العربية ببعض الجوانب عن النظم الإسلامية في تلك العصور، ولا أدعي الكمال فالكمال لله، كما أنّ هذه الرسالة قابلة للنقد الذي يغنيها والتعديل الذي يطورها نحو الافضل، وهو ما التمسه مِن اعضاء لجنة المناقشة، وفي الختام نسأل الله أنّ أكون قد وفقت في تناول هذا الموضوع بالشكل الصحيح، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين.

الفصـل الأول

مفهوم صناعة القرار وجذوره التاريخية

المبحث الأول: مفهوم صناعة القرار في اللغة والاصطلاح

أولاً ـ صناعة القرار في اللغة

ثانياً ـ صناعة القرار في الاصطلاح

المبحث الثاني: مفهوم صناعة القرار في القران الكريم والحديث النبوي

أولاً ـ مفهوم صناعة القرار في القران الكريم

ثانياً ـ صناعة القرار في الحديث النبوي الشريف

المبحث الثالث: صناعة القرار مِن صدر الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي ٤١هـ

أولاً ـ صناعة القرار السياسي

ثانياً ـ صناعة القرار العسكري

ثالثاً ـ صناعة القرار الإداري

رابعاً ـ صناعة القرار الديني

خامساً ـ صناعة القرار الحضاري

الفصل الأول

مفهوم صناعة القرار وجذوره التاريخية

تعد صناعة القرار مِن الموضوعات المهمة التي أثرت في الحياة العامة لتاريخ الدولة العربية الإسلامية الجوهرية التي شكلت محوراً أساسياً في حياة الأفراد والجماعات؛ لما له مِن أثر في توجيه المسارات واختيار البدائل وتحقيق الأهداف.

وفي السياق الإسلامي، لم تكن صناعة القرار مجرد نشاط عقلي، أم أداري، بل كانت تركز على أسس مستمدة والقرآن والسنة النبوية، ومتجسدة في القيادة الإسلامية منذ بواكير الدعوة الإسلامية، ومروراً بعصر الرسالة، ثم عصر الخلافة الراشدة.

ويهدف هذا الفصل الى تسليط الضوء على مفهوم صناعة القرار مِن خلال تتبع جذوره اللغوية والاصطلاحية، واستعراض تطوراته ضمن المنظور الإسلامي إذ يتناول صناعة القرار في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مستقرءاً النصوص التي تعكس آليات اتخاذ القرار الالهي والنبوي.

ويتوسع الفصل ليشمل الحقبة الممتدة مِن صدر الإسلام الى نهاية عصر الخلافة الراشدة (٤١هـ)، كمرحلة محورية في التاريخ الإسلامي، فقد شهدت صناعة قرارات مصيرية، كان لها أثر في تشكيل الهوية الإسلامية فصارت منهجاً متبعا في الكثير من القرارات الاسلامية اللاحقة.

ومن خلال هذا يسعى الفصل الى بناء رؤيا متكاملة عن صناعة القرار في الإسلام مِن حيث المفهوم، والمرجعية والتطبيق، مع بيان خصائصها التي تميزها.

المبحث الأول

مفهوم صناعة القرار في اللغة والاصطلاح

تعد صناعة القرار مِن المفاهيم الحيوية التي ارتبطت بمختلف مجالات الحياة الإنسانية؛ لما لها مِن دور محوري في توجيه السلوك الفردي والجماعي نحو تحقيق أهداف محددة، وقد شغل مفهوم صناعة القرار هذه اهتمام المفكرين والباحثين؛ لما تنطوي عليه مِن أبعاد عقلية وتنظيمية تتطلب قدراً عالياً مِن الوعي والدقة، وتتنوع دلالات هذا المفهوم بحسب السياق الذي يُستخدم فيه، إذ تتباين بين المدلولات اللغوية التي تُحيل إلى الفعل والإرادة، وبين التعريفات الاصطلاحية التي ترتبط بعالم الإدارة والسياسة والاجتماع وغيرها مِن الحقول المعرفية.

وانطلاقاً مِن أهمية هذا المفهوم، كان مِن الضروري الوقوف عند جذوره اللغوية ومضامينه الاصطلاحية تمهيداً للخوض في أبعاده التطبيقية وتحولاته في الواقع العملي.

أولاً . صناعة القرار في لغة:

أن مصطلح صناعة القرار هو مصطلحاً مركباً يتكون مِن كلمتين "صناعة" و"قرار"، ولكل منها دلالتهما اللغوية، ومن أجل الوقوف على المعنى اللغوي الدقيق لهذا المصطلح المركب لا بد مِن تحليل كل مفردة على حدة، وذلك بالرجوع الى المعاجم اللغوية لفهم هذا المصطلح.

وردت كلمة صناعة في عدد مِن المعاجم اللغوية هي مأخوذة مِن جذر الفعل الثلاثي "صَنَعَ" الذي يدل على الاتقان والمعالجة المحكمة، فكل عمل يتقنه الإنسان هو صناعة[١]، والصاد والنون والعين هي أصل وهو ما يدل على معالجة الشيء بإحكام[٢]،

(١) الجوهري، الصحاح في اللغة، ج٣، ص١١٣٣.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٣، ص٣٢٣.

والصناعة هي الحذق بالحرفة، أيّ أنّ يحكم الشيء ويتم أتقانه[١]، وجاء في مادة "صنع": الصناعة: هي الحرفة والاتقان[٢].

ويتبين أنّ "الصناعة" لا تطلق على الفعل المجرد، بل على الفعل المتقن والمحكم، سواء أكان مادياً كالصناعة الحرفية، أم معنوياً كصناعة الرأي والتفكير.

أمّا القرار في اللغة فهو ضد الزوال، قيل قرَ في مكانه أيّ ثبت[٣]، والقاف والراء أصل، وهو ما يدل على ثبات الشيء وأستقراره[٤]، والقرار هو المُستقر، يقال: قرَ في المكان أيّ ثبت وسكن[٥]، كما عرفه بأنه المقام، والمستقر، والثبات[٦].

ويُفهم مِن هذه التعاريف أنّ القرار هو نتيجة النهائية المستقرة لعملية فكرية أم سلوكية، تتضمن التثبت بعد تقلب أم تردد السلوك.

وعند ضم المعنيين يتبين أنّ "**صناعة القرار**" في اللغة تعني عملية عقلية متقنة، هدفها الوصول الى رأي ثابت ومستقر بعد النظر والتأمل والموازنة بين البدائل والخيارات، فمفردة "صناعة" تدل على المهارة والاتقان في إداء العمل، ومفردة "القرار" الثبات في اختيار معين، ثم صناعة القرار هي: احكام العمل العقلي الذي ينتهي الى الاستقرار على رأي أم اختيار محدد مِن بين اختيارات متعددة.

ثانياً ـ صناعة القرار في الاصطلاح:

تعود جذور هذا مفهوم صناعة القرار في الفكر الإسلامي الى ما ذكره ابن خلدون[٧] هو تدبير عقلي منظم، قائم على النظر في العواقب، واختيار ما فيه مصلحة للجماعة، أمّا

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٢٨.
(٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٣١١.
(٣) الجوهري، الصحاح في اللغة، ج٢، ٦٢٩.
(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٥، ص٢٧.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٧.
(٦) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١١٩٧.
(٧) المقدمة، ج١، ص٢٥٦.

كمصطلح فهو مِن المفاهيم الحديثة نسبياً، وقد تطور استخدامه ضمن العلوم الاجتماعية والسياسية والنفسية والادارية، فمن وجهة نظر علم الاجتماع أنّ مفهوم صناعة القرار: هو مزيج مِن العقل والمنظومة النفسية والاجتماعية(١).

ومن منظور السياسة فأن مفهوم صناعة القرار: هو عملية منهجية تعني بتحليل المواقف والمشكلات وجمع المعلومات واختيار أفضل البدائل الممكنة، لتحقيق الأهداف المنشودة(٢).

أمّا مفهوم صناعة القرار في علم النفس: فهو سلسلة مِن الخطوات التي تبدأ بتشخيص المشكلة، ثم البحث عن البدائل، ليتم تقييما، لكي يتخذ القرار الأفضل(٣).

كما عُرف مفهوم صناعة القرار مِن وجهة نظر علم الادارة: فهو عملية مستمرة ومتصلة ومتكاملة، تهدف الى اختيار أفضل البدائل الممكنة لحل مشكلة معينة في ضوء اهداف محددة(٤).

واستناداً الى التعريفات الاصطلاحية يتضح أنّ مفهوم صناعة القرار هو عملية تحليلية ممنهجة، تتضمن وجود مشكلة يتم تحديدها، ثم يتم جمع معلومات عليها، وتحليل البدائل، بعد ذلك اختيار الحل أم الرأي الأنسب، الذي يحقق الأهداف المرجوة في المجالات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والادارية...

والجدير بالذكر أن العِالم الأمريكي هربرت سيمون قد أهتم بموضوع اتخاذ القرارات الإدارية من خلال كتاباته، وكان في طليعتها كتابه "السلوك الإداري" الذي صدر سنة ١٩٤٧م، والذي يُعد البداية الحقيقية لتوظيف مفهوم صناعة القرار في ميدان الإدارة، فقد

(١) الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١٣٦.
(٢) عبد الفتاح، صنع او اتخاذ القرار، ص١١.
(٣) ماهر، السلوك التنظيمي، ص٣٤١.
(٤) السلمي، اتخاذ القرارات الادارية، ص١٥.

أوضح سيمون في هذا الكتاب أن عملية اتخاذ القرارات تمثل المدخل الرئيس لفهم الإدارة، لأنها تعكس في جوهرها مظهرًا من مظاهر السلوك الإنساني داخل التنظيمات الإدارية، ومن هنا يُعَدّ سيمون أول من استخدم مفهوم صناعة القرار بصورة علمية في الدراسات الإدارية، حيث ركّز على أن نجاح الإدارة يقاس بمدى كفاءة القرارات المتخذة وانسجامها مع الأهداف والسياسات العامة للمؤسسة، كما بيّن أن القرار الإداري لا يمكن أن يكون رشيدًا بنسبة تامة، لأن متخذ القرار لا يمتلك جميع المعطيات ولا يستطيع الإحاطة بكل البدائل والحلول الممكنة، مما يفرض الاكتفاء بالحلول المقبولة بدلاً من البحث عن الحلول المثالية، وقد فرّق سيمون بين القرارات الهادفة وغير الهادفة، والرشيدة وغير الرشيدة، والمبرمجة وغير المبرمجة، في محاولة لوضع إطار نظري متكامل لصناعة القرار الإداري(١).

وبناَ على ذلك يظهر أنّ المعنى الاصطلاحي لمفهوم صناعة القرار لم يخرج مِن الإطار الدلالي الأصيل الذي وضعه اللغويون بل بني عليه ووسعه ليشمل سياقات مختلفة تشمل أتقان العمل الممنهج لاختيار مستقر مِن بين خيارات متعددة، لتحقيق الغاية المقصودة مِن وراء صناعة القرار، كان أنّ صناعة القرار تشمل الدوافع والأغراض التي تسبق هذا الفعل، مما يجعل فهم دوافعها وأهدافها ضرورة لفهم جوهر القرار نفسه وأبعاده المستقبلية.

(١) سيمون، السلوك الإداري، ص١٥–١٨.

المبحث الثاني

مفهوم صناعة القرار في القران الكريم والحديث النبوي

لم يكن الوحي الإلهي، متمثلاً بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بمنأى عن هذا مفهوم صناعة القرار؛ بل نجد فيهما إشارات وتوجيهات واضحة تُعنى ببناء القرار الرشيد وصيانته مِن الانفعال، وذلك مِن خلال تأكيد مبدأ الشورى، وبيان خصائص القائد، وتحديد معايير الصواب والخطأ في الاختيار والمواقف.

وقد جسّدت النصوص القرآنية والسنّة النبوية نماذج متعددة لصناعة القرار في مختلف الظروف، سواء في السلم أم الحرب، في السياسة أم القضاء، مما يُظهر اهتمام الإسلام العميق بهذا الجانب الحساس مِن حياة الإنسان والمجتمع، وعليه فإن دراسة هذا المفهوم في ضوء النصوص الشرعية تسهم في الكشف عن الأسس المنهجية لاتخاذ القرار، وتُبرز القيم الأخلاقية والمعرفية التي يجب أنّ تحكمه.

ومن هذا المنطلق، يهدف هذا الموضوع إلى بيان مفهوم صناعة القرار كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الوقوف على أبرز المبادئ التي وجهت صناعة القرار في ضوء الهدي الإلهي والنموذج النبوي، بما يسهم في بناء رؤية إسلامية متكاملة.

أولاً ـ مفهوم صناعة القرار في القران الكريم:

يعد صناعة القرار أحدى العمليات الأساسية في حياة الإنسان، إذ تتوقف عليه ما ستكون عليه أفعاله ومصيره في الدنيا والآخرة، وقد أولى القرآن الكريم مفهوم "صناعة القرار" عناية كبيرة، فجاءت آياته موجهة لعقل الإنسان وقلبه، وتحمل المسؤولية، وقد ظهرت صناعة القرارات منها في سياقات مختلفة، إذ حدد القرآن الكريم عناصر صناعة القرار، وهما العقل والتفكير وجعلهما أساساً لذلك، وقد وردت جملة مِن الآيات التي تعلو الإنسان مِن شأن التفكير والتدبر، كمدخل في صناعة القرار، قال

تعالى:﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وهذه دعوة للتأمل والنظر وهو مِن اعظم وسائل الحق واتخاذ الموقف الرشيد[3]، والعقل مناط التكليف، وبه يعرف وجه الصواب مِن الخطأ[4]، فالقرار الواعي هو الذي يستخدم فيه الإنسان عقله لاختيار أفضل القرارات، وبالتالي يؤدي الى الإيمان والتقوىوالنجاح في صناعة القرار.

أشارت آيات القرآن الكريم على ضرورة التوكل بعد العزم على صناعة القرار، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[5]، وهذه دلالة على الترتيب في اتخاذ القرار، فالعزم يسبق التوكل، أيّ أجتهد أولاً، ثم فوض الأمر لله[6]، ولا يعني بأن التوكل هو ترك الأسباب في صناعة القرار بل هو اعتماد على الله (ﷻ) بعد بذل الوسع[7].

وجاء النص القرآني ليبين ضرورة تحمل المسؤولية كنتيجة طبيعية لأي قرار يتخذه الإنسان، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[8]، فكل إنسان رهين بأعماله وقاراته، وما يختاره بنفسه مِن افعل فلا يلام غيره[9].

تنوعت أشكال صناعة القرار في القران الكريم منها ما هو قرار صناعته فردية، ومناه ما هو قرار صناعته جماعية، فالقرارات الفردية وهو ما يتخذه الإنسان في شؤونه

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.
(٢) سورة الرعد، الآية ٣.
(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص١٢٦.
(٤) الرازي، التفسير الكبير، ج٢، ص١٨٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
(٦) الطوسي، التبيان، ج٤، ص١٢٧.
(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٤٢.
(٨) سورة المدثر، الآية ٣٨.
(٩) الطبري، جامع البيان، ج٢٩، ص٤٥؛ أبن كثير، تفسير أبن كثير، ج٤، ص٤٤٠.

الخاصة، مبنياً الى استعمال احتوى العقل، كقصة نبي الله أبراهيم(عليه السلام)في تأمله للأجرام السماوية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، ترد هذه الآيات أسلوب نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في كلامه مع قومه، الذين كانوا يعبدون الاجرام السماوية، مستخدماً الاسلوب العقلي للصول الى الحقيقة، إلاّ ما فعله (عليه السلام) هو نوع مِن صناعة القرار الفطري، لا مجرد مجادلة، إذ بينت الآيات أنه ينظر ويتأمل ويزن الأمور بنفسه، ويمارس عبادة التفكير، ويصنع القرار في التوحيد بنفسه[2]، ويمكن القول أنّ إبراهيم (عليه السلام) قد مارس صناعة القرار العقائدي منفرداً، مستنداً في ذلك الى الرصد والتأمل.

أمّا القرارات الجماعة فهي التي يتم صناعتها بشكل جماعي، ومن النماذج هذه القرارات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم القرار الذي صنعة إخوة يوسف (عليه السلام) في التخلص منه، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[3].

وردَ أنّ القرار نطق بصيغة جمع، أيّ أنّ إخوة يوسف اجتمعوا لصناعة قرار جماعي يتعلق بمصيره، اذ أنّ الأمر قد حصل بناءً على مجلس شورى داخلي، لا عن قرار

(١) سورة الأنعام، الآيات ٧٦-٧٨.

(٢) الطباطبائي، الميزان، ج٧، ص٢١٨.

(٣) سورة يوسف، الآيات: ٨-١٠.

فردي[١]، مما يدل بوضوح على أنّ القرار أتخذ بشكل جماعي، بعد تداول وتبادل الآراء، وهو مثال قرآني بارز لصناعة القرار الجماعي.

كما احتوى القران الكريم على جملة مِن القرارات السياسية المهمة التي تختص بالذات الالهي التي صدر منها موضوع الخلافة الذي يراد به مستوى الكمال المقدر والمستطاع للذات الإنسانية الفردية، حيث يستطيع الإنسان أنّ يبلغه في حياته الفردية ويقترب منه كل فرد بقدر عبادته لله وسعيه في الدنيا، وبذلك فإن الخلافة هي المستوى المقدر والمستطاع للمجتمع الإنساني الذي وجب عليه أنّ يسعى للوصول إليه في عمر الجيل الواحد، كما لا تتم عبودية الإنسان الاجتماعية لله عز وجل إلاّ بعد تحقيق العبوديات الفردية، كذلك لا يمكن إقامة خلافة الله في الأرض على المستوى الاجتماعي إلاّ بعد وجود الأفراد الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعمل كل منهم لكي يكون خليفة الله عز وجل في نفسه وعندما يتكون على الارض مجتمع مِن خلفاء الله عز وجل[٢]، وهذا ما أكده في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، ومن خلال هذه الآية نجد أنّ الله سبحانه وتعالى عبّر عن الأمر المستقبلي باسم الفاعل جاعل الدال على الثبوت والاستقرار، ولم يعبر بالفعل المضارع سأجعل، أيّ الدال على ما سيحدث؛ لأن الأمر ثابت مستقر مفروغ منه ولا راد له لأن ما اراده الله واقع، فبما انّه سبحانه قدر ذلك واراده فقد اختار له كلمة تدل على الإنجاز والتحقيق، ولذلك قال "**إني جاعل**" والمراد بالأرض في الآية المعروفة التي خلقها الله وهيأها وجهزها لحياة الخليفة عليها، بما فيها مِن مظاهر الحياة المختلفة، وكذلك تدل

(١) الطبري، مجمع البيان، ج١٥، ص٥٦٤.

(٢) دسوقي، استخلاف الإنسان في الأرض، ص٩٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠.

جملة "**إني جاعل في الارض خليفة**" على أنّ هذا الخليفة ستكون أقامته في الجنة مؤقتة، لانّه لم يخلق للإقامة فيما في المدة الأولى مِن حياته، إنما خلق ليكون خليفة في الأرض وليسكن في الأرض وليعمرها ويصلحها(١).

وتأسيساً على ما تقدم فأن الخلافة في الآيات أمر يخص الإنسان كنوع، وليس يخص آدم كنفس أم كفرد، بل بوصفه ممثلا لنوعه، فإن المقصود بذلك هو الالفاظ التي يطلقها الإنسان في حياته الدنيا منذ خلقه إلى يوم القيامة، لتمييز الأشياء بعضها عن بعض ثم تكون المعرضات التي عرضت على الملائكة، فلم يستطيعوا أنّ يعرفوا اسماءها، وهي نماذج للأشياء والأحياء التي يستخدمها الإنسان في حياته الدنيا التي هي مدة الخلافة، سواء كانت حيوانات أم نباتات أم جمادات طبيعية أم مصنوعات أم غير ذلك، منذ آدم إلى أنّ يرث الله الدنيا وما عليها يدخل في ذلك خصائص هذه الاشياء وعناصرها وكيفياتها وسائر صفاتها(٢).

وقد جاءت دلالة القرار في سياسة الاستخلاف في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٣)، وجاءت عبارة "ليستخلفهم"، متضمنة معنى الاصطفاء لاختصاص تلك الأمة بذلك الاستخلاف بقرينة قوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(٤)، والمراد باستخلافهم في الارض كما استخلف الذين مِن قبلهم عقد مجتمع مؤمن صالح منهم

(١) الصلابي، قصة بدء الخلق وخلق آدم (عليه السلام)، ص٣٣٣.
(٢) الاستخلاف والعمران في ضرورة، ص٨-٩.
(٣) سورة النور، الآية ٥٥.
(٤) سورة النور، الآية ٥٥.

يورثون الأرض كما ورثها الذين مِن قبلهم مِن الأمم الماضين أولى القوة والشوكة، وهذا الاستخلاف قائم بمجتمعهم الصالح لبعض الانبياء(١).

ومن بين الآيات القرآنية التي تشير إلى وجود قرارات إلهية سياسية تشتمل الأوامر التي أعطاها لرسوله الكريم (ﷺ) في إداء رسالته في ظل الدعوة العلنية ومعارضة قريش لذلك، قال تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾(٢)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾(٣).

ويظهر مِن السابق أنّ صناعة القرارات التي تخص البشرية هي صناعة الهية جاءت بآراء واضحة بعدما توافرت العوامل والاسباب في الوقت والمكان المناسب، فضلا عن الاختيار المناسب.

ومن نماذج صناعة القرار التي ورد في القران الكريم هي القرارات التي خول فيها الإنسان التمكين في الأرض، فالله (ﷻ) خلق للإنسان كل شيء وجعل القرارات المهمة بيده ومن ضمنها القرارات الاقتصادية، جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(٤)، فالحق يثبت للإنسان في الأرض التي يحييها وليس لمجرد امتلاكها ملكية خاصة مطلقة، وإنّ كان مِن الجائز في نظره أنّ يثبت ذلك الحق في ملكية الأرض للفرد إذا ثبتت الملكية الخاصة للأرض في بعض مراحل ما بعد إحيائها (٥)، وأشار الإمام جعفر (عليه السلام) الصادق في ذلك بقوله: "**أيما قوم أحيوا شيئاً مِن**

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، ١٥: ٧٨.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٤-٩٥.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢١٥-٢١٧.

(٤) سورة الأعراف، آية ١٠.

(٥) الحكيم، دور الفرد في الاقتصاد الإسلامي، ص٢٦-٢٧.

الأرض وحرروها فهم أحق بها وهي لهم"[1]، فإن للإنسان هو صاحب المسؤولية في إدارة الأرض وإنتاجها، وإنّ ملكية الأرض في ضوء الإسلام على ما يرى بعض الفقهاء هي ملكية عامة تعود في أصلها إلى ولي الأمر الإمام وما الملكيات الأخرى إلاّ ملكيات استثنائية طارئة على الأرض بعد أحيائها[2].

تتضح معالم القرارات الاقتصادية الإلهية مِن خلال خطة يودعها الله في عقول الناس، ويمكن ملاحظة ذلك مِن خلال قصة نبي الله يوسف عليه السلام الذي اعتمد على أول خطة اقتصادية في تأريخ البشرية، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[3].

أذ بين يوسف (عليه السلام) لملك مصر ما يجب عليه أنّ يعملوه لمواجهة ازمة ما دلت عليه الرؤيا مِن الخطر على الامة واهلها قبل وقوع تأويلها مِن زراعة القمح سبع سنين على تباعاً بلا توقف، ثم بادخار ما يحصد منه كل زراعة في سنابله وذلك للمحافظة علية مِن تلف والرطوبة وذلك حتى يكون القمح الغذاء للناس وتبن للحيوانات وقت الحاجة إليه إلاّ قليلاً[4].

كما وتعد الشورى مِن أبرز الأساليب التي ارساها القرآن الكريم لصناعة القرار قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[5]، وهذه تدل على أصالة مبدأ الشورى في الحياة الاجتماعية الإسلامية، وعلى وجه الخصوص في الامور التي تتعلق بالمصلحة العامة،

(١) الكليني، الكافي، ج٥، ص٢٧٩.
(٢) الحكيم، دور الفرد في الاقتصاد الإسلامي، ص٣١.
(٣) سورة يوسف، الآية ٤٧-٤٨.
(٤) صوان، أساسيات الاقتصاد الإسلامي، ص٤٠.
(٥) سورة الشورى، الآية ٣٨.

وقد أولى المفسرون هذه الآية أهمية خاصة؛ لما لها مِن أهمية في أطار تحديد دور الأمة في الشأن العام وموقع القيادة في صناعة القرار، جاء أنّ الشورى هنا لا تأتي بمعنى التشريع أو الحكم المطلق، بل هي تنظيم الآمور المشتركة في أطار مجتمع مؤمن(١)، كما هو مبدأ الشورى وإنّ ورد في سياق المدح، إلاّ انّه لا يعد مصدراً لتشريع السلطة، وإنما هو وسيلة تنظيمية حيث لا يوجد نص قاطع(٢).

يتضح أنّ الشورى مِن وسائل صناعة القرار في نطاق إدارة المجتمع، وتمارس ضمن الحدود التي لا تتعارض مع النصوص القطعية فهي تشاور في دائرة المباح أم غير المنصوص، وتسهم في تفعيل المشاركة والتكافل الجماعي في صناعة القرار.

ومن نماذج صناعة القرار الي وردت في القرآن الكريم هو صناعة القرار العمراني، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٣)، أيّ جعلكم عُماراً في الأرض(٤)، وعمركم فيها واستبقاكم مِن العمر، وأقدركم على عمارتها وأمركم بها، وجعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم(٥)، وفي هذه الآية مركزية في نشوء مفهوم العُمران، تبين ثلاثةَ مكونات أساسية اولها: فعل العُمران، والثانية: المقصود بهذا الفعل الإنسان بصيغة الجمع، والثالثة أنّ فضاء هذا الفعل الأرض بما تحويه وما يعلوها(٦).

لقد جاء مفهوم صناعة القرار الحضاري أيضاً في القرآن الكريم مِن خلال الإنسان في الأرض، قال سبحانه عن لسان إبراهيم (عليه السلام): ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

(١) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٧٢.
(٢) الصدر، الإسلامي يوقود الحياة: الشورى في الإسلام، ص٩.
(٣) سورة هود، الآية ٦١.
(٤) الطبري، جامع البيان، ج٤، ص٣٦٨.
(٥) البيضاوي، انوار التنزيل، ص١٣٩.
(٦) يحيى، القران والعمران قراءة في المفاهيم المؤسسة، ص٢٢.

عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1]، حيثُ أسكنَ إبراهيمُ (عليه السلام) وأهلَه وابنَه إسماعيل بوادي بجوار الكعبة، وذلك بوحي مِن الله تعالى، ثمَّ دعا ربَّه أنّ يهيِّئَ لذريَّته ما يعينهم على القيام بعبادة الله تعالى، مِن أمْنٍ بجوار البيت الحرام، وتعارُف ومحبَّة بينهم وبين الوافِدين عليْهم مستقبلاً، وأن يرزُقَهم مِن الثمرات ما يحقق حاجتهم مِن الطعام والعيش الكريم، وبذلك وضع النبيّ إبراهيم (عليه السلام) الأسُس المادِّيَّة والروحيَّة للعمران البشري، وكأني به عليْه الصَّلاة السَّلام يضع تخطيطاً مستقبليّاً لعُمران أمَّة مسلمة ذات رسالة حضاريَّة متميّزة[2].

ولكي يتخذ قرار العمران الحقيقي في الأرض؛ لا بدّ مِن بيان المفاهيم المتعاضدة لمفهوم العمران وتحقيقها وفق ما جاء في القرآن، فالعُمران بالمفهوم القرآني، لا يمكن أنّ يُفهَم في أبعاده المختلفة والمتعاضدة مِن دون فهم مفهوم الاستخلاف للإنسان صانع القرار، والاستخلاف وفق الاصطلاح هو تمكين الله للبشر عامة ولبعضهم خاصة في أحلالهم محل مِن كان قبلهم في ملكية الأرض والمال ويكون الاستخلاف خاص، حيث يكون ذلك الاستخلاف في الافراد والامم، أمّا مِن حيث الافراد، فهو استخلاف في الرئاسة والزعامة والريادة[3]، فقد جعل الله آدم خليفة في الارض وجعل الله داود خليفة في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[4].

وقد يسمى المستخلف خليفة كما يسمى داوم المستخلف إماما مثل تسمية إبراهيم (عليه السلام) لبني اسرائيل، قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[5]، أنّ

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

(٢) كالو، فلسفة العمران الحضاري من منظور قراني، ص٢٣.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٧٩.

(٤) سورة ص، الآية ٢٦.

(٥) سورة السجدة، الآية ٢٤.

المعني الخليفة هنا في آدم (عليه السلام)، وهو خليفة الله في إمضـاء حكمه وأوامره[١]؛ لانّه اول رسول إلى الارض كما في حديث أبي ذر قال: "قلت يا رسول الله انبيا كان مرسلاً؟ قال: نعم"[٢].

ويتضح أنّ القرآن الكريم قد أشار الى معنى صناعة القرار في مختلف المجالات السياسية، والاقتصادية، والحضارية فضلاً عن أهمية الشورى والمشاركة في صنع بعض القرارات في حين أنّ هناك قرارات أخرى تأتي فردية وفي الغالب تنعكس بنتائج سلبية عدا القرارات الالهية الواضحة مِن خلال النصوص القرآنية.

ثانياً- صناعة القرار في الحديث النبوي الشريف:

تُعد صناعة القرار مِن أهم المهارات القيادية التي تبنى عليها نهضة الأمم، واستقرار المجتمعات، ولاسيما حينما ترتبط بقيادة تستمد مِن الوحي الإلهي والهدي النبوي، إذ تميزت السنة النبوية بمنهجية دقيقة في اتخاذ القرارات منها التدرج في صناعة القرار، ومن الشواهد على ذلك هو تصرف الرسول محمد (ﷺ) في قضية المنافقين، إذ لم يصدر حكماً مباشراً بقتل عبد الله بن أبي سلول[٣] رغم خيانته، إذ ذكر أنّ رجلاً مِن المهاجرين ضرب آخر مِن الأنصار، وأثار هذا الفعل الأنصاري فدعا قومه، ثم رد المهاجري بدعوى قومه، مما أشعل نوعاً مِن العصبية، فأنكر الرسول محمد (ﷺ) ذلك بشدة وقال: "**دعوها فأنها فتنة**"، فبالغ عبدالله بن أُبي قائلاً: "**أوقد فعلوها... أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز الأذل**" فلما سمع عمر بن الخطاب قال: "**يا رسول الله دعني أضرب عنقه**"، فقال النبي (ﷺ):

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ص٢١٢.

(٢) شبار، الاستخلاف والعمران في ضرورة الوعي بقيم وسنن النهوض والسقوط، ص٣٧.

(٣) عبد الله بن أبي بن سلول بن مالك الخزرجي الأنصاري، كنيته "أبو الحُباب" أظهر الإسلام ظاهرياً بعد غزوة بدر (٢هـ)، لقب بـ "رأس النفاق"، حين مات سنة (٩هـ) طلب ابن هـ من النبي (ﷺ) أن يصلي عليه فنزلت الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾. سورة التوبة، الآية ٨٤؛ ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٥؛ ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٢٩٧.

"**دعهُ لا يتحدث الناس أنّ محمد يقتل أصحابه**"(١)، يُعد هذا الحديث شاهداً على بعد النظر عند النبي محمد (ﷺ) في صناعة القرار، إذ ترك رأس النفاق ليس عجزاً بل درأً لمفسدة عظمى.

كما أتصفت صناعة القرار في الحديث النبوي بالمرونة وتقدير الواقع، حيث ذكر عن الرسول محمد (ﷺ) بانّه ما خير بين أمرين إلاّ أختار أيسرهما(٢).

وأكدت الأحاديث النبوية على مبدأ التفويض(٣) في صناعة القرار، يقل عنه (ﷺ) انّه قال لمعاذ بن جبل(٤) حين بعثه الى اليمن: "**بما تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فان لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله**"(٥)، وهذا يدل على تمكين القادة مِن صناعة القرار ضمن أطار الشريعة، وهو احد أسس الإدارة النبوية.

ومن أسس صناعة القرار التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة، هو التأكيد على التثبيت والتأني وعدم التسرع، ورد عنه (ﷺ) انّه قال: "**التأني مِن الله، والعجلة مِن الشيطان**"(٦)، وهنا إشارة الى ضرورة النظر في العواقب، والتحقق مِن المعلومة قبل صناعة أيّ قرار.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٤١٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٩١.

(٢) الحميدي، مسند الحميدي، ج١، ص٢٧٨؛ ابن حنبل، مسند الامام أحمد، ج٤١، ص١٠١.

(٣) التفويض هو اعطاء شخص ما صلاحية التصرف في بعض الأمور، على وجه النيابة أو الأنابة، وهو جائز في الادارة والشؤون العامة، ضمن ما لا يمس أصل الولاية الشرعية. الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٦، ص٤٥٣.

(٤) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، ومن أهل المدينة المنورة، أسلم وهو شاب في بيعة العقبة الثانية، وكان من العلماء والفقهاء، بعثه النبي (ﷺ) إلى اليمن قاضيا ومعلّما وداعية، لما عُرف عنه من فقه وفهم، وكان من المشاركين في غزوة بدر وغيرها من المشاهد، بعد وفاة النبي (ﷺ)، شارك معاذ في الفتوحات، ثم استقر في الشام، توفي معاذ بن جبل سنة (١٨هـ)، في طاعون عمواس في بلاد الشام، وخلّف أثرا علمياً وروحياً عظيماً في تاريخ الإسلام. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩-٤٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص٤٣١-٤٤٠؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص١٥٩.

(٥) الطيالسي، مسند أبي داود، ج١، ص٤٥٤؛ ابن أبي شيبة؛ الكتاب المصنف في الاحاديث والآثار، ج٤، ص٥٤٣.

(٦) ابن راهويه، مسند أسحاق، ج١، ص٤٢٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج٣، ص٤٣٥.

ونصت الأحاديث النبوية الشريفة على ضرورة الاعتماد على المعلومة الصحيحة قبل صناعة القرار، إذ ورد عنه (ﷺ) قال: "**كفى بالمرء كذباً أنّ يحدث بكل ما سمع**"(١)، إذ لا ينبغي أتخاذ أيّ قرار والتحدث بكل ما سمع الفرد دون الاعتماد على المعلومة الموثقة والصحيحة.

ومن الأسس التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة التي اكدت على صناعة القرار هو التوكل والاعتماد على الله (ﷻ)، حيث قال (ﷺ): "**لو أنكم تتوكلون على الله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً**"(٢)، فالتوكل هنا يعني الاعتماد الكامل على الله (ﷻ) بعد الاخذ بالأسباب، وهو أساس في اتخاذ القرار مع الثقة بان الله ييسر الأمور.

وأكدت الاحاديث الشريفة على ضرورة التزام العدل والأنصاف في صناعة القرار، فلا يظلم فيه أحد قال (ﷺ): "**القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، وأثنان مِن النار؛ فأمّا الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضي فيه، ورجل عرف الحق فلم يقضي به، وجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار**"(٣)، ويعكس هذا الحديث جانب العدل في صناعة القرار، خاصة في مجال القضاء.

ومن المبادئ التي نصت عليها الاحاديث الشريفة التي تعزز مِن صناعة القرار هو تدارك الخطأ، قال (ﷺ): "**من رأى منكم منكراً فان أستطاع أنّ يغيره بيده فليفعل، فإن لم يستطع بيده فبلسانه، فإن لم يستطع بلسانه فبقلبه، وذلك أضعف الايمان**"(٤) ويمكن القول أنّ هذا الحديث هو قاعدة شرعية واخلاقية لها أثرها في صناعة القرار؛ كونه يرتبط بمفاهيم الرقابة الذاتية، والمسؤولية المجتمعية، واتخاذ القرار بحسب الامكانات.

(١) ابن أبي شيبة؛ الكتاب المصنف في الاحاديث والآثار، ج٥، ص٢٣٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص١٠.
(٢) الطيالسي، مسند أبي داود، ج١، ص٥٥؛ ابن حنبل، مسند الامام أحمد، ج١، ص٢٥٢.
(٣) أبو داود، سنن أبي داود، ج٣، ص٢٩٩.
(٤) ابن حنبل، مسند الامام احمد، ج١٧، ص١٢٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٦٩.

ويتضح أنّ صناعة القرار في الحديث النبوي تكشف عن حكمة نبوية عميقة، ونموذج متكامل مِن القيادة، يمكن الافادة منها في مختلف المجالات السياسية، والإدارية، والتربوية، والاجتماعية، ثم فأن الحديث النبوي يمثل مصدراً مِن مصادر فهم فلسفة القرار في الإسلام، إذ لا يكتفي بتحديد المواقف الصحيحة، بل يرشد الى كيفية اتخاذه، وتقدير آثاره، وضبطه بالقيم العليا، وهذا ما تجلى مِن مجموعة مِن الأحاديث بأن صناعة القرار في الإسلام ليست عملية عشوائية أم ارتجالية، بل هي فعل مدروس يقوم على أساس المعرفة.

المبحث الثالث

صناعة القرار مِن صدر الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي (٤١هـ)

تُعد صناعة القرار واحدة مِن أبرز المهارات القيادية التي تمارسها الأنظمة السياسية والاجتماعية في مختلف العصور، إذ تتوقف عليها مصائر الشعوب، وتبنى على أساسها استراتيجيات الحكم والإرادة والتغيير، وقد شهد التاريخ الإسلامي منذ بزوغ فجر الإسلام على يد النبي محمد (ﷺ)، ومن بعد الخلفاء الراشدين، ممارسات متقدمة لصناعة القرار اعتمدت على مبادئ عديدة.

وقد تميزت هذه المدة –من البعثة النبوية حتى عام (٤١هـ) – وهو عام استشهاد الإمام علي (عليه السلام)[١]، تطوراً ملحوظاً في أدبيات اتخاذ القرار، سواء في المجالات السياسية والعسكرية والإدارية والقضائية والدينية والحضارية.

ومن هنا تأتي أهمية هذه المبحث في تسليط الضوء على تطور صناعة القرار خلال هذه المرحلة المفصلية مِن التاريخ الإسلامي مع التركيز على خصوصية كل عهد وكما يأتي:

اولاً. صناعة القرار السياسي:

جسد النبي محمد (ﷺ) مفاهيم الدولة الإسلامية والسلطة الرشيدة مِن خلال قراراته السياسية التي عكست رؤيته العميقة لمجريات الأحداث، وقدرته على احتواء الأزمات وتوجيه دفة الأمور بما يخدم الرسالة والدولة والمجتمع وقد تجلى ذلك مِن خلال مواقف سجلتها كتب السيرة ومن هذه المواقف هي وثيقة المدينة التي تعد أول دستور مدني ينظم العلاقة بين المسلمين واليهود والمشركين في المدينة، إذ كتب رسول الله (ﷺ) كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم على دينهم وأموالهم[٢].

(١) السواط والسندي، الإدارة العامة، ص٢٥١–٢٥٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٠١.

كما ويعد صلح الحديبية (٦هـ) مِن أعظم نماذج صناعة القرار السياسي إذ تغلب فيه النبي (ﷺ) على النزعة القتالية، بروح استراتيجية مدروسة رغم اعتراض بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب الذي قال: "ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قال: ألسنا على العدل وعدونا على الباطل"(١).

وكان قرار إرسال الرسل والكتب إلى ملوك الأرض بعد صلح الحديبية مِن القرارات السياسية المهمة، إذ رأى النبي محمد (ﷺ) أنّ المرحلة مناسبة لنشر دعوته خارج الجزيرة العربية(٢)، وهذا ما يشير إلى بُعد نظره السياسي واستثماره للأوضاع لصالح السيرة النبوية.

ويمكن القول أنّ صناعة القرار في السيرة النبوية تكشف عن مدرسة قيادية متكاملة لم تكن خاضعة للعواطف أو العادات القبلية بل كانت مبنية على أسس مِن الحكمة والحنكة وهذا مما أسهم في تأسيس دولة قولة ومستقرة في قلب العالم القديم.

أما صناعة القرار السياسي في العصر الراشدي (١١هـ-٤١هـ) فقد شهد تحولاً في هذا المجال، علة وجه الخصوص بعد وفاة النبي (ﷺ) (١١هـ) حيث وقع الخلاف في سقيفة بني ساعدة إذ نقل عن عمر بن الخطاب قوله: "**فزنا بها وخطبت في الناس وقلت أنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها**"(٣)، من الملاحظ أنّ النبي محمد (ﷺ) قد نص على خلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مواقع متعددة أبرزها غدير خم(٤) في حديث حيث قال (ﷺ): "**من كنت**

(١) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦٠٨.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٣٢٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٦٥٧؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص١٦٨.

(٤) غدير الخم: موضع بين مكة والمدينة، قريب من الجُحفة، به غدير ماء عنده خطب رسول الله محمد (ﷺ)، لما رجع من حجة الوداع يوم (١٨) من ذي الحجة سنة (١٠هـ)، وذلك في غدير خم، عند شجرة هناك، فقال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه". ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٩.

مولاه فهذا علي مولاه"[١]، لذلك كان استبعاد الامام علي (عليه السلام) مِن القرار السياسي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) قد أدتّ إلى تحولات سياسية ابتعدت عن نهج النبوة، كما أنّ قرار الإمام علي (عليه السلام) بعدم القتال، ثم قبوله بالخلافة لاحقاً كان مبنياً على موازنة دقيقة بين الحفاظ على وحدة الأمة ومبادئ العدل حيث قال (عليه السلام): "**لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين**"[٢].

ومن الشواهد المهمة في خلافة أبي بكر (١١-١٣هـ) على صناعة القرار هو قرار قتال القبائل التي امتنعت عن دفع الزكاة، إذ رأى هؤلاء أنّ أحقية القيادة كانت للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإنّ اتخاذ القرار يجب أنّ يكون بيد الإمام المعين مِن قبل الله ورسوله[٣]، والملاحظ أنّ صناعة القرار السياسية في عهد أبي بكر قد تميز بالابتعاد عن الإطار النبوي النصي، وتحول إلى اجتهاد بشري خاضع للضرورات السياسية والقبلية.

أمّا فيما يخص صناعة القرار في خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) فقد تميز بالصرامة وكانت قراراته استمراراً لمنظومة نشأت على إقصاء أهل البيت مِن موقع القرار، إذ كانت خلافته امتداداً لقرار السقيفة إذ لم تبنَ على نص إلهي، بل كانت نتيجة لبيعة أبي بكر حيث قام الأخير بتعيين عمر بوصية قبل وفاته دون مشورة موسعة حين قال أبو بكر: "**أترضون بمن استخلف عليكم؟... إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب**"[٤]، وهذا يخالف مبدأ الشورى التي نادى بها الخلفاء أنفسهم كأحد وسائل صناعة القرار.

إن صناعة القرار في خلافة عمر بن الخطاب كان مبنياً على مبدأ إقصاء النص وتغليب الاجتهاد، إذ يذكر عنه انّه منع تدوين الحديث النبوي خشية اختلاطه بالقرآن كما زعم، وأمر

---

(١) ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص٢٨١.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٣، الشقشقية.

(٣) المفيد، الإرشاد، ج١، ص٢١٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسول والملوك، ج٣، ص٤٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٩١.

بحرف كثير مِن الصحف التي دونت فيها الأحاديث حيث قال: "**شغلتم الناس بالأحاديث، والله لتمسكن عن الحديث أو لألحقن بأرض الحبشة**"(١).

ومن الشواهد على صناعة القرار في زمن الخليفة عمر بن الخطاب هو قراره قبيل وفاته بتعيين مجلس الشورى الذي يتكون مِن ستة أشخاص لاختيار الخليفة مِن بعده، لكنه حصر الأمر في أشخاص معينين، إذ أوصى بقوله: "**إذا اختلف أربعة وفي ثلاثة، فليضرب الباقون أعناقهم**"(٢)، كما أنّ قرار الخليفة عمر بن الخطاب بتوسعة الفتوحات بجعل تلك الحروب محل نظر في زاوية، إذ أمر سعد بن أبي وقاص(٣) بفتح القادسية سنة (١٥هـ)، وعتبة بن غزوان بالبصرة(٤)، مع أنّ التوسع يحمل بعدٌ حضارياً، إذ أنّ غياب الشخص الذي نصت عليه الخلافة، يجعل صناعة هذا القرار هو باجتهاد شخصي.

كما اتسمت خلافة عثمان بن عفان (٢٣–٣٥هـ) بتحولات جوهرية في آليات صناعة القرار السياسي تمثلت بتغليب البعد العائلي على مقتضيات العدالة، إذ كانت مِن أبرز قرارات الخليفة عثمان بن عفان تولية أقربائه مِن بني أمية إذ ولى الوليد بن عقبة(٥) على

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٨٨؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٠٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٤٨؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٨.

(٣) سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب الزهري القرشي، ومن أوائل من أسلموا، وكان سابع من دخل الإسلام. اشتهر بالشجاعة والحنكة العسكرية، شارك في جميع الغزوات، وبرز في معركة أحد وبدر، كما اختاره الخليفة عمر بن الخطاب قائدا لمعركة القادسية سنة (١٥هـ) ضد الفرس، والتي كانت من أعظم الفتوح، وانتهت بفتح المدائن وسقوط الدولة الساسانية، عُرف سعد بورعه وزهده، واعتزل الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية، فلم يُقاتل مع أحد الفريقين. توفي سعد بن أبي وقاص في العقيق قرب المدينة المنورة سنة (٥٥هـ). أبن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٤٣–١٥٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٦١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٢١–١٣٥.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٢٦.

(٥) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي، هو أخو الخليفة عثمان بن عفان لأمه، إذ أن أمهما واحدة وهي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلم يوم فتح مكة وولاه الخليفة عمر بن الخطاب على صدقات بني تغلب، ثم ولاه الخليفة عثمان بن عفان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، لكنه عُزل بسبب ثبوت شربه للخمر، وأقيم عليه الحد. عُرف ببلاغته وشعره، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان، وتوفي في الرقة سنة (٦١هـ). ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٥٥٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٧.

الكوفة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح[١]على مصر، ومعاوية بن أبي سفيان[٢]على الشام[٣]، وهذا ما كرس حكم بني أمية واعتلائهم مصدر القرار السياسي وكان لصناعة القرار السياسي أثره في عزل بعض الولاة الذي ولد عنهم الرضا في عهد خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) إذ أمر بعزل عمرو بن العاص[٤] وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٥]، ويمكن أنّ يعد هذا استبداداً في الرأي لاسيما أنّ الإمام علي(عليه السلام) شجع عثمان على تغيير الولاة، إذ ورد أنّ الإمام علي (عليه السلام) قال للخليفة عثمان: "**واعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهَدى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة مجهولة... واعلم أنّ لكل عمل تبعة، فاتقِ الله في أمتك وألزم أهل الورع والتقوى..**"[٦].

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة العامري، كاتب للوحي للنبي (ﷺ) وأخ رضعي للخليفة عثمان بن عفان، أسلم ثم ارتد لفترة وعاد إلى الإسلام، وعيّنه الخليفة عثمان واليًا على مصر، حيث قام بأدوار إدارية وعسكرية بارزة، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان، وتوفي في الرملة سنة (٥٩هـ). ابن سعد هذا، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٠٠-١٠٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٢-٣٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ص٢٠٥.

(٢) معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الرحمن، وهو أخو رملة بنت أبي سفيان. أسلم يوم الفتح، ثم تولّى الشام في خلافة عمر بن الخطاب، وأُقِرّ عليها في عهد عثمان بن عفان، ثم بويع له بالخلافة سنة (٤١هـ)، وكان من دهاة العرب، توفي سنة (٦٠هـ) عن عمر ناهز ثمانين سنة، بعد أن أسّس ملكاً قويّاً، وعُدّ من ملوك العرب الحُكماء. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٠٤.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٣٨.

(٤) عمرو بن العاص بن وائل السهمي، أسلم قبل فتح مكة، وكان من دهاة العرب وساستهم في الجاهلية والإسلام، عُرف بذكائه وحنكته العسكرية، وقد بعثه النبي محمد (ﷺ) في بعض السرايا، ثم برز دوره في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، إذ ولاه قيادة فتح مصر سنة (٢٠هـ/٦٤١م)، فقاد الجيش الإسلامي الذي دخل الفسطاط وأرسى نواة الدولة الإسلامية هناك. تولى إمارة مصر مرارا، آخرها في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وكان من أبرز رجالات الفتنة الكبرى، وشارك في صفّين إلى جانب معاوية، واشتهر بحيلته في رفع المصاحف. توفي في مصر سنة (٤٣هـ/٦٦٣م) ودفن فيها. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١١٨٢.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٧٣.

(٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة رقم (١٧).

ومنح الخليفة عثمان مروان بن الحكم[١] خمس خزائن مِن بيت المال وزوجه مِن بنات كبار الصحابة بأموال العامة[٢]، ويمكن عدّ هذا إخلالاً بعدالة التوزيع وميلاً واضحاً إلى المحاباة، ويظهر أنّ صناعة القرار السياسي في خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) قد ابتعدت عن روح الإسلام التي نادى بها الرسول محمد (ﷺ) لصالح تمكن الأقرباء واستغلال السلطة.

أمّا في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣٥-٤١هـ)، فكانت مرحلة مفصلية في التاريخ السياسي؛ إذ تميزت بعودة القرار السياسي إلى أسسه الشرعية، إذ ارتكزت صناعة القرار في عهده (عليه السلام) على ثلاث ركائز رئيسة هي: العدل، المشروعية، ومقاومة الانحراف السياسي.

من ناحية العدل فمنذ لحظة تولية الحكم اتخذ (عليه السلام) قراراً بإلغاء الامتيازات التي أعطيت لبطانة عثمان بن عفان وقد أشار (عليه السلام) بقوله: "**والله لو وجدته قد زوّج به النساء، ومُلك به الاماء لرددته، فان في العدل لسعة**"[٣]، يوضح هذا النص مبدأ الحزم السياسي الذي تبناه الإمام (عليه السلام) في قراراته دون مجاملة.

وأكد (عليه السلام) بأن القرار السياسي لا يمكن بناءه على التواطئ بل على وعي الناس، إذ ذكر (عليه السلام) في خطبته: "**إلا وإنّ بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم، والذي**

(١) مروان بن الحكم بن أبي عبد الله الأموي القرشي، هو أحد أبرز خلفاء الدولة الأموية، وُلد في مكة، وهو من بني أمية من قبيلة قريش، ينتمي إلى الفرع المرواني من بني أمية، تولى الخلافة عام (٦٥هـ) بعد مقتل الخليفة يزيد بن معاوية، وحكم حتى وفاته في سنة (٨٦هـ) عرف مروان بدوره في توطيد حكم الأمويين بعد فترة الفتن والاضطرابات. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٥٠-٣٥٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ص٥٠٠-٥٠٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٦٠-٢٦٥؛

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦١.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة رقم (١٥).

بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة"[1]، إذ لم يكن (عليه السلام) يرى بأن الحكم فردياً بل عدَّ الأمة شريكاً في القرار.

واتخذ الامام علي (عليه السلام) مِن القرآن والسنة أساساً لصناعة القرار ورفض أنّ يُلزم بسنة الشيخين أم اجتهاد مِن سبقه فلما عرض عليه عبد الرحمن بن عوف[2]، البيعة بشرط الحكم بسيرة الشيخين قال (عليه السلام): "**بل على كتاب الله وسنة نبيه**"[3]، وهذا ما يؤكد استقلالية القرار السياسي العلوي عن ضغوط التقليد والسياسات السابقة.

ثانياً ـ صناعة القرار العسكري:

تعد صناعة القرار العسكري في عصر الرسالة الإسلامية مِن مظاهر القيادة التي جسّدها النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، إذ لم تكن القرارات العسكرية وليدة الاجتهاد البشري المجرد، بل كانت مؤيدة بالتأييد الإلهي، قال تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾[4]، وإلى جانب ذلك المشورة التي كان النبي (صلى الله عليه وآله) يعتمدها لإشراك المؤمنين؛ مِن أجل تعليمهم سنن التدبير وشؤون الدولة، وقد ظهر ذلك جلياً في مواقف عديدة منها قبوله بمشورة الحباب بن المنذر[5] في تغيير موقع

---

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة رقم (١٦).

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبد مناف الزهري القرشي العدوي، من كبار الصحابة والتابعين، وأحد العشرة الذين بايعوا النبي(صلى الله عليه وآله) في العقبة، كان من أثرياء مكة، ومن أوائل من هاجر إلى المدينة، وشارك في العديد من الغزوات والأحداث الإسلامية الكبرى، عُرف بجوده وسخائه. توفي في المدينة المنورة سنة (٣٢هـ)، وردت سيرته في كتب التراجم. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٥٠-١٦٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ص١٩٠-١٩٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٢٣٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٦٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٥) الحباب بن المنذر بن ربيعة الكلبي العدناني، هو صحابي جليل من قبيلة كلب، كان من المبايعين في بيعة العقبة الثانية للنبي (صلى الله عليه وآله)، وقد وصفه النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه من أعظم الناس فضلاً وشجاعةً، وذا مكانة عالية في الإسلام، شارك في العديد من الغزوات والفتوحات الإسلامية، خاصة في العراق وفارس، وكان من القادة العسكريين البارزين في زمن الخلفاء الراشدين، وُصف بالشجاعة والتقوى والكرم، توفي في زمن الخليفة عمر بن الخطاب. ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٣، ص٤٢٠-٤٢٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ص٣٠٠-٣٠٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٥٠-١٥٥.

النزول يوم بدر[١]، وكذلك تبني النبي (ﷺ) لفكرة حفر الخندق التي أشار بها سلمان المحمدي[٢] في معركة الاحزاب وذلك في شهر شوال مِن السنة الخامسة للهجرة[٣].

والجدير بالذكر أنّ قرارات النبي (ﷺ) لم تكن ذات طابع حربي صرف، بل كانت تعكس رؤيته الإصلاحية، كما في موقف يوم فتح مكة في (٨هـ)، عندما عفا عن أهلها قائلاً: "**اذهبوا فأنتم الطلقاء**"[٤]، وبناءً على ذلك يمكن القول بأن صناعة القرار العسكري في زمن الرسول محمد (ﷺ) يمثل نافذة لفهم التوازن بين الوحي الإلهي ومتطلبات الواقع، وكذلك يكشف عن النموذج الإسلامي الأصيل في إدارة الحرب والسلم.

وبالانتقال مِن عصر الرسالة إلى عصر الخلافة الراشدة (١١-٤١هـ) وتحديداً في خلافة أبي بكر (١١-١٣هـ)، فقد تشكل منعطفاً في منهج صناعة القرار العسكري، إذ لم يعد القرار يستند إلى الوحي المباشر ولا إلى القيادة المعصومة، كما في عهد النبي محمد (ﷺ)؛ لما صاحبها مِن استخدام مفرط للقوة وعدم مشاركة الإمام علي (عليه السلام) في تلك الحملات[٥].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٤٧.

(٢) سلمان الفارسي، واسمه قبل الإسلام روزبه بن يَخْشان، هو صحابي جليل من بلاد فارس، ويُعدّ من كبار أصحاب النبي محمد (ﷺ)، وقد امتاز بطلبه الطويل للحق، حيث تنقّل بين المجوسية، ثم النصرانية، حتى اهتدى إلى الإسلام في المدينة المنورة، أسلم بعد الهجرة، وكان له شأن عظيم بين الصحابة، ومن أبرز مواقفه اقتراحه حفر الخندق في غزوة الأحزاب، وهو الرأي الذي أُخذ به، فأنقذ المدينة من حصار المشركين. قال النبي (ﷺ) في فضله "سلمان منا أهل البيت"، شارك في الفتوحات الإسلامية، وكان من القادة الفاتحين في العراق، وتولى ولاية المدائن في عهد عمر بن الخطاب، كان زاهدا متواضعا، توفي على الأرجح سنة (٣٣هـ) في المدائن. ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٤، ص٨٨-٩٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٦٧٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٤٨-٣٥٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص١٩٣؛ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٨٣.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣، ص٥٦٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٥٠٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣١٠.

ويلاحظ في القرارات العسكرية لأبي بكر، كإرسال جيش أسامة[١] انّه أُمر به مِن قبل النبي (ﷺ) قبل وفاته لكنه تأخر، وهذا ما عُدّ خرقاً مباشراً لأمر النبي (ﷺ)، وقد ورد قول للإمام الصادق (عليه السلام) قال: "ما خرج أسامة حتى قبض رسول الله"[٢]، وهذا يبين فارقاً جوهرياً في التعامل مع القرار العسكري ما بين النبي (ﷺ) وبين أبي بكر وبناءً على ذلك ومن هذا المنظور يتبين أنّ صناعة القرار العسكري بعد النبي (ﷺ) تأثرت بانحراف السلطة عن النص الإلهي.

وشهدت خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) تحولاً كبيراً في صناعة القرار العسكري مِن حيث التوسع الجغرافي واشتداد المواجهات مع القوى الكبرى كالفرس والروم، وهذا يتطلب أسلوباً محكماً في إدارة الجيوش وتوجيه القرارات الحربية، التي كانت تصدر مِن الخليفة مباشرة مع غياب الوحي الذي كان يوجه القرارات في عهد النبوة، ومن أبرز تلك القرارات إصدار الخليفة عمر بن الخطاب الأمر بخوض معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص (١٥هـ)[٣]، كما كان للخليفة دور في معركة اليرموك (١٥هـ) ضد الروم مِن خلال إرسال التعزيزات بقيادة خالد بن الوليد[٤]، كما ظهر التنظيم العسكري في قرارات الخليفة مِن خلال تقسيم الجيوش وتحديد مسؤوليات كل

---

(١) اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، هو أحد الصحابة الكرام، وأبوه زيد بن حارثة كان مولى النبي (ﷺ) ومتبناه قبل الإسلام، وأمه أم أيمن بركة الحبشية حاضنة النبي (ﷺ)، لذا كان يُلقب بـ "الحِبّ ابن الحِبّ"، أي محبوب النبي (ﷺ) وابن محبوبه، ولد أسامة قبل البعثة النبوية بقليل، وشهد مع النبي (ﷺ) بعض الغزوات، وولاّه النبي (ﷺ) قيادة جيش المسلمين إلى الشام في آخر أيامه، وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، وكان في الجيش كبار الصحابة كأبي بكر وعمر، مما يدل على مكانته الخاصة عند النبي (ﷺ) وشارك أسامة بعد ذلك في الفتوحات الإسلامية. توفي سنة (٥٤هـ)، في المدينة المنورة. ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٤، ص٦٦-٧٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٢، ص٤٩٦-٥٠٤؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٧٨-٨١.

(٢) الكليني، الكافي، ج٨، ص٢٠٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١١٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٥٢.

قائد[١]، وبالرغم مِن ذلك إلاّ أنّ صناعة هذه القرارات قد أثارت جدلاً، وذلك لتغييب دور الإمام علي (عليه السلام) عن القيادة العسكرية.

وقد أورد الطوسي[٢] قائلاً: بأن الإمام علي (عليه السلام) لم يكن راضياً عن بعض السياسات العسكرية التي اتخذت في تلك المرحلة، وبالتحديد ما يتعلق بالفتوحات التي لم تكن نابعة عن توجه نبوي أم تشريع إلهي.

ويمكن القول بأن صناعة القرار العسكري خلال هذه المدة قد ابتعدت عن المنهج الإلهي المرتبط بقيادة المعصوم، وهذا ساعد في إفراز جملة مِن التداعيات الفكرية والفقهية والسياسية.

أمّا أبرز ما يميز صناعة القرار العسكري في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) هو هيمنة النزعة الأسرية الأموية على صناعة القرار العسكري، في المقابل كان أهل الكفاءة والسابقة وفي طليعتهم الإمام علي (عليه السلام) في جانب الإقصاء ومن أبرز الشواهد في إبعاد الإمام علي (عليه السلام) مِن صناعة القرار العسكري خلال هذه المدة قوله (عليه السلام): "**وقد علمت أني أحق الناس بها مِن غيري فو الله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين**"[٣]، ثم أنّ جملة مِن الصحابة قد أنكروا على عثمان تولية أقربائه وسيطرتهم على صناعة القرار العسكري، وأكدوا أنّ في الأمة مِن هو أولى وأكفأ[٤].

وبناءً على ذلك يتضح أنّ صناعة القرار العسكري في خلافة عثمان بن عفان قد اتسم بتوسعة رقعة الفتوحات، لكنه شهد تحولاً في طبيعة السلطة العسكرية مِن القيادة القائمة على الكفاءة، إلى بنية أقرب إلى المركزية الأسرية والمحسوبية القبلية.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨١.

(٢) الامالي، ص٢٩٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم (٣)، الشقشقية.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٨٧.

وتمثلت خلافة الإمام علي (عليه السلام) (٣٥-٤١هـ) مرحلة مفصلية، ليست فقط كونها جاءت بعد فتنة كبرى، بل لأن الإمام علي (عليه السلام) قد واجه تحدياً مركباً في صناعة القرار العسكري ما بين الحفاظ على وحده الأمة، ومواجهة التمرد الداخلي، إذ اعتمد (عليه السلام) على مبادئ شرعية في صناعة القرار العسكري ومن أبرز الشواهد امتناعه عن المبادرة في القتال ضد أهل الجمل حيث قال: "لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فأنكم بحمد الله على حُجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم"(١).

أمّا في معركة صفين (٣٧هـ) لم يبتدئ الإمام علي (عليه السلام) القتال بل أرسل رسائل متعددة لمعاوية يدعوه إلى الطاعة وكان (عليه السلام) يكرر: "**والله ما معاوية بأدهى مني، ولكن يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت مِن أدهى الناس**"(٢)، ورغم تفوق الإمام علي (عليه السلام) العسكرية قبل بالتحكيم؛ حفاظاً على وحدة الصف الإسلامي، وكان ذلك القرار العسكري دليلاً على أولوية المصلحة العامة، والأخلاق الحميدة على المكاسب العسكرية.

واجه الامام علي (عليه السلام) الخوارج بعد التحكيم لكنه لم يقاتلهم حتى أعلنوا الكفر به وقتلوا الناس فقال(عليه السلام): "لا نبدأهم بقتال حتى يبدؤونا وإنّ ظلمونا فلا تظلموا، فان الله لا يحب الظالمين"(٣).

ويتجلى مِن ذلك بأن صناعة القرار العسكري في خلافة الإمام علي (عليه السلام) كانت امتداداً للنهج النبوي، مِن خلال امتزاج الشجاعة بالحكمة والقوة بالرحمة، والاعتماد على الشرعية الدينية لا على المصالح القبلية أم التوازنات السياسية.

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم (٤٥).
(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم (٢٠٠).
(٣) نهج البلاغة، كتاب رقم (١٦).

ثالثاً ـ صناعة القرار الإداري:

تجلى صناعة القرار الإداري في عصر النبوة بأسلوب فريد جمع بين التكليف الإلهي والتدبير النبوي الحكيم، وقد بدأت ملامح الإدارة بوضوح بعد الهجرة إلى المدينة حيث أرسى (ﷺ) قواعد العدل الاجتماعي[١]، كما أسس إدارة بيت المال ونظم الجباية وتوزيع الزكاة، وعيّن الولاة على الأقاليم مثل معاذ بن جبل.

وعين على اليمن عتاب بن أسيد[٢]، على مكة بعد فتحها[٣]، وفي مجال القضاء عيّن (ﷺ) الإمام علي(عليه السلام) قاضياً على اليمن وقال له: "اللهم ثبت لسانه واهدِ قلبه"[٤]، كما نظم النبي (ﷺ) أمور البريد والمراسلات مع الملوك[٥]، وينظر إلى صناعة القرار الإداري مِن قبل النبي (ﷺ) بانّها قرارات خالية مِن الخطأ وهو جزء مِن الوظيفة الإلهية، كما أنّ ممارسة النبي في مشاورة أصحابه لا لأجل إكمال علمه بل كجانب تربوي ومجتمعي[٦].

أمّا في عهد خلافة أبي بكر (١١–١٣هـ) فقد اتسمت صناعة القرار الإداري بالاجتهاد والسرعة في إدارة الملفات الطارئة وتنوعت ما بين القرار بالاجتاد الفردي

(١) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٩٠.

(٢) عتاب بن أسيد بن حاتم التيمي، هو صحابي من قبيلة تميم، شهد بيعة العقبة الثانية مع النبي (ﷺ)، وأسلم مبكراً، وعُرف بشجاعته وإيمانه القوي، كان من أوائل الذين أسلموا في قبيلته، وشارك في الغزوات والفتوحات الإسلامية، عُيّن والياً على مكة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان من المسؤولين الذين أسهموا في تثبيت الأمن ونشر الإسلام في الحجاز، توفي عتاب بن أسيد في خلافة عثمان بن عفان، ويقال إن وفاته كانت حوالي سنة (٤٠هـ). ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٠٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٠٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٣٧٣.

(٤) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص٦٩٩.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٦٠٨.

(٦) الطباطبائي، الميزان، ج٤، ص٢٣٠.

والتشاور الضيق، ومن نماذج صناع القرار الإداري تعيين الولاة على الأمصار مثل زياد بن لبيد[١] على حضرموت[٢]. والعلاء الحضرمي[٣] على البحرين[٤]، وكان يرسل معهم كتاباً يتضمن التعليمات وتفويض بالصلاحيات[٥]، كما اعتمد الخليفة أبو بكر نظاماً

(١) زياد بن لبيد بن ربيعة الثقفي، شاعر من قبيلة ثقيف بمدينة الطائف، عاش في عصر الجاهلية وبدايات الإسلام، وكان معروفاً بفصاحته وقوة شعره أسلم في فترة مبكرة من الدعوة الإسلامية، وهاجر إلى المدينة المنورة، وشارك في بعض الغزوات مع المسلمين، كان زياد من شعراء الهجاء والفخر، وعبّر في شعره عن معانٍ اجتماعية ووطنية، كما أبدع في المدح والرثاء، ويُعد من أهم شعراء ثقيف الذين خدموا الحركة الإسلامية من خلال شعرهم، رغم ذلك تميز شعره ببعض السمات القبلية التي كانت سائدة في عصره، لكنه كان أيضاً من الشعراء الذين نقلوا قصائدهم في جمع العرب. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٥٠-١٥٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص١٨٠-١٨٥.

(٢) حَضَر مَمْوَت أو حضر موت هو وادي ومنطقة جغرافية كبيرة الى شرق من اليمن، نزلها العرب واستقرّوا فيها تشمل السهول والأودية الخصبة التي تتابع من منابت الجبال وتنهار في الأراضي المنخفضة المشهورة بجودتها الزراعية، بها آبار عميقة لا تزيد عن سبع قامات، مقارنة بمياه يسيلها من أودية قعوضة المجاورة التي قد تصل سبع عشرة قامة عمقا، وحدة سهلية خصبة تُعرف بـ "الخشعة" لطيبة تربتها وقربها من المياه الجوفية، سكنها قبائل نهد مثل آل بدر، فضلاً عن إلى قبائل أخرى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص٢٧٠.

(٣) العلاء بن عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عوف بن عمرو بن تميم. يعود نسبه إلى بني تميم، وكان يُعرف بكنيته "العلاء الحضرمي"؛ نسبةً إلى موطنه أو أصله من حضرموت. اشتهر ببلاغته وشجاعته، وكان عامل النبي (ﷺ) على البحرين، ثم ولاه عليها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، عُرف العلاء بتقواه وفصاحته، وشارك في عدد من المعارك والفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، ومات في خلافة عمر بن الخطاب، ويُروى أن وفاته كانت سنة (٢١هـ). ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٣٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص ١٠٦٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٨٤.

(٤) البحرين: اسمٌ جامعٌ لبلادٍ على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان، قاعدتها هجر، وتشتمل على عدد من القرى والنواحي، ومنها القطيف والبلد المعروف الآن بالبحرين. وقيل: سُميت بذلك لأن بها ماءين، عذباً ومالحاً، وقيل: لأنها بين بحر فارس وبحر عمان كانت تُعرف بسعة زراعتها وكثرة نخلها، وكانت موطنا لقبائل عبد القيس، وبكر بن وائل، وغيرها، كما كانت مركزاً تجارياً مهماً منذ العصر الجاهلي واستمرّت أهميتها في صدر الإسلام، حيث بعث النبي (ﷺ) إليها العلاء بن الحضرمي والياً وداعياً إلى الإسلام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٨٥-١٨٩.

لجمع الزكاة، وحدد عمالاً لجمعها وتوزيعها، وربط ذلك بسجلات مكتوبة[١]، كما استخدم المكاتبات الرسمية في تعيين الولاة وتحديد مهامهم[٢]، مما يدل على شوط إداري ناشئ، هذا النمط في صناعة القرار الإداري خاضعاً للجدل مِن حيث المشروعية؛ لعدم اعتماده على نص إلهي[٣].

وشهدت خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) منهجاً إدارياً متماسكاً في ترسيخ مؤسسات الدولة وتوسيع رقعتها الجغرافية، لذلك أسس ديوان العطاء[٤] سنة (١٥هـ) وقد أورد ذلك الطبري[٥]: "**فأمر عمر أنّ يكتب الناس على منازلهم مِن الهجرة، فبدأ ببني هاشم**"، ورغم مما أنجز في خلافة عمر بن الخطاب مِن تنظيم إداري، إلاّ أنّ صناعة القرار الإداري في تلك المرحلة لم تخلو مِن مواطن النقد. إذ كان في تأسيسه لديوان العطاء قد فضل بعض الصحابة على بعض في العطايا المالية ففرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف وفرق لابنه عبد الله ثلاثة آلاف وفرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف[٦]، هذا التمييز في العطاء خالف مبدأ المساواة التي أكد عليها الإسلام، وانّه توظيفاً سياسياً للمال لتعزيز الولاء للسلطة[٧]، ويمكن القول أنّ صناعة القرار الإداري في خلافة عمر بن الخطاب اتسم بالفاعلية التنظيمية مِن جهة والطابع الاجتهادي مِن جهة أخرى.

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج٧، ص٤٤٦؛ المفيد، الاختصاص، ص٩٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٥٢.

(٣) الشريف الرضي، الشافي، ج٢، ص٢٩.

(٤) ديوان العطاء هو نظام مالي وإداري أُنشئ في صدر الإسلام لتنظيم توزيع الأموال على المسلمين بحسب سبقهم في الإسلام وجهادهم ومكانتهم، وهو ديوان لجمع أسماء من يستحق العطاء من بيت المال وما يفرض لهم يُعد من أبرز مؤسسات الدولة الإسلامية في تنظيم شؤون الرواتب والعطاءات، وقد أُسس رسميا في خلافة عمر بن الخطاب، بعد أن اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال الواردة من الغنائم والجزية والخراج، فأنشأ ديوانا لتقييد أسماء المستحقين للعطاء من المسلمين، ووزّعهم طبقات تبدأ بآل بيت النبي (ﷺ)، ثم المهاجرين، ثم الأنصار، ثم بقية المسلمين بحسب السابقة في الإسلام. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٨٧؛ أبو يوسف، الخراج، ص٥١.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٠٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢١٦.

(٧) مرتضى العسكري، عبدالله بن سبأ، ج٢، ص٣١٥.

أمّا في خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) فقد شهدت تطوراً في مجال الإدارة وصناعة القرار الإداري تمثلت في توسعة نطاق الولاة في الولايات البعيدة[١]، وكانت أساليب عثمان في قراراته الإدارية قد عدَّها البعض محاباة أم تجاوزاً للحدود[٢]، إذ منح بعض الولاة صلاحيات واسعة في إدارة ولاياتهم دون الرجوع للمركز، كان يبعث لهم تفويضاً واسعاً، وهذا ما جعل معظمهم يتصرف دون رقابة صارمة مِن الخليفة[٣].

ورغم منهج عثمان في صناعة القرار الإداري، إلاّ انّه شابه عدد مِن الإشكاليات أهمها الميل إلى التمركز حول الذات، وتغليب القرابة على المصلحة العامة، وغياب آليات الرقابة والمحاسبة[٤]، ووقد نقل الطبري[٥]عن ذلك: "**وكان كثيراً ما يولي بني أُمية، فأنكر الناس عليه ذلك**"، ويمكن القول بأن هذا قد ساعد في تأجيج السخط الداخلي والاضطراب الإداري مما انتهى بمقتله وبداية ما عرف بالفتنة.

وفي خلافة الإمام علي (عليه السلام) (٣٥- ٤٠هـ) فقد تميز منهجه في صناعة القرار الإداري بالعدل والتمسك بالمبادئ الإسلامية الأصيلة وتطبيق المساواة، إذ رفض (عليه السلام) تثبيت الولاة السابقين عندما طلب منه الإبقاء على بعض الولاة الذين عيّنهم عثمان وأوضح ذلك في كتابه إلى أهل الأمصار قائلاً: "**وإني أقسم بالله لئن بقيت لأزيلن كل مِن كان ظلماً أقامه عثمان ولأقيمن الأمر على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**"[٦].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٩٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥-٧٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣١١.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٧٤.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٤٠.

(٦) نهج البلاغة، خطبة (٣)، الشقشقية.

فأمر (عليه السلام) بعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر وولّى محمد بن أبي بكر[١] والياً مكانه[٢]، كما صدرت أوامره (عليه السلام) بعزل عبد الله بن عامر[٣] عن ولاية البصرة، وولّى عثمان بن حنيف[٤] بدلاً عنه وليكون خلفاً له[٥].

إن مفهوم صناعة القرار الإداري عند الإمام علي (عليه السلام) يقوم على اختيار أنسب البدائل إذ يذكر (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر: "ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ولا جباناً يضعفك عن الأمور"[٦].

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة التيمي القرشي، وُلد في حجة الوداع في ذي القعدة سنة ١٠هـ، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية التي تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة أبي بكر، فنشأ محمد في حجر الامام علي(عليه السلام)، وشارك في أحداث الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان، وقيل أنه كان ممن دخلوا على عثمان يوم مقتله، ويُروى أنه ندم بعد ذلك،بعد تولي الإمام علي(عليه السلام) الخلافة ولاّه مصر سنة ٣٦هـ، فواجه معارضة الأمويين وأنصار معاوية، حتى قُتل في وقعة مصر سنة ٣٨هـ على يد عمرو بن العاص وجنده، وقيل: قتله معاوية بن حديج، ثم دُفن في جوف حمار وأُحرق. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٣٢٧؛ ابن، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٨٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٣، ص٤٥٠–٤٥٢.

(٣) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس الأموي القرشي، وُلد سنة (٤هـ) وهو ابن خالة الخليفة عثمان بن عفّان، وكان من ولاة الدولة الأموية وأحد القادة الفاتحين في صدر الإسلام، تولّى إمرة البصرة في خلافة عثمان، وبرز في قيادة الجيوش وفتح خراسان وسجستان وكرمان، كان فصيحا كريما شريفا في قومه، وكان من أهل السخاء والحلم، وكان يغزو بنفسه ويقود الجيوش، وله أثر كبير في تثبيت الفتح الإسلامي في بلاد فارس، وذكر من ضمن ولاة عثمان المشهورين، وقد اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان، وتوفي سنة (٥٩هـ) في المدينة المنورة، ودُفن بها. ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٦٨؛ ابن حجر،في تمييز الصحابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٧.

(٤) عثمان بن حُنَيف بن وهب الأنصاري الأوسي، صحابي جليل من أهل المدينة، شهد بيعة الرضوان وما بعدها من المشاهد، وكان من المقرّبين من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واشتهر بكونه ممن أتقن القياس والمساحة، فكان النبي (صلى الله عليه وآله) يستعمله في تقدير الأراضي، وكان عثمان بن حنيف على المساحة لأرض السواد في العراق لعمر بن الخطاب، واستمر في عمله في عهد عثمان ثم في عهد علي بن أبي طالب، الذي ولاه ولاية البصرة، فكان من خاصته والمخلصين له، وكان من فضلاء الصحابة وعقلائهم، ومن أهل الفقه والعقل والديانة، وتوفي بعد سنة (٤٠هـ)، وقيل إنه عمّر طويلاً. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٤٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ج٣، ص١٠٥٦؛ ابن حجر،الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤٥٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٥٧.

(٦) نهج البلاغة، كتاب (٥٥)؛ الكليني، الكافي، ج١، ص٤٠.

كما اتسمت صناعته للقرارات الإدارية بالعدالة والمساواة، إذ رفض الإمام علي (عليه السلام) التمييز في العطاء والوظائف وخير شاهد على ذلك رفضه (عليه السلام) أنّ يعطي أخاه عقيل[1] مِن بيت المال[2]، وقد أمر (عليه السلام) بتقسيم بيت المال بالسوية وعد التمييز بين الناس[3].

ومن أساليب صناعة القرار الإداري التي اتخذها (عليه السلام) هو المحاسبة الإدارية إذ جاء في رسالة إلى زياد بن أبيه[4]: "بلغني عنك أمر أنّ كنت قد فعلته فقد أسخطت ربك وأغضبت إمامك، وأخزيت أمانتك"[5].

---

(١) عَقِيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أخو الإمام علي بن أبي طالب، وابن عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، أسنّ من علي بعشر سنين، وكان من فصحاء قريش وعقلائها، وكان نسّابة خبيرا بأنساب العرب، تأخّر إسلامه حتى بعد بدر، ثم أسلم وحسن إسلامه، وشهد مع النبي (صلى الله عليه وآله) حنينا والطائف، وكان من المهاجرين، كان عالِماً بالنسب، مأمونا عليه، وكان في الجاهلية وسيطاً محترماً، وقد أسره المسلمون في بدر وهو مع قريش، ثم فُدي وأطلق، فأسلم بعد ذلك، كان من رجال بني هاشم ذوي المكانة، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يقدّره لمكانه من النسب والعقل، وتُوفي في خلافة معاوية سنة (٦٠هـ) أو قُبيلها، وعاش عمرا طويلًا حتى قيل إنه بلغ الثمانين، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص٩٥٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٠.

(٢) الطوسي، الامالي، ج١٤، ص٤٠٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آب أبي طالب، ج٢، ص١٠٥.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٥١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٣٧.

(٤) زياد بن أبيه، ويقال: زياد بن عبيد، وقيل: زياد بن سُميَّة، نسبةً إلى أمه، وكان يُنسب في الجاهلية إلى عبدٍ من ثقيف يُدعى عبيد، حتى ألحقه معاوية بن أبي سفيان بأبيه أبي سفيان بن حرب في خطبة شهيرة سنة (٤٤هـ)، فعُرف بعدها بـ زياد بن أبي سفيان، وكان من دُهاة العرب وعظماء رجال الدولة، وُلد في الجاهلية ونشأ في الطائف، واشتهر بالفصاحة والذكاء والقدرة على الإدارة، وقد ولاه علي بن أبي طالب (عليه السلام) على فارس، ثم استعان به معاوية بعد صلحه مع الحسن بن علي (عليه السلام)، فولّاه البصرة ثم ضمّ إليه الكوفة فصار أول من جمع له العراقان، وقد عُرف بالشدة والحزم في ضبط الأمور، خاصة في تتبع الخوارج وقطع الفتن، وتوفي سنة (٥٣هـ) بالبصرة. أبن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٦؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٣١٢ البلاذري في أنساب الأشراف، ج٥، ص٩٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٦.

(٥) الطبري، الاحتجاج، ج١، ص٢٧٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٤٣؛.

كما بُني صناعته للقرار الإداري في اختيار الولاة على أساس التقوى والكفاءة والعدالة[1]، يتضح أنّ الإمام علي (عليه السلام) لم يكن حاكماً تقليدياً، بل كان إدارياً واعياً في صناعته للقرار الإداري، ويمكن القول أنّ قراراته (عليه السلام) لا تزال تصلح أنّ تكون منهجاً معاصراً؛ لانّها قامت على مبدأ ثابت وقيم إنسانية قابلة للتطبيق.

رابعاً ـ صناعة القرار الديني:

تعد صناعة القرار الديني في زمن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) مِن أبرز الركائز الأساسية التي أسهمت في تأسيس الدولة الإسلامية؛ إذ لم تكن هذه القرارات عشوائية أم مجرد اجتهادات شخصية، بل كانت مستندة إلى وحي إلهي، بما ينسجم مع الواقع الاجتماعي، فضلاً عن توفر الشروط والمتطلبات الإسلامية.

تنوعت صور صناعة القرار الديني، فمنها ما صدر بوحي مباشر مِن الله سبحانه، ومنها ما جاء نتيجة استشارة أم اجتهاد نبوي ضمن إطار الوحي، ومن الشواهد على صناعة القرار الديني في العصر النبوي هو تحول القبلة، إذ كان هذا القرار قراراً دينياً تجسد في تحول القبلة مِن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة[2]، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[3]، ومن شواهد صناعة القرار الديني في عصر النبوة تشريع الصيام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]، إذ صدر هذا القرار الديني بأمر مِن الله، بعدما أوحي للرسول (صلى الله عليه وآله) في السنة الثانية مِن

(١) أبو يوسف القاضي، الخراج، ص٧٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٩١-١٩٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٣.

الهجرة[١]، ويُعد تحريم الخمر مِن القرارات الدينية التي استندت إلى وحي إلهي؛ لأن الخمر تُفسد العقل الذي به يميز بين ما يضره وينفعه، فهي مِن الشيطان لما فيها مِن الإفساد والصدّ عن ذكر الله[٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[٣]، وقد أوردت كتب السيرة كيفية تعامل النبي محمد (ﷺ) مع هذا التحريم، وطبيعة استجابة لهذا القرار[٤]، وفي هذا السياق ذكر أنّ النبي (ﷺ) كان يتحرى ما يرضي الله، وقد أراد أنّ تكون الكعبة قبلة المسلمين، فجاء الأمر الإلهي مؤيداً لهذه الرغبة، مما يدل على توافق اجتهاده في القرار الديني مع الله سبحانه وتعالى[٥]، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٦] ويتضح بأن صناعة القرار الديني النابع مِن اجتهاد النبي (ﷺ)، قد جاء مؤيداً بالوحي لا مصححاً.

وفيما يتعلق بصناعة القرار الديني في عصر الخلافة الراشدة (١١-٤١هـ) فقد شهد تحولاً مِن النص الإلهي إلى الاجتهاد الشخصي، وخاصة في عصر أول ثلاث خلفاء، في خلافة أبي بكر (١١-١٣هـ) ذكر بأن الأخير قد اجتهد في صناعة قرار ديني مِن خلال تحريم الهبات[٧]عن أهل البيت (عليهم السلام)، إذ ذكر بأن رسول الله (ﷺ) قد

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٢٤.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج٨، ص٢٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٠.

(٤) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٠-٣٠٢.

(٥) الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٣٤١.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

(٧) الهِبَة وهي أن تُعطي الإنسان شيئًا تملّكه إياه في حياتك من غير عوض. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٧٩٣.

وهب فدك[١] لفاطمة الزهراء (عليها السلام)، إلاّ أنّ أبا بكر أخذها منها بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)[٢]، في حين أنّ النص القرآني صرح بأحقية أهل البيت بالعطايا في قوله تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[٣]، وذكر بأن الخليفة أبو بكر قد استدل في اجتهاده على منع فدك عن الزهراء (عليها السلام) بقول الرسول (صلى الله عليه وآله): "**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**"[٤]، في حين أنّ المصادر تؤكد أنّ فدك كانت هبة مِن النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) ولا تدخل ضمن التركة[٥].

كما مثلت خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) مرحلة مهمة في صناعة القرار الديني مما أثر على مسار الفقه، إذ لم تكن مجرد تطبيقات للنصوص الشرعية بل كانت مبنية على فهمه الشخصي للنصوص وقد تتخطى النصوص، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "**كان عمر يعجل في الأحكام ويقصر النظر عن الحقوق التي كان أهل البيت يبينونه**"[٦].

ومن الشواهد على أهم القرارات الدينية التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب التي كانت صناعتها مستندة إلى اجتهاده الشخصي هو منع الجمع بين الصلاتين إذ ورد أنّ الخليفة عمر بن الخطاب كان يأمر الناس أنّ يؤدوا كل صلاة في وقتها ولا يجمع بين

---

(١) فَدَك: بلدةٌ تقع في الحجاز، على بعد نحو (١٤٠) كم شمال المدينة المنورة، في جهة خيبر، وكانت أرضا خصبة كثيرة النخيل والمياه. كانت تسكنها طائفة من يهود الجزيرة، فلما انتصر النبي (صلى الله عليه وآله) على يهود خيبر سنة (٧هـ)، بعث إليهم يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فاختاروا الصلح ودفع نصف ثمار فدك، فصارت فدك فيئاً خالصاً للنبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنها لم تفتح بقتال، بل صولح أهلها عليها. الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٤٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٣٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص ١٣٧٩.

(٥) الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٦١؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٨٤-٨٥.

(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٧، ص٤٥.

الصلاتين إلاّ للضرورة[١]، في حين أنّ الروايات أكدت على أنّ رسول الله (ﷺ) قد صلى جمعاً في غير السفر إذ نقل ابن عباس انّه قال: صلى رسول الله الظهر والعصر جمعاً والمغرب والعشاء جمعاً في غير خوف ولا سفر[٢].

كذلك مِن الشواهد على صناعة القرار الديني في خلافة عمر بن الخطاب تحريمه متعة النساء، إذ يذكر انّه قال: "**متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما، متعة النساء ومتعة الحج**"[٣]، وهذا اجتهاد صريح في صناعة القرار الديني باجتهاد شخصي مِن قبل الخليفة عمر بن الخطاب يخالف ما جاء به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٤]، وتشير المصادر أنّ هذه الآية قد نزلت في زواج المتعة وهو الزواج المحدد بمدة مقابل أجر معلوم[٥]. ويدعم خذا ما ورد عن جابر الأنصاري[٦] قوله: "**كنا نستمتع على عهد رسول الله (ﷺ)، وأبي بكر حتى نهى عنها عمر**"[٧]، وبناءً على ذلك يمكن القول بأن النبي أقر المتعة والقرآن شرعها، وبناءً على ذلك فان تحريمها بناءً على قرار ديني اجتهد الخليفة الثاني بصناعته.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٠٣.

(٢) مالك بن أنس، موطأ مالك، ج٢، ص١٩٩.

(٣) مالك بن أنس، موطأ مالك، ج١، ص١٧١؛ ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣١٨.

(٤) سورة النساء، الآية ٢٤.

(٥) الصافي، تفسير الصافي، ج١، ص٤٣٨؛ الطباطبائي، الميزان، ج٤، ص٢٨٠.

(٦) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، صحابي جليل من الأنصار، وُلد قبل الهجرة بنحو (١٥) سنة، وهو ابن الصحابي الشهيد عبد الله بن عمرو الذي استشهد يوم أحد. شهد جابر بيعة العقبة وهو صغير، ولم يُجِز النبي (ﷺ) مشاركته في غزوة بدر ولا أُحد لصغر سنه، ثم شهد غزوة الخندق وما بعدها، وروى عنه عدد كبير من الصحابة والتابعين، وكان من كبار المكثرين في الرواية عن النبي (ﷺ)، حيث روى أكثر من (١٥٠٠) حديث، توفي بالبصرة سنة (٧٨هـ)، وقيل بعدها. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٥٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٣٧.

(٧) مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص١٠٢٣.

وكان عصر الخليفة عثمان بن عفان (٢٣–٣٥هـ) امتداداً لسابقيه مِن الخلفاء في صناعة القرار الديني واعتماده على الاجتهاد، إذ كان قد أمر بتقييد النص بالشروط السياسية، وابتعد عن السنة في قضايا مثل الصلاة والمصاحف وهذا شكّل انحرافاً في القرار الديني والمرجعية الدينية[١]، كما تميزت صناعة القرار الديني بطابع مركزي أكثر مقارنة بخلافتي أبو بكر وعمر، إذ توسعت صلاحياته، وأدى ذلك إلى قرارات دينية أثارت جدلاً واسعاً بين الصحابة[٢].

ومن مِن أبرز الشواهد جمع الناس على مصحف واحد وإحراق ما سواه، لقد جاء هذا القرار الديني بمشورة بعض مِن الصحابة ومنهم زيد بن ثابت[٣]، وعبد الله بن الزبير[٤]،

(١) مرتضى العسكري، خمسون ومائة صحابي مختلق، ج١، ص١٠٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٦٥.

(٣) زيد بن ثابت بن الضحّاك بن زيد الأنصاري النجاري الخزرجي المدني، أبو سعيد، من أشهر كتّاب الوحي وأحد فقهاء الصحابة، وُلد قبل الهجرة بـ (١١) سنة تقريباً، وأسلم صغيراً، وكان ذكيا، فجعله النبي (ﷺ) من كتّابه، وتعلّم العبرانية والسريانية بأمر النبي (ﷺ) في بضعة عشر يوما ليقرأ كتب اليهود، ولما توفي النبي (ﷺ)، اختاره أبو بكر الصديق لجمع القرآن، وقال له: "إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك". فكان أول من جمع القرآن في مصحف واحد، ثم جمعه مرة أخرى في عهد عثمان بن عفان، حين شكوا اختلاف القراءة، فكتب المصحف الإمام بقراءة قريش، ووزّعه على الأمصار، وتوفي سنة (٤٥هـ) على الراجح، وصلى عليه مروان بن الحكم، وقال: "ذهب اليوم علم كثير". ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٦٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٣٨٩.

(٤) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، وُلد في السنة الأولى للهجرة في المدينة المنورة، وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة، ففرح به المسلمون؛ لأنه كان ردّا على إشاعة اليهود بأن المهاجرين لا يُولَد لهم بعد خروجهم من مكة، أبوه الصحابي الزبير بن العوّام، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق، شهد مع النبي (ﷺ) عدة غزوات وهو صغير، ثم شارك في الفتوحات الإسلامية بعد وفاته، واشتهر بالشجاعة والورع والزهد، وكان من عبّاد التهجد، بعد مقتل الحسين بن علي، رفض عبد الله بن الزبير بيعة يزيد بن معاوية، وخرج عليه، ثم بايعه الناس خليفةً للمسلمين بعد موت يزيد، وبايعه أهل الحجاز والعراق واليمن ومصر، وبقي خليفة قرابة تسع سنوات، حتى جهّز عبد الملك بن مروان جيشًا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، فحاصره في مكة، وقُتل في عام (٧٣هـ) داخل الحرم، وكان عمره نحو (٧٢) سنة. ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٤٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٣٢٨.

وسعد بن أبي وقاص وأخرون وقال لهم: "**إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء مِن القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم**"(١)، ومن القرارات الدينية التي اصطنعها الخليفة عثمان بن عفان في خلافته هو إتمام الصلاة في منى بعد أنّ كان يصليها قصراً كما فعل النبي محمد (ﷺ) وأبو بكر وعمر(٢)، وقد شكل هذا القرار الديني تحولاً في التعاطي مع النص الشرعي، ورأى بعض منهم انّه مخالف للسنة، كما قال ابن مسعود(٣): "صليت مع رسول الله ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين ومع عمر ركعتين ومع عثمان صدراً مِن خلافته ثم أتم"(٤)، عكست صناعة القرارات الدينية في خلافة عثمان إضفاء الطابع التنظيمي والسياسي على الأحكام الشرعية، وهو تجاوز لحدود النصوص الثابتة وتقديم للاجتهاد السياسي على السنة النبوية، وهذا مهد لمزيد مِن التحولات في القرار الديني بعد الرسول محمد (ﷺ).

وفي خلافة الإمام علي (عليه السلام) (٣٥-٤١هـ) فقد اتسمت صناعة القرار الديني بالحكمة والاستناد إلى النص الشرعي، والابتعاد عن المصالح الفئوية، إذ تمثلت صناعة القرار برفضه (عليه السلام) الاجتهاد بالرأي مقابل النص حيث قال (عليه السلام): "لو كان الدين بالرأي، لكان باطن الكف أولى بالمسح مِن أعلاه، وقد مسح رسول الله ظاهر كفيه"(٥).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص١٨٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٢٥.

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة الهذلي، يكنى أبا عبد الرحمن، ومن السابقين إلى الإسلام، شهد غزوة بدر (٢هـ)، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وروي أنه هاجر مرة للهجرة ثم رجع، ومهنته كان فقيراً ولكنه كان من أقرّاء القرآن، فقد قال فيه النبي (ﷺ): "من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"، أرسله عمر بن الخطاب إلى الكوفة معلّما ويرعى شؤونها، فأقام بها ونزل إلى جانب المسجد، ثم رجع إلى المدينة في خلافة عثمان فتوفي فيها ودفن بالبقيع عام (٣٢هـ) عن نحو سته وستون عام. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٠٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص٩٧٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص٤٣؛ مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٤٨٣.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٩١.

وكان مِن أبرز قراراته الدينية موقفه مِن الخوارج، حيث لم يمنعهم مِن حضور المسجد، عبى الرغم مِن تطرفهم الفكري حيث قال (عليه السلام): "لكم علينا ثلاث: لا نمتعكم مساجد الله أنّ تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء[1] ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدأكم بقتال"[2].

ويتضح بأن الإمام علي (عليه السلام) قد رسخ نموذجاً فريداً في صناعة القرار الديني، امتزج بين الالتزام بالنص والمرونة بالتطبيق والعدالة في الحكم.

خامساً- صناعة القرار الحضاري:

شكّل صناعة القرار الحضاري في مسيرة الأمم، ركيزة أساسية في بناء الحضارات وديمومتها، إذ لا تقتصر على اتخاذ قرارات سياسية أم إدارية، بل شمل صياغة رؤيا شاملة للوجود الإنساني انطلاقاً مِن القيم، وقد مثل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في سيرته المباركة انموذجاً فريداً في هذا المجال، إذ أسس نظاماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً متكاملاً[3].

شكّلت المدينة المنورة المنطلق الحضاري الأول للدولة الإسلامية، وفيها مارس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) صناعة القرار الحضاري بوصفه قائداً ومؤسساً، لا مجرد زعيم ديني، فأول خطواته (صلى الله عليه وآله وسلم) تمثّلت في بناء المسجد النبوي، الذي لم يكن مجرد مكان للعبادة، بل مركزٌ لصناعة القرار السياسي والاجتماعي[4]، كما وتعد وثيقة المدينة مِن أبرز شواهد صناعة القرار الحضاري في زمن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كونها أسست لمبدأ التعددية القائمة على مفهوم التعايش الحضاري بين الأديان

(١) الفئ ما صار إلى المسلمين من أموال أهل الحرب بغير قتال، مثل ما يخلونه فزعاً من المسلمين، أو يتركونه صلحاً على غير جزية. الشافعي، الأم، ج٤، ص١٥٨.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٧٤.

(٣) الصدر، المدرسة الإسلامية، ص١١٢-١١٨.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٩٣.

داخل الدولة، وقد جاء في أحد بنودها: "**وانّه مِن تبعنا مِن اليهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين**"(١).

وأسهمت بعض القرارات الاجتماعية والاقتصادية إلى صناعة قرار عدالة التوزيع، إذ قال (ﷺ): "**من كان له فضل ظهر فليعيد به على مِن لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على مِن لا زاد له**"(٢)، هذا يدل على روح التكامل والتوزيع العادل كجزء مِن صناعة القرار مِن أجل العدالة في المجتمع، وكان تحريم الثأر والعصبية القبلية هو إعلان حضاري بإنهاء ثقافة العنف والثأر، إذ قال (ﷺ): "**ألا أنّ كل دم كان في الجاهلية قد جعلته تحت قدميّ**"(٣).

يتضح أنّ صناعة القرار النبوي لم تكن مجرد اجتهادات ظرفية، بل كانت تمثل مشروعاً حضارياً متكامل الأركان، انطلق مِن توجيه الوحي واستند إلى العقل مراعياً الواقع ومتغيراته، وقد نتج عن صناعة هذه القرارات الحضارية عن تحول جذري في بنية المجتمع الجاهلي.

كما مثل عصر الخلافة الراشدة (١١-٤١هـ) انموذجاً عملياً لتجسيد القيم الإسلامية في صناعة القرار الحضاري، مِن أجل إدارة الدولة والمجتمع، وقد أكدت قراراتهم بأن القرار الحضاري في الإسلام هو ليس ارتجالاً بل يستند إلى رؤيا قيمية.

اتخذ الخليفة أبو بكر قراراً حضارياً حيوياً مِن خلال إرسال بعثات تعليمية ودعوية إلى القبائل، إذ ينقل: "بعث أبو بكر معاذ بن جبل إلى اليمن ليعلم الناس الإسلام ويقيم القضاء"(٤)، وذكر الإمام الصادق (عليه السلام): "**كان معاذ مِن الذين بعثهم أبو بكر لتعليم الدين وتحكيم العدل، وكان فقيهاً زكياً**"(٥).

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٠٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢، ص٣٢١.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٨٢.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٢٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٤٠٣.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، ج٩، ص٧.

(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٥١.

أسهمت صناعة القرارات الحضارية في زمن أبي بكر في بناء القاعدة الفكرية للدولة، كما أسس صناعة قرار التقويم الهجري في خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) مرجعية زمنية إلى المجتمع، إذ ذكر بأن عمر بن الخطاب قال: "**الهجرة فرقت بين الحق والباطل فارضوا بها**"(١)، وروي أنّ الإمام علي (عليه السلام) هو مِن أشار عليه أنّ يكون التاريخ مِن شهر محرم، فوافق عمر(٢)، ومن هذا القرار الحضاري تم تأسيس للهوية الزمنية الإسلامية، ومثل حجر الزاوية في البنية التوثيقية لأي حضارة.

وكان لقرار الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) في بناء أسطول بحري إسلامي لأول مرة خطوة استراتيجية توسع مِن القدرة الدفاعية الإسلامية(٣)، كما شكّل قرار نقل عاصمة الخلافة الإسلامية مِن المدينة إلى الكوفة تحولاً حضارياً هاماً في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣٥-٤١هـ)، إذ نقل عنه (عليه السلام) انّه قال: "**والله إني لأعلم أنّ المدينة خير لهم، ولكنها ليست لي بدار مقام**"(٤)، إذ شكل صناعة هذا القرار توزيع القرار السياسي بما يتلاءم مع الجغرافية السكانية الجديدة.

وبناءً على ذلك يمكن القول بأن صناعة القرار الحضاري لا تقتصر على جانب واحد مِن جوانب الحكم، بل يشتمل رؤيا شاملة تنطلق مِن تثبيت الهوية وتوحيد المبادئ وبناء الإنسان والمجتمع.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٦٧.
(٢) الواقدي، أعلام الورى، ص٢٤٦.
(٣) الطوسي، تلخيص الشافي، ج٣، ص٢٥.
(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٣.

الفصل الثاني

صناعة القرار السياسي والعسكري في المغرب (٢٢-٩٢هـ)

المبحث الأول: العوامل العامة في صناعة قرار الفتح الإسلامي

المبحث الثاني: صناعة القرار السياسي والعسكري في العصر الراشدي حتى عام ٤١هـ

المبحث الثالث: صناعة القرار العسكري في العصر الأموي حتى عام ٩٢هـ

الفصل الثاني

صناعة القرار السياسي والعسكري في المغرب (٢٢-٩٢هـ)

خضعت أغلب مناطق المغرب لسلطة الدولة الإسلامية، وخلالها شهد تحولات كبرى على المستويين السياسي والعسكري، وقد كانت صناعة القرار عنصراً محورياً في توجيه مسار الأحداث، وتحديد ملامح السيطرة الإسلامية على هذه الرقعة الجغرافية.

اتخذت السياسات العامة من حيث صناعة القرار في المغرب آنذاك أشكالاً متعددة، عكست طبيعة التحديات القائمة وتنوع الفاعلين فيها، حيث برزت القرارات السياسية والعسكرية بوصفها ركناً أساسياً في فرض النفوذ والمواجهة، كما لعبت دوراً مهماً في ضبط العلاقات بين القادة المحليين والسلطة المركزية في الدولة الإسلامية، الى جانب ذلك ظهرت القرارات الادارية والتنظيمية.

وتكمن أهمية دراسة مظاهر صناعة القرار في هذه المرحلة إذ إنّها تظهر أنّ الدولة الإسلامية لم تعتمد على القوة العسكرية فحسب، بل مارست سياسة مرنة جمعت بين الحسم والمسايسة، وانطلاقاً مِن ذلك، يتناول هذا الفصل أبرز مظاهر صناعة القرار خلال تلك الفترة، مبرراً أبعادها والعسكرية، مع تحليل السياقات والدوافع التي أحاطت بكل نوع كم انواع القرار.

قبل الخوض في موضوع صناعة القرار السياسي والعسكري المتعلق بفتح بلاد المغرب، تقتضي الضرورة الوقوف أولاً على أبرز العوامل التي أسهمت في صناعة قرار التوجه نحو فتح هذه المنطقة، لما لذلك مِن أهمية في فهم خلفيات ودوافع ذلك القرار، ثم يمكن الانتقال إلى دراسة صناعة القرار السياسي والعسكري لهذا الفتح.

المبحث الأول

العوامل العامة في صناعة قرار الفتح الإسلامي

إنّ دراسة صناعة القرار المتعلِّق بفتح بلاد المغرب تقتضي التوقّف عند جملة مِن العوامل التي شكّلت الأساس الموضوعي والمنطقي لاتخاذ هذا القرار الإستراتيجي في التاريخ الإسلامي، فقرار الفتح لم يكن خطوة عشوائية أم وليدة نزعة توسّعية مجردة، بل جاء نتيجة تفاعل مجموعة مِن المعطيات التي أسهمت في تشكيل رؤية واضحة لدى صانعي القرار في الدولة الإسلامية، ممثلة في القيادة السياسية والعسكرية آنذاك.

جاءت في مقدمة هذه العوامل العامل الجغرافي، **إذ** لم يكن فتح المغرب قراراً عسكرياً عابراً، بل جاء نتيجة طموح سياسي بأهمية موقعه الجغرافي، كامتداد طبيعي لبلاد الإسلام مِن الشرق نحو الغرب، وكمفتاح للوصول إلى الأندلس لاحقاً، لقد أسهم الموقع الجغرافي، بما يحمله مِن أبعاد عسكرية واقتصادية، في تحفيز صانع القرار الإسلامي، خاصة في العصر الأموي، على المضي في هذا الفتح رغم الصعوبات الجغرافية والبشرية، وقد أشار عدد مِن الباحثين إلى أنّ العوامل الجغرافية كانت حاضرة بقوة في قرارات الفتح، لا سيما في شمال إفريقيا(١).

ولا بد من بيان أهمية هذا الموقع الجغرافي وتفاصيله للوقوف على الأهمية الجغرافية والأقتصادية للسيطرة الاسلامية وبالتالي معرفة صناعة قرار الفتح لهذه المنطقة، إذ يقع المغرب في القسم الشمالي مِن قارة إفريقيا، وبذلك

(١) حسين، الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، ص١٣٣؛ عبد الحليم، الجغرافيا السياسية للفتوحات الإسلامية، ص٩٢.

فانّه يضم الاقاليم الممتدة مِن برقة[١] الى المحيط الاطلسي غرباً، ويذكر ابن حوقل[٢]، من مصر وبرقة الى أفريقية وناحية تونس الى سبتة[٣] وطنجة[٤]، وذكر المقدس[٥]، في حدود بلاد المغرب مِن مصر الى السوس الاقصى[٦]. وجزيرة صقلية[٧]، والأندلس، وأول كورة مِن ناحية مصر هي برقة، في حين يذكر المؤرخ والجغرافي اليعقوبي[٨]، أنّ بلاد برقة مِن جملة اقاليم المغرب.

وقد أشار ياقوت الحموي[٩]، بأن أفريقية اسم لبلاد واسعة، ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية مِن طرابلس الغرب مِن جهة برقة والاسكندرية الى بجاية، في حين يحدد عبد الواحد

(١) برقة مدينة تقع في شمالي إفريقيا، كانت تُعد من أعمال إفريقية، وتمتاز بموقعها الساحلي بين مصر وطرابلس، مما منحها أهمية استراتيجية في الطرق التجارية والعسكرية، ولها حصون ومزارع، وكانت من قبل للروم ففتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب. الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٤٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٩٤.

(٢) صورة الارض، ص٦٤.

(٣) سبتة مدينة ذات موقع متميز، تقع على ساحل البحر المتوسط مقابل مضيق جبل طارق، وكانت تعد بوابة العبور من المغرب إلى الأندلس، وهي مدينة حصينة على ضفة بحر الزقاق، فيها مرسى حسن، وهي من بلاد المغرب، قريبة من الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٤.

(٤) مدينة ذات حصون وأبواب، تقع على البحر، وهي من بلاد المغرب، يشتهر أهلها بالتجارة والصيد، عامرة، فيها أسواق وجوامع، وموقعها استراتيجي على مفترق طرق بين إفريقيا وأوروبا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٦٠.

(٥) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص١٩٠٦.

(٦) السوس الاقصى تقع في جنوب المغرب الأقصى، وتتميز بتضاريس جبلية وساحلية تجمع بين السهول والجبال، وهي منطقة ذات أهمية تاريخية واقتصادية، حيث كانت موطنًا لقبائل أمازيغية معروفة، ومركزًا للزراعة والصيد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٥٠.

(٧) جزيرة عظيمة من جزر البحر، عليها مدن كثيرة وأسواق عامرة، وكانت مهد الفتوحات الإسلامية في البحر المتوسط. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٠.

(٨) كتاب البلدان، ص٣٠٣.

(٩) معجم البلدان، ج١، ص٣٢٨.

المراكشي[١] أفريقية مِن انطابلس[٢] برقة شرقاً الى قسطنطينية[٣] غرباً وتدخل طرابلس في هذه الحدود.

واشار ابن عذاري[٤]عن جغرافية المغرب بقوله: "**إن حد المغرب مِن ضفة النيل بالإسكندرية، التي تلي بلاد المغرب الى آخر بلاد المغرب، وحده مدنية سلا**"، ويبدو أنّ البلدانيين والجغرافيين قد اختلفوا في تحديد جغرافية أفريقية والمغرب.

أمّا المغرب الأدنى فيضم الإقليمين الاولين مِن ناحية الشرق مِن بلاد المغرب وهما برقة وطرابلس[٥]، ويضم اقليم المنطقة الممتدة مِن غرب مصر الى الاجزاء الشرقية مِن الجزائر والذي شهد ثلاث عواصم في العصور الوسطى هي القيروان[٦] أيام حكم

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص٣٤٩.

(٢) مدينة على ساحل البحر، من أعمال إفريقية، حصينة، وبها أسواق وموانئ، وقد شهدت فتح المسلمين في العهد الأموي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣١٠.

(٣) يقال قسطنطينة، بإسقاط ياء النسبة، قال ابن خرداذبه: كانت رومية دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملكا ونزل بعمورية منهم ملكان، وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلا، وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية وهي دار ملكهم إلى اليوم واسمها اصطنبول وهي دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عمّرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه، والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة، ولها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال، وجانباها الغربي والجنوبي في البر، وسمك سورها الكبير أحد وعشرون ذراعا، وسمك الفصيل مما يلي البحر خمسة، بينها وبين البحر فرجة نحو خمسين ذراعا، وذكر أن لها أبوابا كثيرة نحو مائة باب، منها: باب الذهب وهو حديد مموّه بالذهب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٧.

(٤) البيان الغرب، ج١، ص٥.

(٥) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص٢٠.

(٦) مدينة عظيمة في إفريقية، بنيت في زمن الصحابة، وهي مركز العلم والدين، وبها أسواق وحصون، وكانت قاعدة للفتوحات في المغرب الأقصى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٠.

الاغالبة[١]، ثم المهديون[٢]، ايام الفاطميين[٣]، ثم تونس في عهد الحفصي[٤] الذين حكموا الإقليم[٥].

---

(١) الأغالبة سلالة عربية حكمت إفريقية، تونس الحالية وأجزاء من الجزائر وليبيا، في الفترة ما بين (١٨٤هـ/٨٠٠م و٢٩٦هـ/٩٠٩م)، وكانت دولتهم تحت التبعية الاسمية للخلافة العباسية، مع استقلال فعلي في الشؤون الإدارية والعسكرية. أسس دولتهم إبراهيم بن الأغلب بعد أن ولاه الخليفة هارون الرشيد على إفريقية، فأسس إمارة مستقرة اتخذت من القيروان عاصمة لها، وأسهمت في صد الثورات الداخلية، وتنشيط التجارة، ونشر العمران، كما لعبت دورا مهما في الفتوحات، لا سيما في فتح صقلية الذي بدأ عام (٢١٢هـ/٨٢٧م) بقيادة أسد بن الفرات. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٢٠.

(٢) المهديون هم أتباع الدعوة الفاطمية الإسماعيلية التي ظهرت في المغرب الأقصى أواخر القرن الثالث الهجري، وكان مؤسسها عبيد الله المهدي، أول الخلفاء الفاطميين، الذي أعلن نفسه إمامًا مهدويًا من نسل فاطمة الزهراء (عليها السلام). وقد نجحت دعوته السرية التي انطلقت من بلاد المشرق في الوصول إلى قبائل كتامة في المغرب، حتى تمكّن من تأسيس الدولة الفاطمية سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، واتخذ من مدينة المهدية في إفريقية عاصمة له، وقد جمع المهدي في دعوته بين البُعد المهدوي العقائدي عند الشيعة الإسماعيلية وبين المشروع السياسي، فظهرت دولته كبديل عن الخلافة العباسية السنية المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٤٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٦٠.

(٣) العبيديون هو الاسم الذي أطلقه خصوم الفاطميين على مؤسسي الدولة الفاطمية، نسبة إلى مؤسسها عبيد الله بن الحسين المهدي (توفي٣٢٢هـ/٩٣٤م)، وذلك طعناً في نسبه الفاطمي. فقد ادّعى الفاطميون أنهم من نسل فاطمة الزهراء (عليها السلام)، بينما رأى المؤرخون السنيون أن عبيد الله ليس من آل البيت، وإنما هو رجل من أهل سلمية بالشام، نشأ ضمن الدعوة الإسماعيلية السرية، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى، حيث أسس دولته بعد استقطاب قبائل كتامة سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، واتخذ لقب المهدي بالله، وقد أسس مدينة المهدية في إفريقية، ومنها انطلقت الدولة الفاطمية لتغزو مصر لاحقاً سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥١.

(٤) الحفصيون سلالة أمازيغية من أصل موحدي، أسّست دولة في إفريقية، بعد ضعف الدولة الموحدية، واستقلوا رسميا سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م) بقيادة أبي زكريا يحيى الحفصي، الذي كان واليا على تونس من قبل الموحدين، ثم أعلن استقلاله واتخذ لقب السلطان. تنسب السلالة إلى أبي حفص عمر الهنتاتي، أحد قادة الموحدين المقربين من المهدي بن تومرت أصبحت تونس في عهدهم مركزا حضاريا وتجاريا مهما في المغرب الإسلامي، وتميّزت الدولة الحفصية بسياسة التوازن بين القوى المسيحية في البحر المتوسط والدولة المرينية في المغرب. ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٨٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٨٩.

(٥) السلاوي، الاستقصاء، ص٧١.

ويشمل المغرب الأوسط المنطقة الممتدة مِن مدينة بجابة[١] حتى وادي ملوية[٢] وجبال تازة غرباً وقاعدة تلمسان[٣] وجزائر بني مزغنة، وسمي بالمغرب الأوسط لتوسطه بين المغرب الأدنى والاقصى[٤]؛ وسمي بذلك لانّه ابعد اقسام المغرب عن دار الخلافة العربية الإسلامية، ويمتد مِن وادي ملوية وتلمسان شرقاً حتى مدينة اسفي[٥]، على المحيط الاطلسي غرباً وقاعدته مدينة فاس[٦]، ولابد مِن الاشارة بأن جغرافية المغرب هي وحدة متجانسة مِن الناحية الطبيعية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية إذ يتميز بتنوع البيئة مِن السهول الساحلية على امتداد شواطئ البحر المتوسط الى سلاسل جبلية عالية تفصل السهل الساحلي عن بقية اقاليم المغرب، ثم الصحراء الكبرى الممتدة في المناطق الجنوبية منه.

يتوضح أنّ للموقع الجغرافي أهمية في العمليات العسكرية عبر التاريخ وكان للمقاتلين الفرسان دوراً بارزاً في الاستفادة مِن المظاهر الجغرافية مِن سهول وجبال فضلاً عن الموارد الطبيعية والخيرات الاقتصادية في ديمومة الحملات العسكرية التي كان لها دور بارز في تاريخ المغرب الإسلامي ويؤثر ذلك على توجه الحكام لصناعة القرار.

---

(١) بجاية: من أعظم مدن المغرب الأوسط، كثيرة الخصب والماء، وأهلها ذوو فصاحة وعلم، دينة حسنة على ساحل البحر من بلاد المغرب، عامرة، ذات أسواق وتجارات، ومنها يُحمل الشمع إلى سائر البلاد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٢٤.

(٢) هو وادٍ في المغرب، فيه قرى كثيرة، ويعرف بنهر ملوية، يجري من جبال الأطلس حتى البحر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٢.

(٣) تِلِمْسان: مدينة كبيرة من أعمال المغرب، كثيرة المياه، واسعة العمارة، قديمة، وهي على طرف البرّ من جهة الغرب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩.

(٤) العتيبي والعامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ص٣٧-٣٨.

(٥) أسفي مدينة في أقصى المغرب، على البحر، عامرة، ذات خصب وخير كثير. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٣.

(٦) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٢٢.

ومن الاسباب الدافعة لصناعة قرار الفتح هو وجود الروم في هذا الجزء مِن أفريقية كان يضايق وجود العرب في مصر واقرار الإسلام بها[١]، وكان لرغبة العرب المسلمين في تطويق القسطنطينية مِن جهة الغرب بغزو ممتلكات الامبراطورية البيزنطية مِن الشمال الافريقي وغرب البحر المتوسط[٢]، كما أنّ قرب دمشق عاصمة الخلافة في العصر الأموي مِن البحر المتوسط واعتناء الامويين الشديد ببناء الاسطول العربي وسعيهم لتوفير مادته الصناعية[٣]، لقد كانت الطرق التي تربط بين مصر وبرقة مأمونة ومطروقة فلما فرغ عمرو بن العاص مِن فتح الاسكندرية، أراد أنّ يؤمن الحدود الغربية لمصر، مِن أيّ خطر، لاسيما خطر مهاجمة الروم الذين كان لهم حضور كبير في الشمال الافريقي[٤].

ومن العوامل الأخرى الدافعة نحو قرار الفتح هو العامل الديني، إذ شكّل أحد أبرز المحفزات في اتخاذ قرار التوجّه نحو بلاد المغرب، وفي حينها كان لدى القادة الرغبة في نشر الاسلام وتوسيع رقعة الدعوة، انطلاقاً مِن التوجيهات القرآنية والنبوية التي تحثّ على تبليغ الدين للعالمين.

لقد كان الصحابة والتابعين الذين تولّوا مسؤولية القيادة السياسية والعسكرية آنذاك، يستندون في قراراتهم إلى قوله تعالى:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[٥]، وهو نصّ صريح يوضّح أنّ الهدف مِن الجهاد لم يكن مجرّد التوسّع الجغرافي، بل إزالة العوائق التي تحول دون وصول الدعوة إلى الناس.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣١٤.

(٢) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٤، ص٢٥٥.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٥٦.

(٤) سعودي، الوطن العربي، ص٥٠٤-٥٠٨.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٣٩ .

كما أنّ خطاب النبي محمد (ﷺ) الموجّه إلى الملوك والزعماء يدعم هذا التوجّه، فقد أرسل الرسول (ﷺ) رسائل إلى ملوك الأمصار يدعوهم إلى الإسلام، مثل رسالته إلى المقوقس حاكم مصر، ما يدلّ على أنّ نشر الإسلام في شمال إفريقيا، ومنه المغرب، كان امتدادًا طبيعيا لهذه السياسة التبليغية، وقد أورد ابن هشام[١] هذه الرسائل في سيرته قائلًا:" **ثم كتب رسول الله (ﷺ) إلى المقوقس صاحب مصر يدعوه إلى الإسلام**"، وهو ما يُظهر التمهيد الفكري والعملي لانتقال الدعوة إلى تلك الربوع.

وعند النظر إلى الفتوحات التي سبقت فتح المغرب، يتبيّن انّها جاءت كلها ضمن هذا الإطار، إذ تمّ فتح مصر أولاً على يد عمرو بن العاص سنة(٢٠هـ)، وهي خطوة مهّدت لفتح بلاد المغرب باعتبارها الجناح الغربي لمصر، وكان القادة المسلمون يُدركون أنّ استقرار الإسلام في المغرب جزء لا يتجزأ مِن تثبيت أركان الدعوة في شمال إفريقيا بالكامل، وقد أكّد المؤرخ ابن عبد الحكم[٢] هذا المعنى حين ذكر في سياق حديثه عن فتح المغرب:" **وكان المسلمون إذا فتحوا بلداً، أرسلوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام، فإن أجابوا قبلوا منهم، وإنّ أبَوا قاتلوهم حتى يظهر دين الله**".

كما أنّ شخصية عقبة بن نافع[٣]، القائد البارز في فتح بلاد المغرب، كانت تجسّد هذا البُعد الديني، حيث يُروى عنه قوله حين وصل إلى ساحل المحيط

(١) السيرة النبوية، ج٤، ص٢٦٣.

(٢) فتوح مصر والمغرب، ص١٦١.

(٣) هو عُقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظَفَر الفِهري القُرشي، وُلد في مكة المكرمة في أوائل القرن الأول الهجري، ويُعد من أبرز قادة الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا في عهد الدولة الأموية. تولّى قيادة الجيوش الإسلامية في إفريقية، وأسس مدينة القيروان سنة (٥٠هـ)، لتكون قاعدة عسكرية ودينية للمسلمين، قام بعدة حملات لتثبيت الإسلام في المغرب الأوسط والأقصى، وواجه مقاومة من بعض القبائل البربرية المتحالفة مع الروم استُشهد سنة (٦٣هـ/٦٨٢م) في معركة بمنطقة تُعرف بـ "تهوذة". ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢.

الأطلسي[١]: "**اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل مِن كفر بك حتى لا يُعبد أحد سواك**"[٢]، وهو قولٌ صريح يُعبّر عن أنّ دافعه الأساس كان نشر الدين، وليس السعي وراء مكاسب دنيوية بحتة.

لم يقتصر قرار الفتح الإسلامي للمغرب على الأبعاد الجغرافية والدينية، بل كان للعوامل الشخصية دور ملموس في صناعة هذا القرار ودفعه نحو التنفيذ، حيث برزت طموحات القادة السياسيين والعسكريين، وحرصهم على تحقيق مكاسب شخصية مادية ومعنوية، سواء مِن خلال السعي وراء الغنائم والأموال، أم مِن خلال التقرب إلى مركز الخلافة، وترسيخ مكانتهم في الدولة الإسلامية[٣].

ومن أبرز الشخصيات التي جسّدت هذه العوامل القائد عقبة بن نافع الفهري، الذي كان طموحه العسكري ودافعه الديني متداخلين مع رغبته في تحقيق مجد شخصي وزيادة نفوذه، وقد أشار ابن عبد الحكم إلى أنّ عقبة كان يُدرك أنّ التوغّل في بلاد المغرب سيمنحه مكانة رفيعة لدى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، خاصة وأن هذه البلاد لم تكن قد خضعت بالكامل للإسلام مِن قبل، وهو ما يُعَدّ إنجازاً كبيراً على الصعيد الشخصي والسياسي[٤].

أمّا على المستوى السياسي، فقد كان القادة يتطلعون إلى نيل رضا معاوية بن أبي سفيان، والتقرب إليه مِن خلال تحقيق انتصارات عسكرية تُعزّز مِن موقعهم داخل بنية

(١) منطقة عامرة، قريبة من الموضع الذي أُسست فيه مدينة القيروان لاحقاً وقد دخلها المسلمون بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح خلال حملته على إفريقية سنة (٢٧هـ)، ومنها انطلقت المعارك ضد الروم بقيادة جرجير، حاكم سبيطلة، وكان لها دور في التمهيد لتأسيس قاعدة عسكرية دائمة للمسلمين، هي مدينة القيروان، التي أسسها فيما بعد القائد عقبة بن نافع سنة (٥٠هـ) في نفس الإقليم. البكري، المسالك والممالك، ص١٧٤.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص١١٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٤.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٦٨.

الدولة، وهو ما ظهر في علاقة عقبة بن نافع ومعاوية بن أبي سفيان، حيث يروي ابن خلدون أنّ معاوية قرّب عقبة وأوكل إليه مهمة التوسّع في المغرب لما عُرف عنه مِن شجاعة وطموح، ولأن نجاحه في هذه المهمة سيزيد مِن مكانته لدى الخليفة(١).

ولا يقتصر هذا العامل على عقبة وحده، بل امتد إلى قادة آخرين مثل حسان بن النعمان الغساني(٢)، الذي كان يدرك أنّ تثبيت أقدام المسلمين في بلاد المغرب سيجعله محلّ تقدير في البلاط الأموي، إلى جانب ما يحصده الجيش مِن الأموال والأنفال، وقد أشار ابن الأثير إلى أنّ الغنائم شكلت جزءًا مِن الدافع العسكري في الحملات على بلاد المغرب، بجانب الأهداف الدينية والسياسية(٣).

يتبيّن أنّ قرار الفتح الإسلامي للمغرب جاء نتيجة تداخل عوامل متعدّدة، أبرزها الموقع الجغرافي المهم للمنطقة كامتداد طبيعي لتأمين حدود الدولة، والأهمية الاقتصادية المرتبطة بذلك فضلاً عن الدافع الديني المتمثّل في نشر الإسلام، إلى جانب الطموحات الشخصية للقادة، سواء لتحقيق المجد، أم الحصول على الغنائم، أم التقرب مِن مركز الخلافة، هذا التداخل جعل الفتح خطوة مدروسة، تخدم المصالح الدينية والسياسية والشخصية في أنّ واحد.

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص١١٧.

(٢) حسان بن النعمان بن المنذر الأسدي، قائد وعسكري بارز من قبيلة الأسدية، ولد في القرن الأول الهجري. تولى قيادة الجيش الإسلامي في إفريقية بعد عقبة بن نافع، حيث شارك في عدة حملات عسكرية ناجحة ضد الروم والبربر، وساهم في ترسيخ الوجود الإسلامي في شمال إفريقيا، خاصة في المغرب. عُرف بحنكته وشجاعته في المعارك، وكان له دور أساسي في تثبيت الفتح الإسلامي في المغرب، توفي في أوائل القرن الثاني الهجري بعد مسيرة حافلة بالانتصارات، ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٥٠-٢٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢١٠-٢١٥.

(٣) الكامل في التاريخ،ج٤، ص٢٠٢.

المبحث الثاني

صناعة القرار السياسي والعسكري في العصر الراشدي حتى عام ٤١هـ

إنّ معرفة طبيعة صناعة القرار السياسي والعسكري في صدر الإسلام، لاسيّما في سياق الفتح الإسلامي للمغرب، تقتضي النظر في الجهات القائمة على اتخاذ القرارات السياسية والعسكرية، وقد أظهرت التجربة الإسلامية أنّ بعض القرارات كانت تُتخذ بصورة فردية مباشرة مِن الخليفة أم القائد، وذلك في الحالات التي تتطلب حسماً وسرعة، فيما كانت قرارات أخرى تعتمد على المشاورة الجماعية، حيث يُستأنس بآراء أهل الشورى، ممن عُرفوا الدراية والحكمة، قبل أنّ يُعتمد القرار ويُوجّه للتنفيذ.

كما كان لتحقيق الفتوحات في المغرب بُعد مادي لا يمكن إغفاله، يتمثّل في الغنائم والثروات التي تزخر بها تلك البلاد، وهو ما شكّل عامل جذب للقادة والجنود على السواء، وقد أوضح البلاذري هذا الجانب حين ذكر أنّ قادة الفتح، فضلاً عن نشر الدعوة، كانوا يدركون ما في بلاد المغرب مِن ثروات ومغانم، ما جعل التوجّه إليها يلقى قبولاً واسعًا بينهم(١).

وتتجلى هذه المنهجية في فتوحات المغرب، إذ كان الخليفة هو صاحب القرار الأعلى، بينما يُنيب عنه الوالي، الذي يوجّه القرار إلى القائد الميداني، بالتفاعل مع آراء المجتمع المحلي والجند، وكانت هذه الطبقات الأربع تشكل في مجموعها بنية صناعة القرار السياسي في المغرب خلال تلك الفترة(٢)، وبناءً على ذلك فأن صناعة القرار ترتبط بالجهات التالية هي الخليفة، والوالي، والقائد الميداني ودور المجتمع والعسكر.

---

(١) فتوح البلدان، ص٢٣١.

(٢) محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص١١.

إن اتخاذ قرار فتح بلاد المغرب يعد بمثابة صناعة قرار للإسلام بالنسبة لهم؛ وذلك مِن اجل السيطرة على هذه البلاد، إذ أنّ صانع القرار هو الذي يتحلى بصفات معينة، ويعد عقبة بن نافع اول مِن دخل أفريقية في خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ)، بعد أنّ فتح مصر في سنة (٢٠هـ/٦٤١م)،ووجه عقبة بن نافع الفهري إلى لوبية[١] وأفريقية، فاقتحمها، ثم توجه عمرو بن العاص بنفسه إلى برقة المسماة بالرومية الاغريقية بنطابليس، فحاصرها وقاتل اهلها من السكان المحليين[٢]، فتمكن مِن فتحها بعد أنّ صالح أهلها على جزية يدفعونها مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار[٣]، ومن برقة تجهز عمرو بن العاص لغرض فتح طرابلس، وذلك لاتمام قرار فتح طرابلس تطلب الامر الإعداد لخططاً عسكرية مِن خلال تجهيز قوتين، قوة تأخذ الطريق الساحلي، وهدفها مدينة طرابلس وما يليها مِن المدن، وعهد بقيادتها الى القائد عقبة بن نافع الفهري، وقوة فرعية هدفها المناطق الصحراوية الجنوبية واحتفظ بقيادتها لنفسه، وكان الهدف مِن هاتين القوتين هو تأمين الساحل مِن الخطر البيزنطي وتأمين المناطق الداخلية لغرض منع أيّ محاولة أم أيّ عمل تقوم به القبائل الصحراوية يعيق مِن خلاله تقدم القوات الإسلامية، وربما ندرك ما سارت به الحملات العسكرية تجاه المناطق الساحلية والمناطق الجنوبية متزامنة مع بعضها بعد أنّ تمكنت القوات الإسلامية بقيادة عمرو

(١) لُوبِيَةُ: بالضم ثم السكون، وباء موحدة، وياء مثناة من تحت: مدينة بين الإسكندرية وبرقة، ينسب إليها لوبيّ، وقال أبو الريحان البيروتي: كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعا لها فما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف أي البردي من جانب المشرق وهذا كله يسمى لوبية، والقسم الآخر اسمه أورقي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج٣، ص٢٦.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٢٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٥.

بن العاص مِن فتح مدينة سرت[١]، بعدما حاصر مدينة طرابلس وجرد خيلاً كثيفة مِن ليلتها وأمرهم بسرعة السير نحو مدينة سيرت، وفي غفلة من اهلها تمت السيطرة عليها والاستحواذ على الكثير من الغنائم[٢].

يبدو أنّ صناعة القرار العسكري الذي جاء بإخبار مشجعة للمسلمين والقادة مِن خلال القائد عقبة بن نافع الذي اسهم في استمرار فتح المناطق القريبة منها والتي تشكل بوابة أفريقية وبلاد المغرب، مما يوضح أهمية الجانب الاستطلاعي في صناعة القرار العسكري كذلك يظهر مِن السابق أنّ صناعة قرار الفتح، جاءت قبل الشروع في العمل العسكري مِن حيث تخصيص الأموال الكثيرة التي يمكنها أنّ تغطي الحملات وكذلك بيان قدرة القائد في تنظيم الجيش والتفكير الجيد تجاه أيّ حملة عسكرية مِن خلال تجربة سابقة فضلاً عن دور الخلافة في دعم تلك الخطوات والاسهام في التخطيط لها.

هذا الامر يكشف اهمية القائد العسكري من خلال معرفته في جوانب التخطيط والمواجهة ويظهر ذلك من توصيات عمرو بن العاص الذي عرّف قادة الفتح بمدى أهمية القرب مِن الساحل، ومبلغ خطورة التوغل في الداخل، والفائدة مِن وراء كسب ولاء القبائل المغربية أم ضمان حيادها على الأقل لأحكام السيطرة على البلاد [٣]، غير أنّ الخليفة رفض طلبه ومنعه مِن التوغل اكثر مِن ذلك[٤]، فاستجاب عمرو بن العاص لذلك الامر، وقرر العودة الى مصر بعد ان عين قائده عقبة بن نافع على هذه المناطق، متخذاً مِن برقة مركزا له وذلك سنة (٢٢هـ)[٥].

---

(١) سرت: موضع من مواضع برقة، وهو بحر في وسط البلاد يقال له خليج سرت، كان يعرفه القدماء من مواطن التجارة والملاحة، وكان موضعاً ذا شأن في أيام الرومان والبيزنطيين لما له من موقع على الساحل بين إفريقية ومصر، وقد استولى المسلمون عليه ضمن فتح برقة، فصار من الموانئ التي يسير إليها القوافل ويُتاجر فيها، وموقعًا يشد إليه النفوس، وسرت من الأماكن التي فتحت على يد المسلمين، وكانت لهم عونا وميناء يجددون فيه رجوعهم. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٩٨.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٣٦.

(٣) زغلول، تاريخ المغرب الإسلامي، ج١، ص١٤٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٨.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٣٣.

ان النجاح العسكري الذي تحقق للمسلمين في فتح برقة وباقي المدن سالفة الذكر، فضلاً عن زيادة عدد القوات العسكرية وانكشاف اراضي أفريقية ساعد الوالي عمرو ابن العاص على المضي للإعداد العسكري وتوفير المعدات اللازمة لغرض المواجهة مع القوات الرومية في أفريقية وبدعم الخلافة حيث شن حملة عسكرية سنة (٢٣هـ-٦٤٤م)، في جيش كثيف وعدة حسنة فاجتاز برقة قاصدا طرابلس حيث عسكر بالقرب منها فارضاً عليها الحصار شهراً كاملاً لمناعتها، وليقظة الروم الذين يتولون الدفاع عنها، حتى اخرج ذات يوم طليعة من المقاتلين متنكرين في صورة صيادين، فمضوا إلى غرب المدينة في الجانب البحري ولم يكن عليها سور مِن هذه الناحية، فساروا على الضفة ومن يراهم يخالهم مِن أهل المدينة، وكانت سفن الروم شارعة في مراسيها قبالة البيوت، فانتظروا انحسار الماء ثم دخلوا المدينة حتى توصلوا إلى الكنيسة، فكبروا تكبيرة واحدة صدحت لها الآفاق وأفزعت الروم ولم يجدوا ما يقيهم مِن فزعهم غير سفنهم فأسرعوا اليها[١].

وحين سمع عمرو بن العاص التكبير دفع جنوده على الأبواب ففتحوها، ولم يفلت منهم احد إلاّ مِن فر ولاذ بمركب العدو، فكان فتحا مبينا ينذر الروم بساعة انقراض تسلطهم على أفريقية والمغرب[٢]، واستمرت عمليات السيطرة والتوسع مِن خلال قيام عمرو بن العاص بإنزال قوة نحو الداخل أسند قيادتها إلى بسر بن أبي أرطاة[٣]، لإخضاع جبل نفوسة[٤]، ثم مدينة ودان[٥]، إذ آمن أهلها سنة (٢٣هـ/٦٤٤م)[٦]، لكن فعاليات عمرو بن العاص العسكرية في هذا الاقليم قد توقفت بأمر مِن الخليفة عمر بن

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٩.

(٢) الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٣٠.

(٣) بسر بن أبي أرطأة كان من فرسان العرب وشجعانهم في صدر الإسلام، ونسبه يدل على أنه من قبيلة ذات مكانة بين العرب، شارك في غزوات وفتوحات إسلامية، وكان من المجاهدين الذين ثبتوا في ساحات القتال. الزبيري، نسب قريش، ص٤٣٩.

(٤) ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار أفريقية وتونس، ص٢٦.

(٥) وَدّان من بلاد إفريقية، وهي مدينة معروفة تقع في برّ الصحراء بين طرابلس وفزان، وكانت محطة مهمّة على طريق القوافل التجارية، إذ قال: «وَدّان، بالفتح ثم التشديد، وآخره نون: بلدٌ بإفريقية في برّ الصحراء، بينها وبين طرابلس مسيرة أربع عشرة مرحلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٠٣.

(٦) السامرائي، تاريخ المغرب العربي، ص٥٤.

الخطاب؛ وذلك لعدم رغبته في زيادة التوغل والمجازفة بأرواح المسلمين في تلك المجاهيل[١].

ظل عمرو بن العاص واليا على مصر حتى سنة (٢٥هـ/٦٤٥م)، وخلالها لم يقم بأعمال فتح تذكر في أفريقية، والأرجح أنّ ذلك كان؛ بسبب تردي الأوضاع في بعض المناطق كالإسكندرية التي انتفضت على الحكم الإسلامي، واغلب الظن انّه ركز جهوده في العمل على إقرار الأوضاع واستتباب الامن في مناطق مصر[٢].

تتضح معالم صناعة القرار الساسي تجاه الحملات العسكرية من خلال التخطيط للخروج بقرارات جيدة وقابلة لتحقق الأهداف، ويبدو ان قرار الخليفة عثمان بتكليف عبد الله بن أبي سرح بعمليات الفتح بدأ منذ سنة (٢٥هـ) وكان مِن جند مصر وقال له: "**إن فتح الله عليك فلك مِن الفيء خمس الخمس نفلا**"، وامر عبد الله بن نافع بن عبد القيس[٣]، وعبد الله بن نافع بن الحارث[٤]، بالاجتماع مع أبن أبي سرح، فخرجوا حتى

(١) موسى، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرب حتى انتهاء ثورات الخوارج، ص١٩.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٣٣.

(٣) عبد الله بن نافع بن عبد القيس الأزدي البَصري، من أهل البصرة، وكان من القادة والوجهاء في الدولة الأموية، وُلّي على إفريقية في أيام عبد الملك بن مروان، وذلك بعد مقتل زهير بن قيس البلوي، وكان عبد الله بن نافع من سادات الأزد، وأصحاب البأس والنجدة، وله ذكر في قتال البربر والخوارج، وكان شديدا في أمره، قويَّ الشكيمة، لا تأخذه في الله لومة لائم، غير أن أمره لم يطل، فقتله صالح بن يزيد الخارجي سنة (٧٦هـ) تقريباً، بعد أن استولى على القيروان. أبن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٢.

(٤) عبد الله بن نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي، من رجال ثقيف، وكان من أصحاب الشرف والمكانة في قومه، وولي القضاء والقيادة، وكان على شرطة ابن الزبير، وله أثر في الحوادث التي جرت بعد مقتل الحسين بن علي (عليه السلام)، وقد عُرف بالحزم والشدة. ويُذكر أنه كان ممن نُسِب إليهم الوَلاَء للبيت الأموي في بعض أطوار حياته، وقيل إنه ولي شرطة الحجاج بن يوسف الثقفي بعد قدومه العراق، وكان من القُساة في تنفيذ الأوامر، وله مواقف في تعقب أصحاب ابن الأشعث والثوار. أبن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٨٥.

قطعوا ارض مصر، ووطئوا أرض أفريقية بالقرب من قرطاجنة[١]، وكانوا في عشرة الاف مِن شجعان المسلمين، فصالحهم اهلها على مال يؤدونه، ولم يقدموا على دخول أفريقية والتوغل فيها لكثرة اهلها[٢].

وبغية استكمال متطلبات القرار العسكري استمرت المغرب باعتمادها على الجهود الكثيفة، مِن بناء قاعدة أمينة تحمي تلك الإمدادات وتؤمن لها احتياجاتها، وهذا مالم يتم تأمينه في ذلك الوقت، إذ لم تكن مصر قد استوثقت أمورها بعد، فلم يزل الخطر الروماني البيزنطي قائماً، محاولين استعادت نفوذهم وسيطرتهم عليها[٣]، لأجل تلك الأسباب عاد عمرو بن العاص إلى الفسطاط[٤] ليشرف على تنظيم الادارة فيها وتحصينها وتثبيت قوة دعائمها مما يجعلها مركزاً مهماً لقيادة العمليات العسكرية لإتمام فتح المغرب للإسلام، وعندها كان عمرو بن العاص قد ترك عقبة بن نافع على رأس حامية عسكرية في مدينة

(١) تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الإيبيرية، أسسها الرومان في عهد الجمهورية الرومانية بعد استيلائهم على المنطقة من القرطاجيين خلال الحروب البونيقية، أصبحت قرطاجنة الرومانية مركزاً استراتيجياً هاماً على البحر المتوسط بفضل موقعها الطبيعي الجيد كميناء ومحطة بحرية، فضلاً عن كونها مركزاً اقتصادياً وتجارياً مزدهراً. لعبت المدينة دوراً حيوياً في توطيد السيطرة الرومانية على شبه الجزيرة الإيبيرية وشمال إفريقيا، واحتفظت بأهميتها عبر العصور الرومانية، حيث شهدت تطورات عمرانية وثقافية بارزة، منها بناء المسرح الروماني والمنتديات. بيرني، التاريخ الروماني القديم، ج٢، ص٢٢٠-٢٤٠.

(٢) محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص٣٧.

(٣) سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص١٥٢.

(٤) الفُسطاط، دارُ مُلكٍ ومصرٌ من أمصار المسلمين بأرض مصر، ابتناها عمرو بن العاص لما افتتح مصر في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وذلك بعد واقعة عين شمس، فلما أراد عمرو الرحيل إلى الإسكندرية لضرب الروم، أمر بنصب فسطاطه عند موضعٍ من الأرض، فلما فتح الله عليه الإسكندرية، رجع فوجده قائماً كما تركه، فقال: "هذا موضع الفُسطاط"، فاختطّ المدينة وبنى فيها المسجد الجامع، فسُميت المدينة كلّها بـ "الفُسطاط"، فكانت أول مدينة إسلامية تُبنى في مصر، ومنها انتشر الإسلام إلى سائر البلاد. البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٣١٧.

برقة[١]، فضلاً عن نجاح عقبة في كسب ودّ كثير مِن أهالي البلاد مِن قبائل البربر من لواتة[٢] فدخلوا في الإسلام[٣].

شهدت السياسة العسكرية صناعة قرار جديد في فتح بلاد المغرب ايام الخليفة عثمان بن عفان(٢٥-٣٥هـ) وكانت الاستعدادات تجري قبل اتخاذ هذا القرار مثلما جاء في قصة الاستخارة عن المسور ابن مخرمة[٤] حيث روى انّه خرج مِن منزله ليلاً قاصداً المسجد النبوي فإذا بعثمان بن عفان في مصلى النبي (ﷺ) فوجده يصلي فصلى خلفه ثم جلس فدعى ليلاً طويلاً حتى اذن المؤذن ثم قام منصرفاً الى بيته، فقال:" **فقمت في وجهه فسلمت عليه فقال: يابن مخرمة اني استخرت الله تعالى في ليلتي هذه في بعث الجيوش الى أفريقية وقد كتب الى عبد الله ابن أبي سرح يخبر بخبره مع المشركين وغلبها وقرب حوزهم مِن المسلمين فقلت: أستخار الله امير المسلمين فقال فما رأيك يا ابن مخرمة؟ فقلت اغزوهم فقال اجمع اليوم الاكابر مِن اصحاب الرسول (ﷺ) واستشيرهم فما اجمعوا عليه فعلته أم ما اجمع عليه اكثرهم فعلته**"[٥].

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٢٤.

(٢) قبيلة لواتة من كبريات القبائل البربرية ذات الامتداد الواسع في شمال أفريقيا، وقد نسبها النسّابون إلى لَوَات بن حمير على ما يذكره الإخباريون، وقد استوطنت لواتة منذ عصور مبكرة المناطق الممتدة من برقة إلى مشارف الإسكندرية، وانتشرت بطونها كنفوسه ونفزاوة في برقة، وصحراء مصر الغربية، وصولًا إلى بلاد المغرب، قد لعبت لواتة دوراً عسكرياً وتجاريا مهما، مستفيدة من موقعها الجغرافي الرابط بين مصر والمغرب، كما ساهمت في الحركات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة منذ الفتح الإسلامي وحتى العصور اللاحقة. ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٤٤.

(٣) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٩.

(٤) المسور بن مخرمة هو صحابي جليل من بني زهرة القرشي، ولد في مكة سنة ٢ هـ، وهاجر إلى المدينة مع أسرته في ذي الحجة سنة ٨ هـ، أدرك النبي محمد (ﷺ) وهو صغير، وشارك في الفتوحات الإسلامية، خاصة معركة القادسية. بعد مقتل عثمان بن عفان انحاز إلى عبد الله بن الزبير، وقاتل معه حتى استُشهد في حصار مكة سنة ٦٤هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٣.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٦.

جاءت صناعة القرارات السياسية العسكرية لتنسجم مع رغبة الولاية في مصر مِن خلال قرار الفتح وذلك عبر الحملة الاستطلاعية، وكذلك الحملات المنظمة التي انطلقت بعد ذلك، ولهذا وفرت القيادة المتطلبات الاساسية التي تحتاجها هذه المواجهة وبدأت تلك باتخاذ الخطوات منها فتح بيوت السلاح لعبد الله أبي سرح والمقاتلين المسلمين في هذه الحملة(١)، فضلا عن الدعوة الى مشاركة مشاهير العرب وابناء الصحابة في هذه المواجهة وبالفعل اشترك كثير منهم لذلك سميت بحملة العبادلة(٢) فضلاً عن مساهمة رجال العرب والقبائل المحيطة بالمدينة مِن الحجاز حتى بلغت الحملة العشرين ألف مقاتل(٣).

بدا ابن أبي سرح بإرسال حملات صغيرة يغلب عليها الطابع الاستطلاعي، على الرغم مما ترجع به مِن بعض الغنائم الا انها في الوقت نفسه تعود بتقارير واخبار عن اوضاع المناطق المختلفة وتلك التقارير جعلته يرسل الى الخليفة طالباً المدد منه للقيام بعمليات الفتح وتحرير المناطق التي كان المسلمون قد فتحوها سابقاً، وبعد استشارة الخليفة عثمان بن عفان لأصحابه في امر المدد لابن أبي سرح، جهز جيشاً يتألف مِن اعداد كبيرة مِن رجال القبائل المحيطة بالمدينة والحجاز منها قبائل مزينة وكانت بقيادة الفارس بلال بن الحارث(٤)، وبعض القبائل

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٩.

(٢) يُطلق لقب العبادلة في التراث الإسلامي على أربعة من كبار الصحابة، اشتهروا بكثرة روايتهم للحديث، وعمق علمهم، وهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص. وقد لعب هؤلاء دوراً بارزاً في نقل السنة النبوية والفتوى بعد وفاة النبي محمد (ﷺ)، حتى عُرفوا بـ "العبادلة الأربعة"، ويُجمع علماء الحديث على أن هؤلاء الصحابة تميزوا بالضبط والرواية. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٣١.

(٣) الدباغ، معاني الإيمان، ج١، ص٣٣.

(٤) بلال بن الحارث بن سِمَّة المزني، من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وكان من العابدين الزاهدين، شهد مع النبي (ﷺ) بعض المشاهد، وبعثه على الصدقات، وله رواية عن رسول الله (ﷺ)، وكان فقيهًا فاضلًا، دخل على النبي (ﷺ) يشكو إليه القحط، فدعا له بالغيث فاستُجيب له، وكان من أهل المدينة، ومات بها في حدود سنة (٦٠هـ). ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٣٠٦.

الآخرى مثل: جهينة[١]، وسليم[٢]، واسلم[٣]، وغفار[٤]، وغطفان[٥]، وفزا[٦]، أما في مصر التحق الكثير مِن رجال القبائل العربية بجيش بن أبي سرح ومعظمهم مِن اليمنية لا سيما مهرة[٧]،

(١) جهينة: قبيلة عظيمة من قبائل قُضاعة، نسبُها إلى جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وهم من العرب القحطانية على القول المشهور في قضاعة، وقيل من العدنانية. كانت منازلهم في الجاهلية بين المدينة إلى جهة الشام، وكانوا أهل نجدة وبأس، وفيهم عدد من الصحابة والفرسان. قال ابن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب: ومن بني قضاعة: بنو جهينة، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وكانوا يسكنون نواحي المدينة، ولهم عدد وشوكة. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٧٨.

(٢) بنو سُليم، وهم بنو سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وكانوا بالحجاز، ثم دخلوا إفريقية مع الفتح، وانتشروا بها، ولهم عدد وبأس شديد، وكان بنو سُليم من أشد قبائل العرب بأسا، وكان دخولهم إلى إفريقية في الدولة الفاطمية، واستقر أكثرهم ببرقة وصحراء تونس، وانتشروا في الأرياف والبوادي. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣١٩؛ ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص٣٦.

(٣) أسْلَم، قبيلة عربية معروفة، تنتسب إلى أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، وقيل هم من خزاعة، وهم من القبائل القريبة من النبي (ﷺ)، وكان لهم وفود في الإسلام، ومواقف في الجهاد. نزلوا المدينة وما حولها، وكان منهم رجالٌ صالحون، وقد دخل كثير منهم في الإسلام مبكرًا، وبايعوا النبي (ﷺ)، وشاركوا في الغزوات. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٩.

(٤) تنتسب إلى غِفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فهي من قبائل كنانة العدنانية، وكانت منازلهم بين مكة والمدينة، قريباً من طريق القوافل، وكانوا يُعرفون بالنجدة والشدة، وبعضهم كانوا يتعرضون للقوافل قبل الإسلام، فلما دخلوا في الإسلام صاروا من خيرة المسلمين. وقد وفدوا إلى النبي (ﷺ)، فأسلموا، وكان فيهم الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٤.

(٥) غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، منهم عبس وذبيان وأشجع، وكانت لهم دارٌ واسعة ونفوذٌ قوي، ولهم شرف وكرم في الجاهلية، وأسلم كثير منهم بعد الحديبية. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٦.

(٦) التميمي، طبقات علماء افريقية والأندلس، ص٦٨-٧٠؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١٠؛ النصيري، الاستقصا، ج١، ص٨٦.

(٧) من بطون كندة القحطانية، وهم بنو غنيّث بن مُعاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة، وكانت لهم مساكن في أطراف حضرموت واليمن، ومنهم من انتقل إلى نجد والحجاز. وهم من القبائل اليمانية ذات الأصل النبيل، وكان فيهم فرسان ورجال ذوو بأس، وذكرهم أهل النسب من العرب، وإن قلّ ذكرهم في صدر الإسلام. أبن الكلبي. نسب معد واليمن الكبير، ص٢٤٣.

وغنث[١] وميدعان[٢] مِن الأزد، وبعض رجال القبائل مِن كندة الذين كانوا بقيادة الفارس المقداد بن الاسود الكندي[٣]، وبعض مِن لخم وجذام[٤]، ونجد تنظيم الوالي ابن أبي سرح لجيشه على افضل المستويات[٥].

ويبدو من السابق أنّ صناعة القرار اللحملات العسكرية خضعت للعديد من الجوانب الأخرى مثل االغنائم المتوقع ان يتم الحصول عليه مِن عمليات الفتح، فضلاً عن تحقيق الجاهزية من خلال تنظيم الجيش والتفكير الجيد تجاه الحملة العسكرية ومراجعة التجارب السابقة.

لقد تم الاستعداد للمواجهة من خلال عمل الخطة العسكرية عن طريق الوالي عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهذا ما يظهر خروج جيش العبادلة السبعة مِن

(١) من بطون كندة القحطانية، وهم بنو غنيّث بن مُعاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة، وكانت لهم مساكن في أطراف حضرموت واليمن، ومنهم من انتقل إلى نجد والحجاز. وهم من القبائل اليمانية ذات الأصل النبيل، وكان فيهم فرسان ورجال ذوو بأس، وذكرهم أهل النسب من العرب، وإن قلّ ذكرهم في صدر الإسلام. أبن الكلبي. نسب معد واليمن الكبير، ص٢٤٣.

(٢) مَيْدَعَان، قبيلة من قبائل حمير القحطانية، تُنسب إلى ميدعان بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن، من كهلان، وقيل: من ولد حمير بن سبأ. كانت منازلهم في اليمن، ولهم ذكر في أيّام العرب، وهم من أهل السيادة والعدد، وإن لم يكثر فيهم الصحابة ولا الرواة، إلا أن النسابين أثبتوا نسبهم في جمهور قبائل حمير. الهمداني، الاكليل، ج٢، ص١٨٧.

(٣) المِقداد بن عمرو بن ثَعلبة بن مالك بن رِبيعة البَهراني الكِندي، حليف بني زهرة، يُكنى أبا مَعْبَد، ويُعرف بالمِقداد بن الأسود، لأنه تبنّاه في الجاهلية الأسود بن عبد يغوث الزهري، فنُسب إليه، حتى نزلت آية: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾. الأحزاب:٥، فرجع إلى نسبه الأصلي. كان من أول من أسلم، ومن السبّاقين إلى الإيمان، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ)، وكان فارساً شجاعاً، لا يُشق له غبار، وقال فيه النبي (ﷺ)، "ما بقي أحدٌ من أصحابي أُحبّ أن ألقى الله بصحيفته إلا المِقداد". وكان من أهل الفضل، توفي سنة (٣٣هـ) في خلافة عثمان بن عفان. أبن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١٣٦٥.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٨٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٦؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١٠.

(٥) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١١٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩٠.

مصر سنة (٢٧هـ/٦٤٧م) وعلى قيادته وهدفه مدينة سبيطلة[١]، التي يتخذها الروم البيزنطيين عاصمة لهم ويحكمها يومئذ جريجوريوس[٢] الذي كان قد خلع طاعة الإمبراطور هرقل واستقل بحكم المغرب[٣]، وفي مدينة برقة التي كانت قاعدة أفريقية ومنطلق الحملات نحو المغرب، وفيها حامية يقودها عقبة بن نافع الفهري، التقت بحملة العبادلة بحامية برقة وانضمت جزءا من القوات اليها لتواصل زحفها لاستكشاف المناطق المتقدمة وتأمين خطوط مواصلات الحملة[٤].

ومن الملاحظ أن عقبة بن نافع قد اتخذ سرت ببرقة مركزا لقواته، ومنها قام بغزوات عدة الى داخل البلاد لاسيما الواحات الغربية مِن فزان وودان وزويلة والسودان[٥]، ويبدو انّه كان يرسل بتقاريره عن الأوضاع في المناطق المختلفة، الأمر الذي أفاد أبن أبي سراح في وذلك عقب اطلاعه على تلك التقارير الهامة.

والملاحظ على أنّ القائد ابن أبي سرح لم يضيع الوقت عندما حاصر طرابلس هذه المرة لان اهلها استفادوا مِن التجربة السابقة حين فتحها المسلمون، فحصنوها جيدا وكذلك لم يمعن في مقاتلة الحامية البيزنطية في مدينة قابس[٦]،

---

(١) سبيطلة: مدينة من مدن إفريقية وهي كما يزعمون مدينة جرجير الملك الرومي، وبينها وبين القيروان سبعون ميلاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص٠١٨٧

(٢) يُعد جريجوريوس النازيانزي (Gregorius Nazianzenus)، المعروف أيضًا بـ "القديس غريغوريوس اللاهوتي"، واحدا من أبرز الآباء الكبادوكيين في الفكر المسيحي، وُلِد في القرن الرابع الميلادي حوالي (٣٢٩م) وتوفي سنة (٣٩٠م)، وُصف بأنه أحد أهم المفكرين اللاهوتيين في الكنيسة الشرقية، حيث عُرِف بخطبه العميقة التي دافع فيها عن عقيدة التثليث ضد بدعة الآريوسية. تولّى منصب أسقف القسطنطينية لفترة قصيرة، وأسهم في تثبيت العقيدة الأرثوذكسية خلال مجمع القسطنطينية الثاني، وقد أثّرت كتاباته في الفكر المسيحي الشرقي واللاتيني على حدّ سواء. شيخو، دائرة المعارف المسيحية الشرقية، ج٢، ص١٣٥.

(٣) السامرائي، تاريخ المغرب العربي، ص٥٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٤.

(٥) البكري، المسالك والممالك، ص١٤٥.

(٦) النويري، نهاية الارب، ج٢، ص٤.

ويبدو انّه اكتفى بإرسال عدد مِن السرايا قبل أنّ يتوجه الى سبيطلة مقر الحاكم البيزنطي جرجير أم جريجوريوس[١]، والارجح أنّ مهمة تلك السرايا التي سيقوم بها الفرسان كانت هجومية لمباغتة اعوان الحاكم البيزنطي، فضلاً عن سرايا الاستطلاع وذلك لمعرفة الاخبار وتمهيد الأوضاع للهجوم على سبيطلة مِن قبل الجيش الإسلامي في سنة (٢٧هـ)، إذ توجهت الحملة مباشرةً اليها، حيث كان (جرجير) معسكرا بجيشه الضخم، وعدده يتراوح بين مائة وعشرين ألف جندي، ومائة ألف جندي[٢]، ونجد بعض المصادر تورد روايات عدة حول فتح سبيطلة ـ قام احد الؤرخين باستعراضها[٣].

نزلت القوات الاسلامية بموضع يسمى قمونية[٤] وهو موضع بالقرب مدينة القيروان، وهناك بث السرايا في كل ناحية وكان هناك ملك جرجير الي تبادل الرسائل بينه وبين أبن سرح وقد دعاه للإسلام فرفض رفضا قاطعا فعاه إلى اخراج الجزية كل عام فقال جرجير:" **لو سألتموني درهما لم افعل**" فتهيأ الناس للقتال، فكان مِن بين القرارات أنّ يشن ابن سرح القتال على الملك جرجير؛ لأنه لم يقبل الدعوة إلى الإسلام ولم يقبل دفع الجزية لذلك قرر ابن سرح أنّ يهيئ جيشه للقتال[٥].

وفي العادة كان المسلمين خلال هذه الحقبة يعرضون على المدن ثلاث امور هي: الإسلام، أم الجزية، أم الحرب، واياً كان فان اختيار المواجهة هو القرار في

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩.

(٣) سالم، المغرب الكبير، ص١٥٧.

(٤) قمونيه منطقة عامرة قريبة من الموضع الذي أُسست فيه مدينة القيروان لاحقاً وقد دخلها المسلمون بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح خلال حملته على إفريقية سنة (٢٧هـ)، ومنها انطلقت المعارك ضد الروم بقيادة جرجير، حاكم سبيطلة، وكان لها دور في التمهيد لتأسيس قاعدة عسكرية دائمة للمسلمين، هي مدينة القيروان، التي أسسها فيما بعد القائد عقبة بن نافع سنة (٥٠هـ) في نفس الإقليم. البكري، المسالك والممالك، ص١٧٤.

(٥) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٨٤؛ محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص٣٩.

نهاية المطاف ، ونشبت معركة عنيفة بين الجيشين، ولان جيش الروم كان ضخم العدد مقارنة بجيش المسلمين إذ انضمت الى جرجير جماعات مِن الروم والبربر الموالين لهم مِن العاصمة ومن الحصون الغربية وسبيطلة[١]، فاشتد الضغط على المسلمين، وخشي ابن أبي سرح أنّ يتمكن البيزنطيون مِن التغلب على المسلمين، وهنا تذكر رواية انّه قام بطلب المدد مِن الخليفة عثمان بن عفان وارسل الفارس عبدالملك بن مروان الى المدينة ليسلم طلب المدد، ويقال مروان بن الحكم، وإنّ كان هذا الطلب يبدو مستبعداً؛ نظرا لطول المسافة الى المدينة التي تأخذ وقتاً طويلاً. وقد استمرت المناوشات اياما كان القتال يستمر فيها مِن الصباح الى الظهر[٢].

تظهر الروايات دور ابن الزبير في صناعة الخطة العسكرية في حسم موقعة سبيطلة[٣]، وإنّ هناك فرصة لقتل القائد جرجير، فاقترح على ابن أبي سرح أنّ يجعل معه ثلاثين فارساً يحمون ظهره عند اقتحام مخيم جرجير، وتم تنفيذ الخطة فيقول ابن الزبير: "**فحملت مِن الوجه الذي هو جرجير وذب عني الذين انتدبوا معي أو اتبعوني حتى خرقت صفوفهم –البيزنطيين– الى ارض خالية فضاء بيني وبينهم، فو الله ما حسب إلاّ اني رسول اليه حتى رأى ما بي مِن اثر السلاح، فقدر اني هارب اليه، فلما ادركته طعنته فسقط... واجهزت عليه ورفعت رأسه**

(١) المالكي، رياض النفوس، ص١١.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ص١١.

(٣) موقعة سبيطلة هي معركة تاريخية وقعت في منطقة سبيطلة الواقعة في شمال إفريقيا خلال مرحلة الفتح الإسلامي للمغرب العربي في القرن الأول الهجري، وتحديدا في عهد القائد العسكري الإسلامي عقبة بن نافع. مثلت هذه المعركة نقطة حاسمة في تثبيت الوجود الإسلامي في بلاد المغرب، إذ تمكن المسلمون من خلالها الانتصار على قوات المقاومة المحلية التي ضمت قبائل البربر وبقايا الوندال، مما مهد لسيطرة المسلمين على سبيطلة، التي كانت مركزاً حضرياً واستراتيجياً هاماً. وتعد هذه المعركة جزءاً من سلسلة الحملات التي قادها عقبة بن نافع لتوسيع النفوذ الإسلامي في شمال إفريقيا، وأسهمت في تسهيل الفتح الإسلامي لباقي مناطق المغرب. الواقدي، المغاز، ج٣، ص٢٠٠-٢٢٠؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٥٠-١٦٥.

على رمحي، وجال اصحابه، وحمل المسلمون مِن ناحيتي وكبروا، فأنهزم الروم وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وثأرت الكمائن مِن كل جهة ومكان..."[١].

يظهر مما اطلعنا عليه أنّ الدور البارز في صناعة القرار في غزو جرجير ولجماعة للفرسان في حسم هذه المعركة العظيمة لصالح المسلمين، بالرغم مِن التفوق العددي الهائل لقوات الروم البيزنطيين فكان لتلك الخطة التي نفذها المسلمون اثرها الفاعل في تحطيم معنويات الجند البيزنطيين، فقد اذهلهم ذلك الهجوم المباغت وفت في عضدهم وهم يرون مصرع قائدهم، مما أعطى الفرصة للجيش الإسلامي بفرسانه ومشاته أنّ يشدوا الكرة على اعدائهم ويمزقوا أوصالهم، وبناءً على ذلك فان ما يظهر مِن فرسان المسلمين ورجالهم نحو سبيطلة التي سبقت خيولهم الى أسوارها قبل أنّ تصل خيول فلول الروم، وتمكن المسلمون مِن فتح سبيطلة بعد أنّ قضوا على حاميتها وغنموا فيها غنائم كبيرة[٢].

ان الانتصار العسكري في سبيطلة شجع القادة على اتخاذ قرارات جديدة في فتح السيطرة على مناطق أخرى وكذلك الزحف نحو مدينة قرطاجنة فضلاً عن الحملة على حصن الاجم حيث فتحه في هذه السنة فضلاً عن ذلك اضطر زعماء بعض المدن الاخرى في أفريقية الى طلب الصلح[٣].

ثم أراد ابن أبي سرح أنّ يستغل هذا الانتصار بالاستيلاء على قرطاجنة، فبث السرايا في البلاد فبلغت قفصه[٤] فسبوا وغنموا، كما سير حملة الى حصن الأجم وتم فتحة[٥]،

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٠.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٠.

(٤) مدينة فصة المعروفة قديما بـ "توسا" أو "توسة" تقع في الجنوب الغربي من تونس الحالية، وتُعد من أقدم المراكز الحضرية في منطقة شمال أفريقيا. ذُكرت قفصة في المصادر التاريخية القديمة كجزء من المناطق التي استولى عليها الرومان بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب. وكانت مدينة توسّة مركزا زراعيا وتجاريا مهما خلال العهد الروماني. البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٥-٨٠.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٤.

وتلك السرايا لا بد انها تكونت مِن فرسان الجيش لطبيعة المهمة المكلفة بها وما يتطلبه الوضع مِن سرعة، وقد اضطر زعماء المدن الأفريقية الى طلب الصلح مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وإنّ يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار مِن الذهب على أنّ يكف عنهم ويعود مِن حيث اتى، فوافق بن أبي سراح(١).

إن اتخاذ قرار العودة مِن قبل ابن أبي سرح لم يكن ايجابيا فبعد هذا النصر الكبير أضاع عليه فرصة استثمار ذلك النصر، فلم يعين قائداً على أفريقية ، وقد استغرقت غزواته تلك ما يقارب خمسة عشر شهراً، ورأوا أنّ ما قام به لا يعدو أنّ يكون غارة طويلة الامد(٢)، وقد أوجز مؤنس(٣)، أسباب القرار المتخذ بمغادرته البلاد دون ان يترك والياً عليها وهي على النحو التالي:

١- ان مهمة عمليات الفتح كانت تتطلب جهود كثيفة وقاعدة أمينة تحمي تلك الامدادات ومنطقة استيطان في الاراضي التي فتحت حديثاً وهي مِن احدى السلبيات التي أخذت على حملة عبدالله بن أبي سرح، ويمكن الأخذ برأي عبد العزيز سالم بقوله: إن مصر لم تكن قد استوثقت امورها بعد، فلم يزل الخطر الروماني البيزنطي قائماً، محاولين استعادة نفوذهم وسيطرتهم عليها(٤)،وفي تلك المدة كان المشرق الإسلامي يشهد توتراً شديداً نتيجة لقتل الخليفة عثمان بن عفان والذي كان هذا السبب؛ الذي انهى حملته نتيجة لارتباطه بأحداث المشرق الإسلامي بحكم الفتنة الكبرى التي حدثت، و لو كانت الدولة البيزنطية بين سني (٣٥-٤٥هـ/٦٥٥-٦٦٥م) على شيء مِن الانتظام والقوة لاستطاعت أنّ تستعيد أفريقية على أهون سبب(٥).

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٦٨؛ ياقوت الحموري، معجم البلدان، ج١، ص٣٠١.

(٢) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٨٦-٨٧؛ طه، الفتح والاستقرار، ص١١٥.

(٣) فتح العرب، ص١١٢.

(٤) سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص١٥٢.

(٥) مؤنس، فتح العرب، ص١١٢.

٢- استغرقت هذه الحملة تقريباً الخمسة عشر شهراً، انسحب بعدها أبن أبي سرح عائداً إلى الفسطاط، إذ يبدو انّه وضع اعتبارات خاصة لعودته الى مصر، كأن تكون تحركات القوات الرومانية في البحر المتوسط والمدن الحصينة، والمدة التي قضاها في تلك الحملة والإنهاك الذي أصاب قواته(١)، دفعته الى إعادة التنظيم بعد أنّ أخذ على الروم العهد والجزية التي أخذت منهم.

ويتضح من هذه الحملة العسكرية التي أدتّ إلى سقوط مدينة سبيطلة بيد المسلمين إلى انهيار الحكم البيزنطي في معظم المناطق التي كانت تحت نفوذ جرجير(٢)، وتوالي انتصارات المسلمين في مواقع متعددة مما دفع الروم البيزنطيين الى اللجوء الى الحصون والمعاقل(٣)، مما أدى بالنتيجة إلى اذعان رؤسائهم لمطالب المسلمين بدفع مبالغ كبيرة بلغت الثلاثمائة قنطار مِن الذهب(٤).

وتجدر الاشارة الي أنّ سهم الفارس مِن الغنائم في فتح سبيطلة كانت ثلاثة الاف دينار وسهم الراجل ألف دينار(٥) وايا كان فقد وردت اشارات الى أنّ عبدالله بن أبي سرح أعاد الكرة على أفريقية سنة (٣٣هـ/٦٥٣م) حين نقض أهلها العهد فانتصر عليهم وأعاد النظام الى ربوعهم، واقرهم على الإسلام والجزية، كما أنّ ابن أبي سرح ركز جهوده لبناء أسطول بحري عربي، مِن أجل إنهاء السيطرة البيزنطية على البحر المتوسط، وقد قام سنة (٣٤هـ/٦٥٤م) بمهاجمة الاسطول البيزنطي شرقي البحر المتوسط وهزمه في المعركة المشهورة باسم ذات الصواري(٦)، ويظهر أنّ الظروف السياسية التي كانت تمر بها دولة

(١) الدباغ، معالم الأيمان، ج١، ص٤٢.
(٢) مؤنس، فتح العرب، ص٥٨.
(٣) أبن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٢.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٨.
(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج٣، ص٥٣؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج١، ص٨٠.
(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٣٢١؛ الكندي، كتاب الولاة، ص١٣.

الخلافة وما أصابها مِن اضطرابات ومنازعات قد أدتّ الى انحسار واضح في عملية الفتوحات في أفريقية ؛ لما شهده المشرق من أحداث الفتنة بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان الأمر الذي أدى الى أنقطاع الامدادات عن القوات في المغرب وتحول الاتجاه نحو بلاد المشرق(١).

(١) مؤنس، فتحر العرب للمغرب، ص١١٠.

المبحث الثالث

صناعة القرار السياسي والعسكري في العصر الأموي حتى عام ٩٢هـ

شكّل العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ) مرحلة مفصلية في تاريخ الدولة الإسلامية، تميّزت باتساع رقعة الفتوحات، وترسيخ أسس الحكم المركزي، وتطوّر أساليب الإدارة العسكرية، ومن أبرز الملامح التي برزت في هذا العصر، تطور صناعة القرار العسكري، بوصفها عنصراً حيوياً في توجيه الجيوش، وتوسيع حدود الدولة، وإخماد الفتن والثورات الداخلية.

ويعد القرار العسكري آنذاك نتاج تفاعل بين الخلافة المركزية في دمشق وبين الولاة والقادة الميدانيين، الذين أُوكلت إليهم مهام كبرى تتعلق بالفتح، والإدارة، وتثبيت الأمن، وقد عُرف عدد مِن خلفاء بني أمية بسطوتهم في توجيه دفة القرار العسكري، مثل معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان[١]، والوليد بن عبد الملك[٢]، ممن أظهروا إدراكا لأهمية التخطيط العسكري طويل الأمد، واختيار القادة الأكفاء، وربط القرار العسكري بالمصلحة السياسية والاقتصادية.

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي (ت٨٦هـ)، يكنى أبا الوليد، تولّى الخلافة سنة (٦٥هـ) بعد وفاة أبيه، فكان من أقوى خلفاء بني أمية وأشدهم حزمًا. جمع بين الفقه والسياسة، فقضى على الفتن، ووحّد الدولة، وعُرف بدهائه في الإدارة، فسكّ النقود، وعرب الدواوين، ووطد سلطة الدولة المركزية، كان له دور بارز في صناعة القرار العسكري من خلال تعيين ولاة أقوياء كالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٠.

(٢) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، يكنى أبا العباس، وُلد سنة (٥٠هـ)، وتولّى الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الملك سنة (٨٦هـ). كان الوليد، شديد العناية بالفتوح، فدوّن الدواوين، وثبّت الثغور، ووجّه الجيوش إلى المغرب والأندلس والسند، وكان عصره من أعظم عصور الإسلام اتساعاً، توفي الوليد سنة (٩٦هـ)، ودفن بدمشق، وكان له دور مهم في صناعة القرار العسكري من خلال توجيه قادة الفتح، كموسى بن نصير وطارق بن زياد، في سياسة توسعية مدروسة تميز بها عهده عن سابقيه. أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٤.

تنوعت آليات اتخاذ القرار العسكري في العصر الأموي، فشملت إصدار الأوامر المباشرة مِن الخليفة، والمراسلات بين الولاة، والتقارير الاستخبارية مِن ساحة المعركة، والمشورة المحدودة، فضلا عن التقييم المستمر لإداء القادة، وعزلهم أم تثبيتهم بحسب نتائج المعارك والفتوحات.

وكان التواصل بين الولاة والمركز يتم عبر مراسلات مستمرة تحمل تقارير رسائل عن حركة الجيوش وأحوال المناطق المفتوحة، كما يقول ابن عبد الحكم(١): "**كان عقبة يرسل إلى الخليفة رسائل تفصيلية عن سير الفتوحات، ويستشير في مسألة تعيين الولاة وحركات الجيش، مما يتيح للخليفة اتخاذ القرار المناسب بناءً على واقع الميدان**".

أمّا فيما يتعلق بالمشورة، فقد كان هناك مجال محدود لها بين كبار القادة وأهل الرأي، حيث يؤكد الذهبي(٢): "**لم يكن القرار في الحملات الكبرى مجرد صدور أمر فردي، بل كان يأخذ في كثير مِن الأحيان هيئة جماعية تستشير فيها الخبرات العسكرية والسياسية**".

وكانت سياسة تقييم الإداء جزءا أساسيا مِن آليات اتخاذ القرار، فقد كان القادة يثبّتون في مواقعهم إذا نجحوا، ويعزلون إذا قصروا، وهو ما أكده ابن خلدون(٣): "**كان مِن خصائص الدولة الأموية الحرص على تثبيت القادة الأكفاء في مواقعهم وعزل مِن يخلّ بالتوجيهات، وكان هذا سببا في استمرار الفتوحات وثبات الدولة**".

أن صناعة القرار العسكري في العصر الأموي كانت نظاما متكاملاً بين السلطة المركزية، والمعلومات الميدانية، المشورة المحدودة، والتقييم المستمر، ما ساعد على تحقيق النجاح والتوسع في الفتوحات، لا سيما في بلاد المغرب حتى عام (٩٢هـ)، فمع بدايات

(١) فتوح مصر وأفريقيا، ص٩٨.
(٢) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٥٦.
(٣) المقدمة، ص٢٤٥.

العصر الأموي (٤١هـ) توقفت الفتوحات لبلاد المغرب؛ وذلك لمجموعة اسباب هي أنّ مراحل الفتح وصنع القرار في السياسة الخارجية والحملات العسكرية مِن قبل القادة العرب المسلمين هو اول خطوة مِن صناعة القرار للفتح، وهذه القرارات ما هي إلاّ مراحل لفتح المغرب الإسلامي[١]، وقد اثرت فتنة عثمان وما تلاها مِن الاحداث في نشاط البعوث حيث لم يكن مِن الميسور للقادة والجند أنّ يستمروا في الفتوح بعد أنّ انتشرت نيران هذه الفتنة حيث انقطعت عنهم الامدادات وكان مِن الصعب ارسال الجند الى الأطراف ولكن بعد استقرار الامور لمعاوية كادت الحملات العسكرية الأولى في السيطرة على مناطق المغرب[٢].

إن صناعة قرار الفتح جاء بعد أنهاء سنوات الفتنة وتوفر الفرصة الملائمة مستغلين سخط تلك البلاد من الروم[٣]، إذ استنجد أهل أفريقية بالعرب ليخلصوهم مِن مظالم الروم الذين قد ابتدعوا مذهباً جديداً واخذوا يفرضونه على أهل الولايات وكذلك يذكر ابن الاثير أنّ هرقل قد أرسل الى اهلها بطريقاً يأمره بأخذ الأموال والضرائب منهم مثلما اخذ المسلمون[٤].

كانت امور أفريقية على حال مِن الاضطراب إذ ذكر أنّ معاوية ابن حديج[٥] قد وصل الى أفريقية وهي نار تضطرم؛ لأن الدولة ارادت أنّ ترهق الاهلين بدفع مبلغ عظيم

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٢٠.

(٢) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١١٠.

(٣) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١١٢.

(٤) الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥.

(٥) معاوية بن حُديج بن جُفنة الكِندي، يُكنى أبا نعيم، من قبيلة كندة اليمنية، وُلد في أوائل القرن الأول الهجري، وكان من كبار القادة الأمويين ومن أبرز أنصار معاوية بن أبي سفيان، شارك في معركة صفين ضد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، واشتهر بعدائه الشديد له، وتولّى إمرة مصر بعد قمع فتنة محمد بن أبي حذيفة، كما شارك في الفتوحات البحرية ضد الروم، وكان له دور بارز في تثبيت نفوذ الدولة الأموية في مصر والمغرب، وتوفي سنة (٥٢هـ). أبن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٣٨٥؛ أبن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١٨٥؛ أبن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٨٠.

يوازي مما دفعوه للعرب فاشتد النزاع بين الفريقين حتى اضطر الافارقة الى طرد عامل الامبراطور فعاد الى بلاده، و ربما كان ذلك هو السبب؛ في ارسال الجيش الاسلامي بقيادة معاوية ابن حديج وكانت سلطة الامبراطور قد ضعفت بحيث لم يبقَ منهم إلاّ القليل(١).

سار معاوية ابن حديج على رأس عشرة الالف جندي(٢)، يريد أفريقية وقد سار على مقربة مِن الساحل وقد تقدم حتى افضى الى سهل تونس وحط رحاله في ناحية قمونيه، وكان معه في جيشه نفر كبير مِن الصحابة والتابعين ثم تقدم معاوية الى الشمال حيث اقترب مِن البحر واستقر في مكان يسمى القرن حيث اتخذه مركزاً لأعماله، ومن هناك أرسل عبد الله ابن الزبير بتتبع الروم فاستولى عبدالله على سوسة(٣)، وغنم منها بعض الغنائم ثم بعد ذلك وقع اختيار معاوية ابن حديج على عبد الملك بن مروان حيث قام بالذهاب غرباً حيث حصن جلولاء(٤) وقد استطاع الاستيلاء عليها لكن خلافاً قد وقع على قسمة غنائم جلولاء بين معاوية ابن حديج وعبدالملك بن مروان حيث أراد عبد الملك أنّ يختص بالغنيمة له ومن رافقه مِن الجند في حين رأى معاوية انها مِن حق الجيش كله فاضطر ابن حديج الى استشارة الخليفة معاوية بن أبي سفيان حيث حسم الاخير النزاع

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥.

(٢) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٠.

(٣) تقع على الساحل الشرقي لما يُعرف اليوم بالجمهورية التونسية، وتُعد من أقدم المدن في منطقة إفريقية، أسسها الفينيقيون باسم "هَدْرُمِتوم"، ثم ازدهرت في العهدين الروماني والبيزنطي، قبل أن تدخل تحت الحكم الإسلامي خلال القرن الأول الهجري. كانت ذات أهمية عسكرية وتجارية، وبنى بها المسلمون الرباط الشهير الذي صار من معالم الجهاد البحري ضد الروم، كما كانت قاعدة بحرية مهمة في العهد الأغلبي. البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٢.

(٤) جُلّولة: بضم الجيم وفتح اللام المشددة، بلدة بإفريقية من أعمال القيروان، وبها حصن مشهور، وهو ما يدل على أنّ جُلّولَّة كانت بلدة محصّنة تتبع القيروان، واتخذت موقعاً عسكرياً مهماً في العهد الإسلامي المبكر ضمن المنظومة الدفاعية في المغرب الإسلامي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٥٢.

وقرر أنّ الغنائم مِن حق الجيش كله[١]، ثم سار معاوية الى الشمال حيث كانت وجهته بنزرت[٢] حيث افتتحها وخلف بعد ذلك على طرابلس صحابياً اسمه رويفع بن ثابت الأنصاري[٣]، حيث قام الأخير بحملة قصيرة عبر بها البحر الى جربة وهي جزيرة مجاورة للساحل، ففتحها وعاد سريعاً، ولم تكن لحملة معاوية ابن حديج أيّ نتائج تذكر حيث لم تكن خطوة لإتمام الفتح الإسلامي للبلاد وانما كانت غارة قد طالت حيث استولى العرب فيها على مدينتين قليلتي الاهمية ثم تخلو عنها وعادوا[٤].

بقدوم عقبة بن نافع الفهري ينتهي دور المحاولات الأولى ويبدأ الفتح الثابت المستقر، وتعد اعماله الحجر الاول في بناء أفريقية الإسلامية وقد بدأ عمله والمسلمون في سهل تونس وانتهى منه والمسلمون في برقة وإنّ حملته الكبرى كانت قوية استطاعت أنّ تشق طريقها وسط البلاد وتمهد كل شيء في سبيلها حتى تنتهي الى المحيط[٥].

لقد تمتعت شخصية عقبة بميزات معينة مكنته مِن اتخاذ خطوات كبيرة وقرارات مهمة في السيطرة الإسلامية[٦]، وقد طال به الزمن وهو يترقب الفرصة ليستأنف ما بدأه وهو

---

(١) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٢٣.

(٢) بنْزَرْت: مدينة ساحلية تقع في أقصى شمال الجمهورية التونسية، عُرفت في العصور القديمة باسم "هيبو ديارتوس"، وكانت ميناءً مهماً في العهدين الفينيقي والروماني، ثم دخلت تحت الحكم الإسلامي في النصف الأول من القرن الأول الهجري، خلال الفتوحات الإسلامية في المغرب برزت كقاعدة بحرية ذات موقع استراتيجي على البحر المتوسط، البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٤؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٢٨.

(٣) رويفع بن عامر بن عبد الله الأنصاري، من بني سعد الأنصار في يثرب، وُلد في أواخر القرن السادس الميلادي تقريبًا، وشارك مع النبي محمد (ﷺ) في غزوات بدر وأحد، وبرز كبطل وشجاع في المعارك. بعد وفاة النبي، كان من القادة العسكريين البارزين في الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام والعراق، وساهم في تثبيت حكم المسلمين في المناطق المفتوحة، وشغل دوراً سياسياً مهما ضمن قيادة الأنصار في تلك الفتوحات، توفي في أواخر القرن الأول الهجري، في عهد الخليفة عمر أو بعده بقليل. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٥٥؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١٣٤.

(٤) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٢٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤١٠؛ مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٢٨.

(٦) ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ص٤٢٠.

في ولاية عمر الأولى مِن الفتح في فزان وودان وما يجاورهما مِن نواحي الصحراء وحيث أنّ طول عهده بأفريقية وكثرة اشتغاله بحروبها قد مكنه مِن تكوين صورة واضحة عن هذه البلاد حيث اتصل بأهلها وعرف الكثير مِن اخلاقهم وجلس في ربوعها فألم بطبيعتها وتفطن الى امثل السبل لفتوحها واخضاعها وقد عرف أنّ فتح المغرب لا يثبت إلاّ بأمرين اولهما إنشاء مركز للعرب في قلب أفريقية تعسكر فيه حاميتهم وتوضع فيه اموالهم وتأمن نسائهم واثقالهم ويخرجون منه الى الغزو _غزو البربر_ أنفسهم والتوغل في بلادهم وادراكهم في مساكنهم في الهضاب والقفر والصحراء وسفوح الجبال بدلاً مِن الاكتفاء بغزو مدائن الساحل ونهبها ثم العودة بالغنيمة(١).

وقد بعث معاوية بن أبي سفيان الى عقبة بن نافع الفهري بعد أنّ عاد معاوية بن حديج مِن حملته سنة (٤٧هـ-٦٦٧م) بغنيمة قليلة وقد امره بالمسير الى أفريقية ومده بالجند فذهب مسرعاً(٢).

اتخذ عقبة قرار بمسيرة الى أفريقية حيث اتخذ في طريقه داخل البلاد مباعداً الساحل وقد لزم هذه الخطة في كل اعماله وكان السبب؛ في هذا القرار هو الابتعاد عن الاقليم الساحلي المليء بالحصون والمحارس وتفضيله الطريق الداخلي المقفر الذي لا تكون فيه إلاّ مقاومة ضئيلة مِن القبائل البربرية وسكان الواحات وقد كان هذا القرار نتائج سلبية حيث جعلت مِن غزواته مغامرات قليلة الجدوى وقلة ما فتح في الذي اثنائها مِن مدائن البلاد الكبرى وحصونها المهمة، وقد صار عقبة متنقلاً بين اقاليم الواحات التي لقيها في طريقه مثل غدامس(٣) وقصطيليه(٤)، ثم افضى الى أفريقية واتجه الى موقع قمونيه

(١) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٣٣.

(٢) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٣٥.

(٣) غدامس واحة تقع في جنوب غرب ليبيا، ضمن المناطق الصحراوية التي تفصل بين حوض البحر المتوسط والصحراء الكبرى. ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٧٥-١٨٠.

(٤) قُسطيلية، وهي قرية عامرة بالمغرب من نواحي إفريقية، ولها جامع محكم البناء وعليها سور من الحجر والطوب. البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٦٥٣.

الذي كان معاوية ابن حديج قد عسكر فيه قبله فوقع اختياره عليه ليقينه أنّ فيه المدينة التي كان قد عقد العزم على بنائها[١].

كما أنّ عقبة بن نافع تم عزله بعد انشغاله ببناء مدينة القيروان فضلاً عن خلافه مع والي مصر مسلمة بن مخلد[٢] وربما جاء هذا العزل بسبب تأثير هذا الذي ساءه انصراف عقبة عند فكاد له وسهل مهمة عزله[٣].

يمكن القول أنّ صناعة القرار العسكري في عهد عقبة بن نافع الفهري تميزت بالمرونة والقدرة على التكيف مع الواقع السياسي والعسكري في شمال إفريقية، فقد اتسمت قراراته بالتخطيط الاستراتيجي الدقيق، حيث بدأ بتمهيد الأرض في المناطق المفتوحة مثل سهل تونس، ثم توسع بثبات نحو برقة، مستفيدا مِن القوة العسكرية المنظمة والحملات القوية التي شقت طريقها عبر البلاد، الأمر الذي يوضح قدرة القيادة الإسلامية آنذاك على اتخاذ قرارات عسكرية متسلسلة ومدروسة، تراعي توالي الأحداث وتطور الميدان، فضلاً عن حرصها على بناء قواعد مستدامة للسيطرة السياسية والعسكرية، مما مهد لبناء إفريقية الإسلامية وازدهارها.

لا بد مِن بيان كيفية إنجاح القرار العسكري، والذي يعتمد على وجود عوامل عدة أساسية تفضي إلى تحقيق ذلك النجاح. مِن بين هذه العوامل، تبرز أهمية القيادة التي تمتلك قدرة

---

(١) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٣٩.

(٢) سلمة بن مخلد بن صامت بن نُذير بن حرام بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي بن غَنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، المكنّى أبا معن وقيل أبا سعيد، أحد كبار الصحابة والولاة في صدر الإسلام، وهو من بني عبد الأشهل من الأوس، أدرك النبي (ﷺ) وأسلم صغيرا، وشهد بعض المشاهد معه، تولّى إمارة مصر في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٧هـ، فاستمرت ولايته نحو خمسة عشر عاما، وهي أطول مدة ولاية في العصر الأموي بمصر، عُرف بالحزم في الإدارة، وتنظيم شؤون الجند، وتحسين تحصينات الثغور البحرية، كما أرسل السرايا ضد البيزنطيين، ظل واليا على مصر حتى وفاته سنة ٦٢هـ/٦٨٢م حيث دُفن بها، تاركا أثرا بارزا في الإدارة والعسكرية. وقد وصفه بـ "أمير مصر وصاحب رسول الله (ﷺ)". ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٨٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٠٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٨.

التفكير السليم في اتخاذ القرارات المصيرية، ففي هذا السياق، تولى أبو المهاجر دينار[١] قيادة الجيش في شمال إفريقيا بعد عزل القائد عقبة بن نافع الفهري، وكان دوره محورياً في تعزيز السيطرة الإسلامية على المغرب الإسلامي، اتخذ أبو المهاجر مِن قاعدة جبل وسلات، التي كانت مسكناً لقبيلة مزاته المغربية، مركزاً لولايته السياسية والعسكرية، ويُرجح أنّ قرار أبي المهاجر في اختيار هذه القاعدة الجديدة جاء انطلاقاً مِن استراتيجية سياسية ترتكز على التقرب مِن القبائل المحلية، وكسبهم إلى الإسلام بالحكمة واللين، وربط أواصر التحالف معهم لمواجهة الروم الدخلاء، يعكس هذا التوجه السياسي الجديد وعي القيادة الإسلامية بأهمية بناء تحالفات محلية تدعم الاستقرار وتديم النفوذ الإسلامي في المنطقة[٢]، وربما كان قرار أبي المهاجر في اتخاذه قاعدة جديدة لولايته وسط القبائل المغربية ليؤكد لهذه القبائل أنّ إتجاهاً سياسياً جديداً سيقوم على أساس التقرب مِن السكان الأصليين وكسبهم للإسلام باللين والحكمة والحسنى وربط اواصر الحلف معهم ضد الروم الدخلاء.

ويعد أول مِن اتخذ قرار تطبيق سياسة الاستقرار في هذا المكان وإنهاء العمل العسكري، فأقام كامل فصول السنة في أفريقية، ويذكر أحد الباحثين أنّ هذه السياسة لم تكن بالجديدة، إذ أنّ بذورها قد بدأت بمعسكر القرن، وطبقت اساساً في بناء القيروان التي تعد أول قاعدة للاستقرار والحكم، وإنّ عقبة قد عزل ولذلك لم تتضح سياسته بعد[٣].

---

(١) أبي المهاجر دينار أسمه عبد الله دينار، كان قائداً عسكرياً مسلماً بارزاً في عهد الدولة الأموية، وشارك في فتح المغرب الإسلامي تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري، تميّز بدوره في قيادة الحملات العسكرية التي أسهمت في تثبيت النفوذ الإسلامي في شمال إفريقيا، خاصة في مناطق برقة وتونس، وكان له دور فعّال في بناء البنية العسكرية والسياسية التي دعمت استقرار الدولة الإسلامية في تلك المناطق، توفي في شمال إفريقيا أثناء أو بعد الحملات. الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥١٢؛ ابن عبد الحكم، فتوح المغرب، ص١٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٢٣.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح المغرب، ص١٨٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٢٥.

(٣) لقبال، المغرب الإسلامي، ص٤٤.

اتخذ ابو المهاجر مجموعة قرارات مهمة في تغيير اليساسة العسكري من خلال هدفين هما:

١. العمل على كسب ودّ قبائل البربر، ودعوتهم الى الإسلام والاعتماد عليهم في اجتثاث معاقل الروم البيزنطيين، ولا غرو في أنّ اِسلام زعيم قبيلة أوربة [١] المغربية المدعو كسيلة، كان حدثاً مهماً له معناه وأثره البعيد في نجاح القوات العربية الإسلامية مِن تأدية واجبها الأسمى مِن حملاتها العسكرية وهو نشر الإسلام، أمّا تأثيره، فكان كسيلة لم يُسلِم بمفرده واِنما أسلم معه نفر كثير مِن قومه أنّ لم نقل قبائل أوربة عامة[٢].

٢. السيطرة الكاملة مِن قبل جيش أبي المهاجر على عموم أفريقية من القوات الرومية، إذ عمل على مواجهة مواقعهم المتبقية في قرطاجنة ومدينة تونس، وكذلك عمل على إبقاء معسكر قريب مِن المدينة ليمارس نشاطه ضدهم، وتوجه بالقائد حنش بن عبد الله الصنعاني[٣]، على رأس جيش لفتح جزيرة شريك ثم عقد صلحاً مع الروم في ذلك الوقت، ويرى موسى لقبال ان ذلك الصلح جرى مقابل بعض المناطق في افريقية ويظهر ذلك من خلال قولهِ: فالأرجح أنّ يكون شرط على الروم أنّ يحتفظ المسلمون بما استولوا عليه مِن مناطق حول شبه جزيرة شريك[٤].

---

(١) أوربة: قبيلة بربرية (أمازيغية) كبرى من قبائل البتر، كانت تستوطن مناطق واسعة من شمال المغرب الأقصى، خاصة في جهة الريف والأطلس. تُعد من أبرز القبائل الأمازيغية التي تفاعلت مع الفتح الإسلامي للمغرب في القرن الأول الهجري، وكان لها تأثير سياسي كبير، إذ انحدر منها زعيمها المعروف كسيلة الذي قاوم المسلمين لفترة، ثم أسلم وتحالف مع القائد الإسلامي أبي المهاجر دينار. وقد شكّلت أوربة عنصرًا مهمًا في التوازنات السياسية والعسكرية في مرحلة تأسيس الوجود الإسلامي في المغرب. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٨٦؛ ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص٩٩.

(٢) السامرائي، المغرب العربي، ص٧١.

(٣) حنش بن عبد الله السبائي أبو رشدين الصنعاني من صنعاء، غزا المغرب وسكن إفريقية، نزلها مرابطاً، أول صاحب خراج (العُشور) في إفريقية؛ أقام ديوان الخراج سنة مائة. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٧، ص٩٤.

(٤) المغرب الإسلامي، ص٤٩.

وعندما نريد تقييم جهود أبي المهاجر دينار، نعترف لا محالة بأهمية دوره في تقدم حركة الفتح ونشر الإسلام بين سكان المجتمع المغربي، لاسيما المغرب الأوسط الذي يعد أول قائد مسلم اوغل فيه، حتى أصبح سكانه حلفاء يوثق بهم، وقد نجح في تحطيم مقاومة الروم البيزنطيين واقتحام مدينة قرطاجنة، "**ولو لم يكن هذا القائد سياسياً متسامحاً وذا هدف محدد لما استطاع أنّ يحصل على هذه النتائج الطيبة الثمار...**"(١).

يبدو أنّ صناعة القرار تغيرت بعد أنّ تغير الخليفة الأموي معاوية الذي كان يميل نحو أختيار القادة الموالين له؛ لذلك تم إعادة أختيار القائد عقبة بن نافع في الولاية الثانية لأفريقية سنة (٦٤هـ/٦٨١م) في خلافة يزيد بن معاوية، يعني ذلك أنّ على صانع القرار التوجه بسياسة جديدة تخدم مصالح هذا الخليفة الأموي، وبدأها فور وصوله الى أفريقية بإتخاذ مجموعة قرارات منها: ترك القاعدة العسكرية لأبي المهاجر دينار و المسماة بالتكرور(٢)، وإعادة تجديد ما خرب مِن مباني مدينة القيروان، وعمل على تنظيم شؤون الولاية، واقرار الأمور فيها، وعندما تم له ذلك عزم على القيام بحملته المشهورة في بلاد المغرب، إذ استخلف زهير بن قيس البلوي(٣) وعمر

---

(١) لقبال، المغرب الإسلامي، ص٤٩.

(٢) تكرو: هي مدينة تاريخية تقع في منطقة المغرب، وتعود أصولها إلى العصور القديمة حيث كانت مركزاً حضرياً ذا أهمية خلال الفترات الرومانية والبيزنطية، عرفتها المصادر القديمة كمدينة استراتيجية تقع على طرق التجارة التي تربط بين الساحل والمناطق الداخلية، مما جعلها نقطة التقاء للقوافل التجارية والثقافات المختلفة، كانت ذات موقع جغرافي مميز يجعلها محط أنظار الإمبراطوريات الرومانية والبيزنطية في شمال أفريقيا. ياقوت الحموي، ج٣، ص٢٣٠.

(٣) زهير بن قيس بن عبد الله البلوي الكنية: أبو عبد الله قائد عسكري وسياسي من قبيلة بلواء العربية، عُرف بدوره البارز في الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا خلال القرن الأول الهجري. انضم إلى جيوش المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وشارك في عدد من الحملات العسكرية لتوسيع الفتوحات الإسلامية في المغرب، تميز زهير بدوره في إدارة المناطق المفتوحة وإرساء النظام السياسي الإسلامي فيها، حيث تم تعيينه والياً على بعض المناطق الاستراتيجية بعد الفتح. ويظهر اسمه في كتب التاريخ الإسلامي كشخصية مؤثرة في مراحل تأسيس الدولة الإسلامية في المغرب، توفي في أواخر القرن الأول الهجري، وقد أشار إليه المؤرخون أنه توفي في منطقة المغرب بعد إتمام مهمته في إدارة المناطق التي تم فتحها. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢١٠-٢١٥: يذكر زهير بن قيس كأحد القادة المشاركين في حملات الفتح في المغرب. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٠-١٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٩٥-١٠٥.

بن علي القرشي على مدينة القيروان[١]، تدعمهما حامية عربية كبيرة العدد لحراسة المدينة والدفاع عنها[٢]، وقد أكد عقبة مهمته الجهادية بوصيته لأولاده التي جاء فيها: "**اني قد بعت نفسي مِن الله، فلا أزال أجاهد مِن كفر بالله، وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا**"[٣]، وقدرت حملة عقبة بعشرة آلاف مقاتل[٤].

بدأت الحملة عبر طريق الهضبة غرباً حتى وصل الى مدينة باغاية[٥] اذ التقى قوات الروم الهائلة العدد ومعهم حلفاؤهم في تلك المدينة المطلة على جبل أوراس[٦]، فأوقع فيهم الهزيمة، ثم قصد اقليم الزاب وهناك الحق الهزيمة بأعدائه مِن الروم ومن معهم مِن الحلفاء، وألجأهم الى الحصون، وتواصلت انتصارات عقبة على الروم حتى لاذت فلولهم بحصن تاهرت[٧].

وجد عقبة بعد ذلك نفسه أمام جموع كبيرة مِن الروم والبربر[٨]، وكانت القوات العربية الإسلامية قد استعدت لخوض غمار المعركة، فقام عقبة بن نافع خطيباً يحث القوم على الصبر والصمود وملاقاة الأعداء بقوة القلوب المفعمة بالإيمان وحب الجهاد[٩]، والتقى الطرفان وجرت معركة حامية الوطيس، ثقلت على المقاتلين المسلمين، لكن الصمود والصبر

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٥-٩٠؛ الدباغ، معالم الأيمان، ج١، ص٤٨.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٢.

(٣) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص٥١.

(٤) الدباغ، معالم الأيمان، ج١، ص٤٧.

(٥) وهي من مدائن نوميديا، وقد كانت معروفة في عهد الرومان باسم "باجا" أو "باغيا"، وتقع هذه المدينة في شمال إفريقية، بين جبال الأطلس وسهولها الخصبة، وهي من المراكز التي استحكم بها الرومان، وبنا فيها الآثار والبنايات العظيمة، من البلاد التي وقع فيها الفتح بعد جد وجهد، وبقيت مأهولة بالناس تنعم بالأمن والخير، وتحافظ على عمارتها وعمرانها. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج١، ص١٩٥-٢٠٠.

(٦) القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص٤٢.

(٧) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٢٥.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٤٤.

(٩) القيرواني تاريخ إفريقيا والمغرب، ص٤٣-٤٤.

والإيمان بالله أعجز جموع الروم وحلفاءهم مِن بعض البربر، فولت قواتهم منهزمة تريد الاحتماء بالمدينة، لكن المسلمين لم يمكنوهم مِن هدفهم فقضوا عليهم وقطعوا آثارهم(١).

وفي مدينة تلمسان(٢) خاض عقبة معركة شديدة مع الروم انتصر فيها، ثم مضى في طريقه حتى وصل طنجة وسبته وحاكمها يُليان الذي اعترف له بالتبعية والولاء وزوده بمعلومات مهمة عن أحوال بلاد الروم(٣)، ويبدو أنّ تلك أول معلومة وصلت الى مسامع المسلمين عن الأندلس اذ فتحت أعينهم ونبهتهم الى ذلك.

بعد ذلك قصد عقبة بن نافع الصحراء ومضارب أهل اللثام مِن بطون قبيلة صنهاجة الكبرى حتى اشرف على أسفي على المحيط الأطلسي، وعندها وقف على المحيط وأخذ الحماس بمشاعره فأوغل بفرسه وسط الماء ثم لوى عنان فرسه، وقيل انّه دخل مياه المحيط حتى بلغ الماء بطن فرسه ورفع يده الى السماء معتذراً قائلاً: "**اللهم أشهد أني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل مِن كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك**"(٤).

وبعد أنّ حقق الانتصارات العظيمة عزم على العودة، فدار جنوبي ماسة(٥)، ثم مضى شمالاً الى موضع شاكر(٦)، حيث أسس رباطاً في هذه المنطقة(٧)، كما واتخذ

---

(١) ابن عذارى المراكشي، ج١، ص٢٥.

(٢) تلمسان مدينة عظيمة، عامرة بالناس، ومركزاً للعلم والحضارة، قد كانت حلقة وصل بين بلاد المغرب والصحراء وأرض المشرق، هي من الحصون المحصنة التي لا تهزم، وأرضها خصبة، وناسها شجعان، وليها أمراءٌ حكماءٌ حكموا بعد الإسلام بالعدل والتقى. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢١٠-٢١٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٥-٢٠٠.

(٣) القيرواني، تاريخ إفريقيا والمغرب، ص٤٤.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٧٢؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٤.

(٥) ماساتا والمعروفة أيضًا باسم ماسات هي منطقة تقع في إقليم سوس ماسة جنوب المغرب، وتُعد جزءا من المنطقة التي يمر بها وادي ماسة الكبير، أحد الأودية الرئيسية في جنوب المغرب. اليعقوبي، تاريخ البلدان، ج٢، ص٣٤.

(٦) شاكر بن سموء هو أحد رفقاء القائد الإسلامي عقبة بن نافع الثقفي، وشارك معه في فتوحات المغرب خلال القرن الأول الهجري. ورد ذكر شاكر في المصادر التاريخية ضمن صفوف القادة أو القادة المساعدين الذين رافقوا عقبة في حملاته العسكرية. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج١، ص١٢٠-١٢٥.

(٧) السامرائي، المغرب العربي، ص٧٦.

مجموعة قرارات مهمة وفي طريق العودة ضم للإسلام مجموعة مِن القبائل البربرية ذات الأصول العريقة في المنطقة أبرزها قبائل حاحة[١]، ورجراجة[٢]، ومصمودة[٣] تاركاً بينهم مِن يعلمهم أصول الإسلام[٤]، إلاّ أنّ ابن خلدون[٥]، يذكر أنّ المصامدة فرضوا حصاراً على عقبة في منطقتهم فهبت قبائل زناتة[٦] لنجدته وفك الحصار عنه، وحينما وصل عقبة الى موقع طبنه التي تبعد عن القيروان نحوا مِن (٣٠٠) كم، ترك لجنوده حرية العودة الى ديارهم بالقيروان، ولم يبقى معه سوى بضعة آلاف، وقيل أنهم كانوا خمسة آلاف فقط[٧]، ويعود قرار عقبة هذا لمجموعة أسباب منها القرب مِن قاعدة أفريقية (القيروان)، وكذلك الثقة بما نال مِن النصر على العدو، فضلاً عن طول المدة التي قضاها المقاتلون في هذه الحملة، فصرف

(١) قبائل حاحة من بطون الأمازيغ الساكنين بسواحل المغرب الأقصى، وهي من القبائل العتيقة التي تجاور البحر من جهة الغرب، وتحدها الجبال من جهة الداخل. وهم قوم شجعان، معروفون بكثرة العدد، وامتداد البلاد، واشتغالهم بالزرع والصيد، وكانوا أهل بادية وحصون. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٠٦؛ ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج ٦، ص١٠٦.

(٢) رَجْرَاجَة قبيلة مشهورة من قبائل المصامدة، ذات شهرة عظيمة في بلاد المغرب، وهي من القبائل البربرية التي تقيم بجبال السوس وسواحل تِيدسي والصويرة، ولها مآثر في الدين، وقد عُرف رجالها بالزهد والصلاح، وكان فيهم الأولياء والصلحاء. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١١٧.

(٣) مصمودة قبيلةٌ عظيمةٌ من قبائل البربر، ذات بأس وقوة وعدد، تنتشر في جبال الأطلس وما حولها من بلاد السوس وناحية مراكش، وهي من أكبر شعوب البربر بعد صنهاجة وزناتة، وقد كانت تنقسم إلى بطون كثيرة، منها: هرغة، هسكورة، إنداوزال، جزولة، رُغو، وكزولة. ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٠٦-١١٢.

(٤) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج١، ص٢٢.

(٥) أبن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٧، ص١١٧.

(٦) زناتة قبيلةٌ عظيمةٌ من البربر، من ولد برنس بن برّ بن قيس عيلان، وهم ذو عدد ونجدة وبأس، وكانوا أهل خيل ورماح، كثيري الترحال والغزو، ينتشرون من تخوم المغرب الأوسط إلى السوس، ومن البحر إلى الصحراء، ولهم بطون وأفخاذ لا تُحصى. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٣٠-١٣٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣١٨.

(٧) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٢٩.

معظمهم للحاق بمنازلهم وعيالهم؛ بسبب ما قام به كسيلة الأوربي بعد أنّ تمكن مِن الهرب، اذ طمر آبار المياه على طول الطريق السالكة الى القيروان، مما دعا عقبة الى اِتخاذه طريق يتميز بقلة المياه ولا يكفي لإرواء القوات مجتمعة، وربما يكون هذا السبب؛ قد أضر بالجيش وتسبب بحالات من الأعياء والأصابات(١).

يبدو أن عقبة بن نافع أستعجل في أتخاذ قرار الاستمرار بملاحقة فلول الروم وقد عول على المقاتلين الذين معه على إتمام ما بقي مِن المدن والحصون التي تفتح، لأن هروب كسيلة(٢) زعيم قبيلة أوربة الذي كان يكره عقبة ويعارضه، قد سنحت له الفرصة للاتصال مع الروم بتهودة(٣) التي كانت ضمن أطار وخطط القائد عقبة في التوسع الاسلامي، وفي الوقت نفسه جمع معظم أبناء قبيلة أوربة، واستطاع بحنكته أنّ يباغت عقبة بتهودة(٤)، وعلى الرغم مِن أنّ الأخير علم بعدم وجود التكافؤ بين تلك القوات التي استبقاها معه وبين قوات كسيلة، فانّه أصر على مواجهة الواقع بشجاعة نادرة، وفضل ذلك على الهزيمة، فأمر جنوده بالنزول عن خيولهم وكسروا أغماد سيوفهم تعبيراً عن الصمود حتى النهاية، وهكذا تصدى الروم وحلفائهم لعقبة وجيشه، وأسفر اللقاء عن هزيمة غير متوقعة لجيش المسلمين الذين قتلوا عن آخرهم بما في ذلك عقبة وأبو المهاجر دينار

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٧؛ السامرائي، المغرب العربي، ص٧٧.

(٢) كسيلة بن لمزم، وهو زعيم من زعماء البربر، من قبيلة أوربة، من بطون زناتة أو من البرانس على خلاف بين النسابين. كان ملكاً في قومه، عظيمَ المنزلة، عاليَ الشأن، قويّ النفوذ، قد دان له جبال المغرب الأوسط وسهوله. وكان شجاعاً، ذا رأي ودهاء، أقبل على الإسلام حين رآه غالباً، ثم رجع إلى قومه وكاد للعرب، فكانت له وقائع مشهودة، ثم قتل في المعركة ضد جيش زهير بن قيس البلوي. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٢٢-١٢٥.

(٣) تهودة: موضع في شمال إفريقيا، تقع بالقرب من القيروان، ورد ذكرها في سياق حملات الفتح الإسلامي في عهد عقبة بن نافع، وكانت من المحطات المهمة في سير الجيوش الإسلامية أثناء توسعهم في المغرب الأوسط. تمثل تهودة إحدى القواعد العسكرية التي ساعدت على تأمين خطوط الإمداد وربط المناطق المفتوحة ببعضها. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٨٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥١٤.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٢٩.

الذي كان عقبة قد سجنه بعد تسلمه الولاية الثانية لأفريقية، اذ خيره عقبة بالرحيل بعد أنّ فك اغلال سجنه، إلاّ انّه أبى إلاّ القتال بجنبه، حتى نال الشهادة معه وأصحابه الذين سميت مقبرتهم "مقبرة الشهداء" وأصبحت المنطقة كلها باسم "سيدي عقبة" عوضاً عن تهودة(١).

أن العديد مِن القرارات العسكرية والاندفاعية كانت مِن دون تخطيط أو استشارة مما أدتّ إلى وقوع تلك الهزيمة في موقعه تهودة، كذلك لم يكن القائد عقبة مدركا لتأثير القيادة البربرية للقائدة كسيلة بن لمزم البربري الذي أسلم لما ولي أبو المهاجر أفريقية وحسن إسلامه، وهو مِن أكابر البربر وأبعدهم صوتا، وصحب أبا المهاجر، فلما ولي عقبة عرفه بمكانة كسيلة وأمره بحفظها فلم يقبل واستخف به، وأتى عقبة بغنم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين، فقال كسيلة: هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني المئونة، فشتمه وأمره بسلخها، ففعل، فقبح أبو المهاجر هذا عند عقبة، فلم يرجع، فقال له: أوثق الرجل فإني أخاف عليك منه! فتهاون به عقبة، فأضمر كسيلة الغدر، فلما حانت الفرصة ورأى الروم قلة الانصار مع عقبة أرسلوا إلى كسيلة وأعلموه حاله، وكان في عسكر عقبة مضمرا للغدر، وقد أعلم الروم ذلك وأطمعهم(٢).

ذكر أنّ كسيلة هذا زعيم أوربة كان يتصرف كأمير مِن الأمراء، حتى أنّ أبا المهاجر قد نصح عقبة مِن قبل عندما أراد النهوض الى طنجة بقوله: "**ليس بطنجة عدو لك لأن الناس قد أسلموا، وهذا رئيس البلاد ـ يعني كسيلة ـ فابعث معه والياً، فأبى عقبة إلاّ أنّ يخرج بنفسه**"(٣)، وضيق عقبة على كسيلة فأجبره على القيام بأعمال لا تليق بمركزه كزعيم للقبيلة، مع اجماع الروايات على عدم استحكام الإسلام

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٤، ص١٠٦.
(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ص٢٧٠.
(٣) الدباغ، معالم الأيمان، ج١، ص٥٣.

في قلبه[١]، مما يظهر ذلك أنّ القرارات الفردية التي اتخذها عقبة بن نافع أدتّ الى نتائج سلبية اهمها استشهاد القائدين وتراجع القوة الاسلامية.

أن استشهاد عقبة بن نافع، وأبي المهاجر دينار أثرت في نفوس المسلمين؛ لأنهم من اوائل القادة الذين استشهدوا في بلاد المغرب، وكان لذلك تأثير سلبي على معنويات الجند المرابطين في مدينة القيروان، اذ لم يتمكن الوالي زهير بن قيس البلوي مِن معالجة الأوضاع فيها، والصمود في الدفاع عن القيروان، لذلك انسحب الى مدينة برقة، أمّا كسيلة تمكن بدون صعوبة في دخول مدينة القيروان في سنة (٦٤هـ/٦٨٤م) فأمن مِن بقي فيها مِن المسلمين، وظل أميراً على القيروان وما يحيط بها مدة تقرب من خمس سنوات[٢].

يتّضح مِن تطورات الأحداث بعد استشهاد القائدين عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار أنّ القرار العسكري الإسلامي في بلاد المغرب في تلك الحقبة اتّسم بضعف واضح في التخطيط الاستراتيجي والتعامل مع المستجدات الميدانية، وهو ما انعكس على تراجع القدرة القيادية لوالي القيروان زهير بن قيس البلوي، وعدم تمكنه مِن تعبئة الجند ورفع معنوياتهم، وهذا يكشف عن وجود خلل بنيوي في منظومة اتخاذ القرار العسكري، لا سيما في حالات الطوارئ والفراغ القيادي الناتج عن فقدان رموز ميدانية مؤثرة، في المقابل أظهر كسيلة قدرة فاعلة على استغلال الفرصة السياسية والعسكرية، إذ اتّسم قراره بالسرعة والحسم، مستفيدًا مِن التشتت المعنوي والانكفاء العسكري للخصم من خلال نجاحه في دخول القيروان دون مقاومة واستمراره حاكماً عليها نحو خمس سنوات كما ذكرنا، مما يعكس نضجاً في أدوات اتخاذ القرار الحربي لدى القوى المحلية المناوئة، وقدرتها على فرض واقع سياسي وعسكري جديد في غياب ردّ فاعل منظّم مِن الطرف المقابل.

---

(١) الدباغ، معالم الايمان، ج١، ص٥٥.

(٢) باشا، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج١٠، ص٩٥٩.

ويمكن القول أنّ صناعة القرار العسكري في بلاد المغرب في تلك الفترة كانت مرهونة بعوامل معنوية وبُنى قيادية هشّة أكثر مِن كونها محكومة بمبادئ الاستراتيجية العسكرية الرصينة وتوثيق الاستقرار والانسجام مع السكان المحليين، وهو ما سمح لقوى محلية كالبربر بقيادة كسيلة بإعادة تشكيل موازين القوى مؤقتاً في الإقليم.

كانت أوضاع الخلافة في دمشق تمر بظروف عصيبة أبعدت الخلفاء عن مشكلات المغرب وهمومه في تلك المدة من خلال الاهتمام في اختيار قائد ووالي عسكري يستطيع أنّ يحقق نتائج الخطط العسكرية للقيادة الإسلامية وصار التوجه نحو قيس بن زهير البلوي الذي خلف القائد عقبة بن نافع في مدينة برقة بعد استشهاده، وبعد أنّ جاء الاختيار من خلال الاتفاق مع رأي المسلمين حيث سئل الخليفة عبد الملك بن مروان عن الشخصية التي تخلف عقبه فاختاروا زهيرا وهو مِن أشراف المجاهدين وحينها تم العمل بين الخلافة والقيادة الجديدة نحو التخطيط و صناعة القرارات العسكرية الجديدة في مواجهة الروم وطردهم نهائيا مِن إفريقية وباقي المناطق التي توسع فيها المسلمون، فضلاً عن القضاء على زعيم قبيلة أوربة البرانسية كسيلة بن لمزم(١).

كان كسيلة معه أضعاف مما مع زهير مِن عدد مِن القوات، فدعا كسيلة أشراف البربر وقال لهم: "**أن رأيت أنّ أرحل عن هذه المدينة فأن بها قوماً مِن المسلمين، لهم علينا عهود ونحن نخاف أنّ أخذنا القتال معهم أنّ يكونوا علينا، ولكن ننزل على موضع ممس وهي على الماء، فأن عسكرنا خلق عظيم، فأن هزمناهم الى طرابلس قطعنا آثارهم، فيكون لنا المغرب الى آخر الدهر، وإن هزمونا، كان الجبل منا قريباً والشعراء فنتحصن بهما**"(٢).

(١) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج١، ص٣١٠-٣١٢.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣١.

بدا القائد الجديد زهير بن قيس البلوي بالعمل وفق القرارات المتخذة من خلال الاستعداد العسكري بقوات كبيرة مِن المسلمين زحفت إلى القيروان وتقابلت مع قوات كسيله ومن معه مِن الروم والبربر في ممس أحد نواحي مدينة القيروان، فالتحم الفريقان في معركة حامية تجلت عن الحاق الهزيمة بالقوات الرومية والبربر وقتل فيها كسيلة ومضى المسلمون بمطاردة الروم والبربر، وجدوا في طلبهم إلى وادي ملوية وواد طنجة بالمغرب واستمرت العمليات الاسلامية حتى بلغت فتح مدينة تونس وفي هذه الوقعة ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم وفزع أهل أفريقية فلجأوا إلى الحصون والقلاع واضمحل شأن الروم فلم يعد لهم شأن كبير(١).

وهذا الاقتحام يُظهر نجاح القرار العسكري الذي تم بقيادة حكيمة بعد أنّ بلغ الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) أنّ سياسته في الحملات العسكرية في أفريقية بتأكيد تعيين القائد زهير بن قيس البلوي والياً على أفريقية، وأمره بضرورة الدخول فوراً لإنقاذ مِن بقي مِن المسلمين واراضيهم، وأمده بالرجال والأموال والخيول مِن مصر، وجعل في مساعدته مجموعة مِن رجال الحرب، وحشد إليه وجوه العرب وبعثهم إليه، فوفدت الجيوش على زهير، وتسارع الناس معه الى أفريقية(٢).

يبدو إنَ الانتصار الإسلامي لم يكن حاسماً من ناحية أضعاف الروم والقوات المتحالفة، الأمر الذي دفع القائد زهير بإتخاذ قرار العودة سريعاً بإتجاه مصر مما يؤكد ذلك وقوع هجوم رومي على مدينة برقة يستدعي الرجوع والمواجهة السريعة لذلك(٣).

انَ المواجهات العسكرية المفاجأة كانت مستمرة في بلاد المغرب بحكم وجود أسلوب المباغته وهذا ما حدث مرة أخرى في درنة(٤) عندما حوصرت القوات الاسلامية هناك

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٤-٢٣٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣١.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣٣.

(٤) درنة مدينة ساحلية تقع في شمال شرق ليبيا على البحر الأبيض المتوسط، إذ تعود أصولها إلى العهد الروماني، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١١٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٤.

الأمر الذ دفع القائد زهير بن قيس البلوي بالزحف سريعاً بما لديه من قوات قليلة لخوض المعركة في لقاء غير متكافئ في منطقة درنة إذ كانت النتيجة هزيمة المسلمين واستشهادهم جميعاً، وصار ما عندهم مِن سلاح وخيول وامتعة غنيمة سائغة للروم الذين أبحروا بعد هذا النصر الى جزيرة صقلية(١)، وسميت المنطقة التي استشهدوا فيها في مدينة درنة باسم "قبور الشهداء"(٢)، وهذا الفشل العسكري يعود الى التسرع في القرارات من خلال اتخاذها بشكل فردي من دون تخطيط أو معرفة.

أمّا بقية الجيش الذين لم يشتركوا في المعركة نتيجة لبعدهم عن ميدانها فقد وصلوا دمشق ورووا للخليفة عبد الملك بن مروان ما وقع لزهير ومن معه من المسلمين، فتأثر تأثراً عميقاً لهذه النتيجة المحزنة التي تشبه في هولها وشدتها كارثة "تهودة" مِن قبل، ورغبوا فيه إلاّ ينحني أمام الروم وحلفائهم ويترك أفريقية نهباً مقسماً بينهم، ويفرط في الحقوق الثابتة التي حصل العرب بجهودهم ودمائهم وطالبوا في النهاية أنّ يرسل إليها مِن يسد ثغرها ويصلح أمرها، فأرسل حسان بن النعمان، وقال: "**لا أرى أحداً كفوءاً لأفريقية كحسان بن النعمان**"(٣).

ويرى أحد الباحثين أن هناك العديد من الهزائم العسكرية قد حدثت لإسباب تتعلق بالتسرع في أتخاذ القرارات من دون تحليل المتغيرات المتعلقة بذلك من حيث الوقوف على شخصية القائد ومعالجاته المختلفة في كافة الميادين فضلاً عن قراءة ظروف الحملة وأسلوب المواجهات المتغير ميدانياً مما ينعكس على النتائج والحسم العسكري(٤) الامر الذي يظهر إن صناعة القرار العسكري خضعت للعديد من العوامل الداخلية والخارجية، التي تشمل القيادة من حيث المشورة بين الخليفة والقائد(٥).

---

(١) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٤٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣١.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣٣.

(٤) السعيد، صناع القرار السياسي في الدولة الإسلامية الأولى، ص٤١.

(٥) فتحي، صناعة القرار وتحليل وحل المشكلات، ص٢٩٤.

بدا العمل على ازالة اثر هاتين الهزيمتين من خلال التخطيط لإعادة المواجهة ولذلك اهتم الخليفة عبد الملك بن مروان اهتماماً عظيماً بأمر القوات الزاحفة الى أفريقية حيث جهز جيشاً كبيراً بقيادة حسان بن النعمان الغساني وسيرهم إليها في سنة (٧٤هـ) وقد وصف هذا الجيش بانه عظيم العدد بحيث لم تشهد افريقية مثله في السابق[١].

لم يكن اختيار شخصية حسان من دون دراسة للموقف في افريقية او معرفة الصفات الشخصية له[٢]، اذ كان من قادة الشام المشهورين ومِن سلالة ملوك الغساسنة ومن اكثر الرجال قرباً واخلاصاً[٣]، ومهما يكن فان الظروف الاستثنائية الصعبة بعد أنّ استشهد عقبة في تهودة وزهير في درنة جعلت الخلافة تنتبه لخطورة الموقف في أفريقية والناجم عن تحالف القبائل البرانسية والروم، ووجوب استعادة هيبة الخلافة الذي لا يتم إلاّ بتصفية النفوذ البيزنطي وتحطيم قوة الروم واحتلال قاعدة قرطاجنة، والقضاء على عنصر المقاومة المحلية المتمثل في حركة القبائل البتر بقيادة زعيمتهم الكاهنة داهية او دهيا بنت تابنة[٤] الامر الذي تم التخطيط له من قبل الخلافة ايام عبد الملك بن مروان اذ امر القائد حسان بالتوجه الى مصر والعمل على تجميع قواته وتنظيمها واطلق يده في اموالها وتغطية اعطيات الجند وتلبية حاجاتهم ومتطلباتهم واستخدم حسان سياسة خاصة لزيادة اعداد المقاتلين مِن حيث بذل الأموال وترغيبهم في القتال[٥].نتيجة لما سبق تم اشراك المشارقة والمغاربة في المهمة العسكرية الكبيرة[٦].

---

(١) ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ص١١٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣١.

(٤) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦ ص١٠٩.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، أبن خلدون، ج٦، ص١٠٩.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٢.

عمل القائد حسان الغساني من حيث التخطيط للمواجهة بوضع ستراتيجية ذكية تقوم على مواجهة الروم وحلفائهم أولاً حيث قرر أنّ يقاتلهم منفردين لا مجتمعين حتى يسهل القضاء عليهم واحداً بعد الاخر وبهذا كان هدفه الاول هي قرطاجنه[١]، لكونها قاعدة لأعظم مدن أفريقية البيزنطية على البحر المتوسط حيث استطاع حسان السيطرة عليها بعد استسلام اهلها، وبعد هذا الانتصار قرر حسان الرجوع الى القيروان ليستريح فيها ويعيد تنظيم جيشه[٢].

اتجهت القوات بعد ذلك نحو القضاء على الكاهنة داهية حيث عول المسلمون على هزيمتها لتحرير أفريقية وحينها بدا الزحف مِن القيروان بقيادة القائد حسان وعند سماع الكاهنة بهذا الخبر قامت بالانتقال مِن منطقة اوراس الى مدينة باغاية وهدمتها حتى لا يتحصن فيها المسلمون إلا أن المواجهة حدثت عند (نهر البلاء) في معركة كبيرة انتهت بهزيمة القوات الاسلامية بقيادة حسان ووقع عدد كبير مِن جنده اسارى لدى البربر وقد سميت تلك المعركة بمعركة (وادي العذارى)[٣] وعلى اثر هذه المعركة قام حسان بالانسحاب الى برقة بأمر مِن الخليفة عبد الملك بن مروان[٤].

يبدو ان قرار المواجهة الاولى غير محسوب بشكل دقيق وربما لم يكن للقيادة تصور كامل عن قدرة الكاهنة وامكاناتها العسكرية الامر الذي ادى الى وقوع تلك الهزيمة وانسحاب

---

(١) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٣١.

(٢) لقبال، المغرب الإسلام، ص٧٧.

(٣) موضع يقع في بلاد المغرب الأوسط، ارتبط اسمه بالمعركة التي جرت بين القائد الأموي حسان بن النعمان الغساني وقائدة البربر الكاهنة الداهية بنت ماتية في أواخر القرن الأول الهجري، وذكر أن هذه الوادي كان مسرحا لمواجهة حاسمة بين الجيشين، انتهت بانتصار الكاهنة وردّ المسلمين عن مواصلة الفتح لفترة من الزمن، وعرف أيضا باسم وادي مسكّانة، وهو يقع في نواحي الأوراس بالجزائر حاليا، وقد مثّل موقعا استراتيجيا مهما نظرا لكونه ممرا جبليًا يربط السهول بالمناطق الجبلية، مما جعله ملائما للكمائن والمعارك الدفاعية. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٢٢، دار صادر، بيروت.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٦.

القوات كما بينا الى قصور قديمة تقع بالقرب من برقة التي اصبحت تعرف فيما بعد بـ (قصور حسان) حيث بقى هناك خمس سنوات ينظم صفوف جيشه ويراقب الأوضاع والاحداث في أفريقية وينتظر اذناً مِن الخليفة عبد الملك بن مروان بالتحرك مرة اخرى للمواجهة الحاسمة[١]. مما يظهر ان صناعة قرار المواجهة يتطلب كل تلك المدة والاستعدادات لغرض حساب المعركة بشكل دقيق والوصول الى الوقت المناسب لاتخاذ القرار.

يبدو ان الكاهنة كانت تخشى الزحف الاسلامي كثيرا الامر الذي دفعها الى اتباع سياسة جديدة في المواجهة اذ قامت بحرق المزارع وتخريب العمران وقطع الاشجار بقصد منع القوات الزاحفة مِن استغلالها[٢]، وفي تلك الاثناء تم اتخاذ قرار المواجهة بعد التشاور مع الخلافة وتوفر العديد من العوامل المساعدة منها: أنّ نفوس القبائل قد تغيرت تجاه الكاهنة حيث اخذوا يكرهونها حتى أنّ فريقاً منهم قدموا الى برقة يستغيثون بحسان وذلك بسبب سياسة الكاهنة داهية المعروفة بسياسة (الارض المحروقة)، فضلا عن وصول الامدادات اليه مِن الخلافة في المشرق وقد ساعدته كثيراً، ناهيك عن تنظيم اوضاع افريقية الداخلية حيث صالح أهل مدينة قابس ودانت له المدن قفصة[٣] وقسطيلية، ونفزاوة من دون حرب، الامر الذي دفع الخلافة والقائد حسان باتخاذ قرار التخلص مِن الكاهنة داهية والشروع بالحرب عليها وبالفعل التحم الجيشان فكانت نتيجة المعركة انهزام الكاهنة ومقتلها[٤].

---

(١) القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص٥٧.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٧٠-٢٧١.

(٣) مدينة فصة المعروفة قديما بـ "توسا" أو "توسة" تقع في الجنوب الغربي من تونس الحالية، وتُعد من أقدم المراكز الحضرية في منطقة شمال أفريقيا. ذُكرت قفصة في المصادر التاريخية القديمة كجزء من المناطق التي استولى عليها الرومان بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب. وكانت مدينة توسّة مركزا زراعيا وتجاريا مهما خلال العهد الروماني. البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٥-٨٠.

(٤) القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص٦١.

بعد الانتصار الكبير الذي حققته الجيوش الاسلامية على القوات البربرية بقيادة الكاهنة تم عزل القائد حسان بن النعمان وتولية القائد موسى بن نصير على أفريقية حيث شهدت هذه المدة بداية جديدة في التخطيط السياسي والعسكري من حيث الاعداد والمواجهة(١).

أنّ نجاح الحملات العسكرية التي قادها موسى لم يكن وليد الصدفة، بل جاء نتيجة لتخطيط استراتيجي دقيق يقوم على اتخاذ قرارات مصيرية مدروسة، تضمّن اختيار القادة المناسبين، وتوزيع المهام بدقة، وتحليل العوامل الميدانية والسياسية التي تؤثر على سير المعارك، فكان مِن أبرز القرارات التي اتخذها موسى بن نصير هو إخضاع القبائل التي ما تزال خارج نطاق السلطة المركزية وتمثل تهديدا لاستقرار الدولة الإسلامية في المغرب بسبب تمردها وارتدادها عن الطاعة، ولتحقيق هذا الهدف، أرسل موسى عدة حملات عسكرية بقيادة قادة ميدانيين أكفاء، مِن بينهم حملة عبد الملك الخشني(٢) التي قضت على التمرد في قلعة زغوان(٣)، وحملة ابنه عبدالله في نواحي القيروان بدعم مِن أخيه مروان، كما قاد بنفسه حملة حاسمة على مدينة طنجة التي تمكن مِن تحريرها بعد

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٦-٢٦٥؛ تاريخ أبن خلدون، ج١، ص٤٠٠-٤٠٥.

(٢) عبد الملك الخشني هو قائد عسكري بارز في فترة ولاية موسى بن نصير على إفريقية خلال أوائل القرن الثامن الميلادي تولى قيادة حملة عسكرية مؤلفة من خمسمائة فارس قُدمت للقضاء على التمرد في قلعة زغوان بتونس، ضمن جهود موسى بن نصير لتعزيز سلطة الدولة الإسلامية وتثبيت حكمها في شمال إفريقيا، لعب عبد الملك دورا مهما في إعادة فرض النظام على القبائل التي ارتدت عن طاعة الخلافة، وكان أحد القادة الميدانيين الذين نفذوا الاستراتيجيات العسكرية المعقدة التي تميزت بها هذه المرحلة من الفتح الإسلامي في المغرب. بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٠-٢٦٢.

(٣) موضع في شمال إفريقية، تقع جنوب العاصمة تونس، وهي منطقة جبلية ذات موقع استراتيجي، وقد ورد ذكرها في سياق الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، لا سيما في عهد موسى بن نصير، إذ كانت إحدى معاقل التمرد التي خرجت عن طاعة الدولة الأموية، وقد أرسل موسى بن نصير القائد عبد الملك الخشني على رأس خمسمائة فارس لإخماد ذلك التمرد، فتمكن من السيطرة عليها، وقتل من فيها، وأعادها إلى سلطان المسلمين. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٢٢.

حصار شديد، ما مكنه مِن توسيع النفوذ الإسلامي وربط القبائل المحلية بالحكم المركزي[١].

تعكس هذه العمليات العسكرية مدى اهمية صناعة القرار في ولاية موسى بن نصير، التي لم تكن تقتصر على الجانب القتالي فقط، بل شملت أيضا الجانب السياسي لضمان استقرار المنطقة وتوحيدها تحت راية الإسلام[٢].

يظهر من السابق الدور السياسي والعسكري الكبير الذي لعبته الخلافة الاموية في وضع الخطط المناسبة بالتشاور مع الولاة والقادة في اغلب الحملات العسكرية، مع وجود حملات اخرى جرت باجتهاد فردي واضح الامر الذي انعكس في النتائج السلبية من خلال هزيمتي تهودة ودرنة كما بينا فضلا عن ذلك لابد من الاشارة الى منهج صناعة القرار في العصر الاموي والقائم على ضرورة استقرار الوضع الداخلي في المشرق قبل البدء في الحملات التوسعية فضلاً عن ضرورة توفير الامكانيات المادية والعسكرية من تحشيد المقاتلين وتوفير العدة المناسبة ومعرفة جغرافية المنطقة وقدرات القوات المواجهة للمسلمين من خلال كسب السكان المحليين سياسيا واشراكهم في تلك الحملات اسوة بالعرب والمسلمين.

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦-٢٦٥؛ تاريخ أبن خلدون، ج١، ص٤٠٠-٤٠٥.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦-٢٦٥؛ تاريخ أبن خلدون، ج١، ص٤٠٠-٤٠٥.

الفصل الثالث

صناعة القرار الإداري والحضاري في المغرب (٢٢-٩٢هـ)

المبحث الأول: صناعة القرار الاداري

المبحث الثاني: صناعة القرار الحضاري

الفصل الثالث

صناعة القرار الإداري والحضاري في المغرب

أن صناعة القرارات السياسية والعسكرية خلال عمليات الفتح الإسلامي كانت تتطلب العمل على وضع الخطط للقرارات الإدارية والحضارية المعتمدة على التخطيط الجيد والسليم مِن قبل الخليفة وكذلك الولاة من خلال المشاورة والعمل في قيادة الحملات والتخطيط الجيد للفتح في كل الجوانب؛ الامر الذي تطلب تنفيذ الخطوات التالية لفكر الدولة من خلال القرارات الإدارية والحضارية المدروسة وفقا لما بينا سابقاً.

لعب القادة الميدانيون مثل معاوية بن حديج وعقبة بن نافع، وزهير بن قيس البلوي، وحسان بن النعمان، وموسى بن نصير ادواراً محورية في صناعة القرارات الإدارية والحضارية لما لهم من معرفة ميدانية وتاريخية من خلال الارث الاداري والحضاري الاسلامي، الامر الذي بات واضحا من خلال التعامل الايجابي مع السكان المحليين ومحاولة كسبهم من خلال تحقيق التعايش الذي بدوره سينعكس على استقرار الحكم.

يسعى هذا الفصل إلى تحليل طبيعة صناعة القرار الإداري والحضاري في المغرب الإسلامي خلال المرحلة التأسيسية، مع التركيز على استعراض الأدوات والوسائل التي اعتمدها صانعو القرار، والتحديات التي واجهوها، وانعكاس تلك القرارات في البناء الإداري والحضاري للدولة الإسلامية في المغرب، ويتناول الفصل بشكل خاص طبيعة القرارات الإدارية التي شملت تنظيم شؤون الحكم، والجباية، وإدارة الموارد، فضلاً عن القرارات الحضارية التي تجلّت في تأسيس المدن والمراكز العمرانية، وتطوير البنية التحتية، وما ارتبط بذلك مِن توجهات اجتماعية واقتصادية أسهمت في تثبيت دعائم الوجود الإسلامي في المغرب، وإندماجه ضمن المنظومة السياسية والاقتصادية للعالم الإسلامي الناشئ.

المبحث الأول

صناعة القرار الاداري

شكلت صناعة القرار الإداري في المغرب الإسلامي حتى عام (٩٢هـ)، لبنةً أساسية في ترسيخ الإدارة الإسلامية في هذه البلاد من خلال القيام بمجموعة من قرارات مهمة ومتدرجة، تعتمد على توجهات الخلافة في دمشق، وتنفذها القيادات المحلية مِن الولاة والقادة في المغرب الاسلامي، وكان هذا القرار الإداري في بداياته ذا طابع عسكري إداري مركب، يتداخل فيه القرار السياسي مع الضرورات العسكرية والدعوية، في ظل التحديات الجغرافية والقبلية المتشابكة، وطبيعة السكان المحليين من القبائل البربرية والعناصر الرومية.

اتبعت الدولة الأموية في طريقها لاتخاذ القرارات الإدارية في المغرب الإسلامي اساليب تتلاءم مع طبيعة المرحلة وقراءات الخليفة والوالي في مصر؛ لذا أنّ اولى القرارات التي عملوا عليها هي تعيين القادة والولاة وفق شروط تتناسب مع السياسة الاموية وكانت أبرزها:

الأول: اختيار المقربين مِن الخلافة والموالين لها.

أمّا الثاني: الاهتمام بإمكانيات الوالي وقدرته على تحقيق الاهداف السياسية والعسكرية للدولة في كافة الجوانب وفي مقدمتها الجانب الاقتصادي.

يبدو ان اغلب الولاة والقادة الذين تم اختيارهم خلال عمليات الفتح الاسلامي لا يمكن ان يخرجوا من هذه المعايير وان كانت عند بعض الولاة والقادة بارزة وفي البعض الاخر اقل من ذلك ولهذا نجد ان القائد عقبة بن نافع قد اختير لقيادة عمليات الفتح الاسلامي منذ وقت مبكر لما عرف عنه من خصال وشجاعة ودور واضح في المواجهات، ولذلك ادى العديد من المهام البارزة في قيادة السيطرة الاسلامية على مدينة برقة سنة (٢٢هـ).

بدءا اختيار القادة وفق هذه الشروط وذلك باختيار شخصية عبدالله بن سعد بن ابي سرح ليقود الحملة الاستطلاعية في افريقية وذلك ايام الخليفة عثمان بن عفان ولا سباب واضحة منها درجة القرابة والولاء اذ كان عبد الله بن سعد أبي سرح أخ عثمان بن عفان مِن أمه بالرضاعة(١)، الامر الذي يظهر اهمية القرابة والتبعية في مسالة التعيين في المواقع المهمة داخل الدولة، ولما لذلك من تأثير على المجد الشخصي والتاريخي.

سارت الخلافة الأموية على نفس الشروط السابقة في مسالة التعيين للولاة والقادة اذ اتجهت نحو اختيار عدد مِنهم للانطلاق نحو العمليات المنظمة وبرزت خلالها صناعة القرار الاداري مرة اخرى وفق اسباب وشروط عديدة مِنها اختيار الشخصية المناسبة كما بينا لقيادة الجيش واتباع الخطوات الملائمة للتشاور على كيفية تنظيمه وكذلك الجاهزية الكاملة مِن تخطيط واعداد متكامل وهذا كله يرتبط باختيار القائد الذي سيمسك هذا المفصل المهم في تحقيق الاهداف المطلوبة.

وقع الاختيار لإول الولاة في العصر الاموي على شخصية معاوية ابن حديج (٥٠هـ)، ليكون القائد الذي يتولى مهمة استكمال الفتح الإسلامي للمغرب ويتولى اموره، وهذا التعيين لم يأت مِن فراغ انما جاء وفقا لعوامل عديدة منها الولاء التام للأمويين مِن خلال موقفه مِن خلافة الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث كان أموي عثماني الهوى لم يبايع علياً قط، الأمر الذي عدت ميزة لدى معاوية بن أبي سفيان في هذا الجانب، كما انّه ذو خبرة عسكرية في الفتح الإسلامي لبلاد مصر فضلاً عن دوره السياسي مِن خلال قيامه بالتوسط بين عمرو بن العاص ومعاوية؛ وذلك بعد الخلاف الذي حصل بينهما بعد رفض الاخير تسليم بلاد مصر لعمرو بن العاص ما عاش؛ في حين أنّ عمرو يرى أنّ الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وعنائه وسعيه فيه وظن أنّ معاوية سيزيده الشام مع مصر فلم يفعل ذلك؛ فتنكر عمرو لمعاوية فاختلفا وتغالظا وتميز الناس وظنوا انّه لا يجتمع

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣٤٦.

أمرهما فدخل بينهما معاوية بن حديج فأصلح أمرهما وكتب بينهما كتابا وضع فيه شروطا عديدة نذكر منها أنّ لعمرو ولاية مصر سبع سنين في حين يجب على عمرو السمع والطاعة لمعاوية. وتواثقا وتعاهدا على ذلك بحضور الشهود؛ ثم مضى عمرو بن العاص على مصر واليا عليها وذلك في آخر سنة(٣٩هـ) فوالله ما مكث بها إلاّ سنتين أم ثلاثا حتى مات(١).

ومن الملاحظ بالذكر أنّ معاوية عمل بعد وفاة عمر بن العاص سنة (٤٤هـ/٦٦٥م) على استرداد ولاية أفريقية وعدَّها ولاية قائمة بنفسها يوضع عليها الوالي بقرار مباشر منه دون أنّ يكون لصاحب مصر دخل في شؤون هذه البلاد، فأقام على مصر عقبة بن عامر الجهني(٢)، ثم اعقب ذلك بتوليه معاوية ابن حديج قيادة الفتوح في أفريقية والامارة على ما يفتحه مِن بلادها وعلى الرغم مِن وجود منافس له في الولاية وهو عقبة بن نافع الذي لا يزال مغازياً في نواحي فزان والواحات القريبة منه؛ ويرجع السبب؛ في هذا الاغفال هو أنّ معاوية فضل أنّ يكافئ بهذه الولاية واحداً مِن انصاره المقربين اليه فأقامه عليها جزاءً على ثباته واخلاصه(٣).

يحدد النويري(٤) تاريخ تعيين الخليفة معاوية بن أبي سفيان لمعاوية بن حديج على ولاية أفريقية سنة (٤٥هـ/٦٦٥-٦٦٦م) كما يذكر ابن عذاري(٥) أنّ ابن حديج كان العامل على

(١) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١١٠-١١٢.

(٢) عُقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن رفاعة الجهني، ويُكنّى بـ أبي حمّاد، وهو من قبيلة جهينة، وتولّى قيادة الجيش وولاية مصر في زمن معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٤هـ، فأقام بها واليا حتى عزله مسلمة بن مخلد الأنصاري. وقد خلّف روايات حديثية كثيرة رواها عنه جمع من التابعين. تُوفّي رضي الله عنه بمصر سنة ٥٨هـ ودُفن بالمقطم، وقبره مشهور يُزار. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤٧٨؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤٩٢.

(٣) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١١٠-١١٢.

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣، ص٣٩٢.

(٥) البيان المغرب، ج١، ص١٨-١٩.

بلاد أفريقية مِن قبل معاوية بن أبي سفيان سنة (٤٦هـ)[١]، ويتفق ابن الاثير[٢] على ذلك بان ابن حديج عين على ولاية مصر بدلا مِن عبد الله بن عمرو بن العاص الذي استخلفه ابوه عليها قبل وفاته سنة (٤٦هـ-٦٦٦م).

أمّا عن القرار عزل الوالي معاوية بن حديج فكان لحادثة معينة ذكرها ابن عبد الحكم إذ قال: "**غزونا أفريقية مع ابن حديج ومعنا مِن المهاجرين والانصار بشر كثير، فنفلنا ابن حديج النصف بعد الخمس، فلم أر أحد أنكر ذلك إلاّ جبلة بن عمرو الانصاري**[٣]**، فاختلف الناس في ذلك لمعاوية ابن أبي سفيان فكتب، أنّ العسكر رده للسرية، فقسم ذلك بينهم، فأصاب كل رجلا منهم لنفسه مائتي دينار وضرب للفرس سهمين و لصاحبه بسهم**"[٤]، الذي يبدو مِن خلال النص الذي ذكر اعلاه أنّ معاوية بن حديج لم يحسن التصرف فيما وقع له مِن غنائم فأساء قسمتها، وكان تصرف معاوية مثار مناقشة الفقهاء إذ يبدو انه خالف الشرع ورغبتهم[٥].

يتضح مما سبق أنّ بعض قرارات التعيين والعزل للولاة هي قرارات فردية تختص بالخليفة وقد يأتي العزل اثر حادثة معينة وبقرار شخصي لا اكثر مِن دون المشاورة أم الرجوع الى السيرة التاريخية للشخصية أم لإنجازاتها، وبناءً على ذلك تكون صناعة القرار فردية[٦].

---

(١) محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص٥٧.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣١١.

(٣) جبلة بن عمرو بن صامت الأنصاري الخزرجي، من الصحابة الكرام، وأحد وجوه الأنصار من بني عمرو بن عوف من الخزرج، أدرك النبي (ﷺ) وشهد معه المشاهد، وكان ممن بايع تحت الشجرة في بيعة الرضوان، وهو معدود في أهل السابقة من المهاجرين والأنصار، وكان ممن نزل العراق بعد الفتح، وسكن الكوفة وله فيها عقب وكان من أصحاب الرأي والمشورة في الجيش، واختلف أهل المغازي والأخبار في ضبط تاريخ مولده، فقيل إنه وُلد في الجاهلية، وقيل كان ممن أدرك الإسلام وهو في أول شبابه، وأمّا وفاته، فالمشهور عند أهل العلم بالتواريخ أنه توفي في خلافة عثمان بن عفان، وقيل توفي بعد ذلك بقليل. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٢٣٥؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٥٦٦.

(٤) أبن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٠.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦١.

(٦) روين، فهم صنع القرار، ص٢٤.

جاء بعد ذلك اختيار اهم ولاة افريقية والذي لعب دورا كبيرا في الكثير من القرارات الا وهو عقبة بن نافع الفهري الامر الذي يتطلب الاشارة الى شخصيته القيادية المؤثرة في تاريخ المغرب للوقوف على صفاته التي اهلته لهذا المنصب، كان عقبة بن نافع مِن أشهر القادة العسكريين، وهذا ما جعله في ذهن الخلافة الأموية ليكون له دور كبير في هذا الجانب مِن خلال الحملات العسكرية، الأمر الذي عرضه للكثير مِن الانتقادات والاتهامات بارتكابه للظلم في حق الشعوب الأصلية في افريقية، وتذكر الروايات بانه يتصف كان بقوة ايمانه، شديد الحماسة لنشر الاسلام، فكان يتخذ مِن الفتوحات وسيلة لذلك، بدأت مشاركاته في العمليات العسكرية منذ فتوحات عمرو بن العاص الأولى لأفريقية(١)، ولذلك كان على دراية عالية بأحوال أفريقية ومسالكها، ولا سيما في ليبيا وصحرائها؛ ولهذا سلك بجيوش المسلمين طريق الصحراء عبر الواحات وتجنب الطريق الساحلي الذي سلكه أغلب القادة الذين سبقوه، الذي أصبح يعرف (بالطريق الأعظم وبجادة)(٢).

استمرت عوامل الاختيار للولاة في افريقية لنفس الاسباب السالفة الذكر ويمكن ملاحظة ذلك في قرار تولية ابو المهاجر دينار ولاية المغرب وعزل عقبة بن نافع عن أفريقية , وفي هذا الصدد يروى ان حديثا جرى بين الخليفة ووالية في مصر مسلمة بن مخلد جاء فيه : "**لو استعملت عقبة وقرارته على أفريقية فأن له فضلا وسابقة وهو الذي بنى القيروان، فقال مسلمة: أنّ ابا المهاجر كأحدنا صبر علينا في غير ولاية، ولا كبير فنحن نحب أنّ نكافيه ونصطنعه**"(٣)، ومن ذلك الحين تولى ابو المهاجر دينار امور أفريقية وقد أساء في تعامله للوالي السابق عقبة بن نافع إذ نزل خارجاً عن المدينة وكره أنّ ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة، ومضى خلفه

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٢.

(٢) محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص٣٣.

(٣) أبن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١.

بميلين بعَد طريق تونس، فأختط بها مدينة اخرى ليفسد عمل عقبة، وأخذ في عمرانها وامر الناس أنّ تحرق القيروان، ويعمروا مدينته، فخرج عقبة منصرفا وادركه الخبر في الطريق فتوجه للمغرب اسفا على أبي المهاجر دينار ودعا الله عليه أنّ يمكنه منه، فبلغت ابا المهاجر دعوته فقال: "**هو عبد لا ترد دعوته**"(١).

وأشارت بعض مِن المصادر أنّ ابا المهاجر دينار امر باعتقال عقبة بن نافع، وتم ذلك بطريقة سيئة بسب عدم دفع استحصال الأموال الواجبة عليه خلال الفتح حتى جاءت الاوامر مِن الخلافة بفك اعتقاله، وإرساله مبجلا إلى الشام فورا مِن غير إمهال فصدع بالأمر(٢).

ولم يزل ابو المهاجر خائفاً منه، نادما على ما فعل معه، ولما قدم عقبة على معاوية قال له: "**فتحتُ البلاد ودانت لي، وبنيتُ المنازل، واتخذتُ مسجدًا للجماعة، وأسكنتُ الناس، ثم أرسلتُ عبداً مِن الأنصار، فأساء في عزلي، فاعتذر له معاوية، وقال له: قد عرفتَ مكانة مسلمة بن مخلد عند الإمام عثمان، وبذله مهجته صابراً محتسباً، وطاعة مِن أطاعه مِن قومه ومواليه. وأنا أُردّدك إلى عملك**"(٣).

ويعلق احد المؤرخين على ذلك بالقول: "**ان معاوية بن أبي سفيان تلقاه بالإكرام والحفاوة وتحدث اليه في شؤون أفريقية وقرر اعادته إلى الولاية، فلم يكن عقبة مِن اولئك الرعاديد الضعفاء الذين تلتصق مسامعهم بالنمائم والوشايات فلا تصدر عنهم صالحة للبلاد**"(٤).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣١.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٣؛ الدباغ معالم الايمان، ١ج، ص٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان والمغرب، ص٢١.

(٤) الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، ص٤٩.

ولم يرغب معاوية ولا يزيد بعد معاوية أنّ يعيد عقبة إلى أفريقية على الرغم مِن دوره وخبرته الطويلة فيها ومعرفته الدقيقة لمسالكها ومداخلها ومخارجها وسكانها قبل أنّ يتوفى مسلمة سنة (٦٢هـ/٦٨١هـ)[١] وبهذا فأن قرار العزل عن أفريقية ليس كرها له بل محبة بمسلمة وأبي المهاجر ومكافأة لهما على خدماتهما وإخلاصهما للحاكمين حينذاك.

وفي المقابل هناك راي اخر اقرب الى الصحة يذكر ان قرار العزل جاء بالاتفاق ما بين معاوية ومسلمة والي مصر؛ لأن حكم الدولة الأموية يتسم بالمركزية والفردية، فمن غير المعقول أنّ الوالي يفرض على الخلافة قراراته، وربما هناك خشية مِن عقبة بن نافع بالاستقلال بأفريقية بعدما بنى مدينة القيروان وصار له اتباع كثر ناهيك عن شخصيته مِن خلال تمتعه بصفات القيادة، فقد وجدوا أنّ عقبة بن نافع محب لرجاله ويحبونه ويثق بهم ويثقون به، وقد بلغت ذلك حدا جعلهم يعتقدون انّه مجاب الدعوة، فكان يتفقد اصحابه فيما يعود عليهم بالنفع، ويستزيد محسنهم بالتكرمة، ويغض الطرف عن مسيئهم في الأمور الطفيفة غير ذات البال، ويستعتب مقصرهم، غير مغتنم للزلة ولا معترض للعثرة، ولا مستريح إلى كشف غامض العورة[٢].

ولا بد مِن الاشارة الى دور الوالي في مصر مسلمة بن مخلد الانصاري في المشاركة بقرار عزل القائد عقبة بن نافع الفهري كما ذكرنا، وهو الأمر نفسه الذي اسهم بمنح امر تعيين أبي المهاجر دينار لهذا المنصب[٣]، فكانت العلاقات الشخصية تلعب دوراً واضحة في صناعة قرار العزل والتعيين وهو ما جرى بالفعل مع ولاية عقبة الأولى الأمر الذي انعكس على الجانب العسكري والحضاري مِن خلال ترك القيروان وبناء مدينة اخرى فضلاً عن حبس عقبة بن نافع والتضييق عليه.

---

(١) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٨٤-١٨٥.

(٢) خطاب، مختصر سياسة الحروب، ص١٦.

(٣) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٨٨؛ القاضي عياض، رياض النفوس، ج١، ص٢١.

ويظهر أنّ معاوية لم يكن يرغب بإعادة عقبة الى ولايته حتى وفاة مسلمة بن مخلد كما ذكرنا، وكان الأمر ليزيد ابنه فلما أراد إرجاع عقبة قال: "**ادركها قبل أنّ تفسد فرده والياً على أفريقية وقطعها على مسلمة بن مخلد والي مصر**"(١)، وفي رواية أخرى "**أدركوها قبل أنّ يخربها**"(٢)، ويريد بذلك أفريقية قبل أنّ يخربها ابو المهاجر، وعلى الرغم مِن أنّ ابا المهاجر أبلى بلاء حسنا في اعماله، بل قام بأعمال مجيدة هناك(٣)، إلاّ أنّ سياسة الامويين واضحة في استبدال الولاة وعدم ابقائهم خشية مِن الاستقلال وإن القرارات تتخذ في الغالب بناء على معطيات وعوامل عديدة تشكل صناعة القرار مِن قبل صاحب القرار وفقاً لرؤيته بما ينسجم مع مصلحة الدولة.

وبرز دور عقبة بن نافع الفهري في ولايته الثانية على المغرب (٦٢-٦٤هـ) كقائد إداري وعسكري، في اقليم لا يزال حديث العهد بالإسلام، وأهم ما يميز قراراته الادارية بأنّها كانت حازمة وذات بعد استراتيجي، إذ عمل على تثبيت دعائم الحكم الإسلامي مِن خلال اعادة احياء مدينة القيروان لتكون قاعدة أساسية وعسكرية(٤)، كما اعتمد في صناعته للقرار الاداري على التمركز الجغرافي الاستراتيجي، بعد أنّ سكن القيروان لتكون قريبة مِن الطرق التجارية، وفي موقع يساعد على حمايتها مِن هجمات الروم والبربر(٥)، وهو ما يعكس بعد نظر إداري وعسكري.

يبدو ان توجيهات الخلافة والولاة سارت نحو الاهتمام بالداخل في افريقية ولهذا اتخذت مجموعة قرارات تنظيمية في الجانب الاداري اذ قام بتقسيم المناطق المفتوحة الى ولايات صغيرة تدار منقبل قادة موثوقين، ولضمان الاستقرار الأمني اهتم بنظام الجباية(٦)،

---

(١) أبن عذاري، البيان والمغرب، ج٣، ص٢١.
(٢) القاضي عياض، رياض النفوس، ج١، ص٢١.
(٣) خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ص١١٩.
(٤) أبن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٥٩.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٥، ص٢٦٦.
(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣١.

الامر الذي يظهر انّه لم يكن مجرد فاتح، بل كان رجل دولة من خلال أدركه لأهمية الادارة المنظمة في ترسيخ الفتح، كذلك أظهرت مراسلاته وتوجيهاته ميلاً الى استشارة كبار القادة ممن رافقوه مِن الصحابة والتابعين(١)، مما يعكس اهمية الشورى في العديد من القرارات.

وبعد استشهاد عقبة بن نافع وما جرى مِن اثار ذلك مِن قرار الرجوع الى طرابلس اتجهت الخلافة بقرار تعيين زهير بن قيس واليا لإعادة فتح أفريقية وإنقاذها مِن يد كسيلة زعيم قبيلة اوربة الذي تحالف مع الروم وقتل كلا مِن عقبة وأبا المهاجر دينار، وكان لدور الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (٦٥هـ/٦٨٤م) في قرار التعيين واختيار القائد الميداني الشجاع، وهذا القرار جاء سريعا في ظل الظروف الاستثنائية بعد الانتكاسة الكبرى في تهودة ووجود رغبة قوية بالقصاص من قتلة عقبة واصحابه، فكتب إلى زهير بن قيس وأمدّه بجيش كبير زحف في سنة (٦٦هـ) إلى أفريقية(٢).

بدأت الخلافة بعد استشهاد زهير بن قيس البلوي في درنة باتخاذ قرار البديل وحينها جاء اختيار حسان بن النعمان الغسان سنة (٧٤هـ) ليكون والياً على بلاد أفريقية في ظل الظروف الصعبة وهذا التعيين جاء لعوامل عديد منها شخصية القائد الواضحة من خلال دوره العسكري في بلاد الشام، فضلاً عن اخلاصه التام للأمويين حتى عرف بـ "الشيخ الامين"(٣).

يبدو أنّ اتخاذ قرار تعيين هذه الشخصية البارزة كان ناجحا في ظل خطورة الموقف في أفريقية الناجم عن تحالف القبائل البرانسيه والروم ووجود استعادة قوة الدولة في المنطقة مِن خلال هذه القوى والقضاء على المقاومة المحلية والقوات الرومية المساندة لها.

(١) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٤، ص١٤٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٥٢.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣٢.

كذلك استفاد الوالي حسان الغساني مِن التجارب السابقة للولاة الأمر الذي دفعه نحو تغيير قراراته من خلال اتباع سياسة استندت على استمالة القبائل المغربية مِن خلال تعيين العمال والقادة مِن تلك القبائل، إذ أشعرهم بأهميتهم في إدارة الولاية والدولة العربية الإسلامية كونهم جزءاً منها، ما يؤكد لهم بأن سياسته لا تفرق بين العرب الفاتحين والقبائل المغربية المحلية(١)، ولذلك أصبحت مهمة نشر الإسلام في المغرب الإسلامي تقع على مسلمي المشرق ومسلمي المغرب معاً.

يبدو ان ستراتيجية كسب السكان المحليين كانت حاضرة في قرارات الوالي حسان بن النعمان اذ وزع اراضي البيزنطيين على الفلاحين مِن أهل البلاد حيث كان لكل قبيلة قطعة مِن الارض تستغلها وتكون مسؤولة عن صدقاتها ومن ذلك صارت الخطط للبربر في أفريقية فكان يقسم الفيء بينهم فحسنت طاعتهم(٢)، هذا القرار يعكس نضجاً إدارياً ستراتيجياً؛ إذ دمجت السياسة الأموية العناصر المحلية مِن خلال توزيع الغنائم للجميع الامر الذي يوضح كيف تحوّل القضاء على التمرد إلى شراكة محلية، مما يثبت أنّ الإدارة الأموية لم تعتمد على القوة العسكرية فقط، بل ركزت على آليات إشراك العناصر المحلية في منظومة الدولة.

ومن القرارات المهمة ايضاً هو قيامه بتدوين الدواوين وتعريبها، وجعل العربية لغة الإدارة والعمل كذلك تم تعيين نواب الأقاليم من اهل البلاد فضلا عن المصالح الحكومية الاخرى ويمكن الاستدلال في ذلك على تعيين المشرف على خراج قلعة زغوان رجلاً قبطياً يدعى إبراهيم بن النصراني(٣).

أمّا مِن الناحية المالية فقد نظم الوالي حسان الخراج على الأراضي وأنشأ ديواناً للخراج عين حنش بن عبد الله الصنعاني عاملاً عليه(٤)، وهذا يؤكد دوره في صناعة

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٢٦٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٩٥-١٩٦.

(٣) القيرواني، تاريخ أفريقية، ص٦٤.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٧٨؛ السامرائي، الصلات الحضارية بين مدن مشارقية ومدن مغاربية، ص١٧٠.

القرار المالي والإداري، كما أنّ فرض الجزية على النصارى من الروم والبربر، وكان غالبيتهم مِن قبائل البرانس[١]، وأسند مهمة جمع أموال الجزية والخراج مِن أهل الذمة الى رجال مِن أهل طائفتهم وكما هو الحال في برقة، إذ كانوا يجمعون الأموال ويدفعونها لمركز الولاية دون أنّ يدخل أراضيهم جابٍ أو غريب[٢].

يبدو ان الاسباب الخاصة بعزل الولاة كانت جزءا من السياسة الاموية للولاة البارزين الامر الذي تسبب بقرار عزل الوالي حسان بن النعمان على الرغم من النجاحات الكبيرة التي حققها لهذا قام الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) بتعيين وال جديد هو موسى بن نصير[٣]، الذي سار على نفس النهج السابق تقريبا في صناعة القرارات الادارية اذ عمل على تقسيم المغرب الى ولايتين عمت المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان، وكذلك المغرب الأقصى وعاصمته طنجة[٤]،ويبدو ان هذه القرارات تعكس وعيا تنظيميًا لدى موسى، إذ ساعد التقسيم على تسهيل الإدارة والرقابة وتعزيز الاستقرار في منطقة شاسعة يسكنها قبائل متعددة ذات خصوصيات مختلفة.

كما تبنّى موسى سياسة تستهدف استيعاب البربر بعد إسلامهم، من خلال إشراكهم في الجيش ومنحهم حقوقا في الفيء والأرض[٥]، ولم تكن هذه الخطوة ناجحة فحسب بل قرار إداري مهم أزال الحواجز بين العرب والسكان المحليين، وخلق طبقة محلية داعمة للحكم الإسلامي، وهو مِن أبرز الايجابيات في صناعة القرار الإداري لإدارة المناطق المفتوحة.

---

(١) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص٦٤.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٣٢.

(٤) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٥٩.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٣٤١.

ومن جملة القرارات البارزة في عهد هذا الوالي هو استكمال المشروع الاسلامي البحري من خلال إنشاء دار لصناعة السفن في تونس والمغرب؛ لتعزيز القوة البحرية وتأمين السواحل مِن الهجمات البيزنطية(١)، يُعد هذا القرار مِن القرارات الإدارية البارزة التي ترتبط بالسياسة العامة للدولة، ودليل على أنّ موسى لم يهمل الجانب البحري في تأمين مناطق البلاد.

كذلك من القرارات البارزة والدالة على اشراك اهل البلاد في الادارة والحكم هو تعيين طارق بن زياد(٢)، وهو مِن أبناء البربر قائداً على طنجة والمغرب الأقصى(٣)، وهذا الاجراء الإداري يعد ذكياً؛ لأنه وظّف شخصاً مِن أبناء المنطقة يعرف طبيعتها وسكانها، وهو ما أسهم في تثبيت الأمن والإدارة، وأتاح لاحقا نجاح فتح الأندلس(٤)، لم يكن فتح الأندلس مجرد عمل عسكري بل قرار إداري استراتيجي استهدف توسيع الدولة وضمان استقرار المغرب مِن خلال تصدير الفائض العسكري، وهو امتداد مباشر لصناعة القرار الإداري في المغرب.

أسهمت القرارات الادارية مِن قبل طارق بن زياد في خلق الاستقرار في المغرب، إذ شارك في توزع الفيء والغنائم وأراضي الفتوحات على قبائل البربر في المغرب(٥)، ما أدى

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦٠.

(٢) طارق بن زياد بن عبد الله، يُكنّى بـ أبي عبد الله، ويُعدّ من أشهر القادة العسكريين في صدر الدولة الإسلامية، ومن أبرز أعلام الفتح الإسلامي للأندلس، أصله من البربر، وقيل من قبيلة نفزة، وقد نشأ في بلاد المغرب الإسلامي، حيث التحق بالجيش الإسلامي وخدم تحت إمرة القائد موسى بن نصير، برز طارق بن زياد في سنة (٩٢هـ) عندما قاد جيش المسلمين لعبور مضيق البحر، واستطاع أن يُحقق نصرا كبيرا في معركة وادي لكة، التي مهدت الطريق أمام المسلمين للسيطرة على الأندلس، اختلفت الروايات حول وفاته، فبعضها رجّح أنه توفي في بداية القرن الثاني الهجري، بعد عزله وعودته إلى بلاد المغرب، دون تحديد دقيق لمكان وزمان وفاته. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٩٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٣١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٧٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٩٥.

إلى تعزيز الولاء وتحسين الطاعة وكانت لهذه القارات بعدٌ سياسي واجتماعي، حيث دمج القبائل المحلية في منظومة الدولة الإسلامية، وخلق استقرارا على المستوى الاجتماعي.

كما عمل على تنظيم الإدارة المحلية، حيث أمر طارق بتقوية الحصون على الثغور المغربية وتأمين الطرق، خاصة حول المدن المهمة كالرباط وطنجة[١].

ويتضح أنّ صناعة القرار الإداري في المغرب خلال هذه الحقبة (٢٢-٩٢هـ) اتسمت بالتخطيط الدقيق والاساليب الذكية التي جمعت بين الجانب العسكري، والإداري والمالي، والاجتماعي، مما أسهم في بناء نظام إداري قوي قادر على السيطرة على الأقاليم الواسعة وتحقيق الاستقرار والتنمية.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٣٦٢.

المبحث الثاني

صناعة القرار الحضاري

جاءت عملية بناء النموذج الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي ما بين (٢٢-٩٢هـ) منسجمة مع صناعة القرار الحضاري التي انتهجتها الدولة الإسلامية آنذاك، حيث لم تكن الفتوحات مجرّد تحرّكات عسكرية عشوائية، بل كانت جزءاً مِن رؤية استراتيجية تهدف إلى التوسع المنظم، وترسيخ دعائم الاستقرار، وبسط النفوذ السياسي، والاقتصادي، ونشر الفكر والحضارة الإسلامية، وقد مثّلت القرارات المتّخذة مِن قبل صانعي القرار في الدولة، سواء في المركز أم مِن قبل القادة الميدانيين، أساساً في تحقيق هذا التوجه، حيث جرى العمل وفق تخطيط واضح لتحقيق الاستقرار في المنطقة، بوصفه شرطاً ضرورياً لإنجاح المشروع الحضاري الإسلامي وتثبيت وجوده في المغرب.

بدا العمل على الجوانب الحضارية في بلاد المغرب منذ السيطرة على برقة سنة (٢٢هـ) وذلك من خلال الخطوات التي اتخذها عقبة بن نافع من خلال التساهل مع السكان المحليين وتركهم في اراضيهم والعمل على منحهم الحريات في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، الا ان ذلك لم تلك الاعمال لم يسلط الضوء عليها تاريخيا لعدم توجه واضح للتوسع في هذه البلاد فضلا عن الاحداث المشرقية المتلاحقة خلال العصر الراشدي[١].

لقد استكمل الوالي عقبة بن نافع مشروع الدولة في الاستقرار بالمغرب من خلال ابرز عمل قام به وذلك خلال السنوات (٥٠-٥٥هـ) بتأسيس مدينة القيروان لتحقيق الاهداف السياسية والعسكرية والادارية وبناء المركز الحضاري المتكامل لهذه البلاد لغرض نشر

(١) ينظر: مؤنس، فتحر العرب للمغرب، ص١١٠.

الاسلام وتقوية الدولة في مختلف الارجاء[١]، فضلا عن اهميتها التحصينية للمسلمين ومركزاً تنطلق منه حملات الفتح للسيطرة على البلاد[٢].

عزم عقبة بن نافع على إيجاد الفرصة لدمج المجتمع وبناء الحضارة الإسلامية في المغرب ولهذا رأى ضرورة الاستعداد للأمر قبل اتخاذ القرار مِن خلال المشاورة مع أهل الراي والمكانة مِن القادة ووجوه المسلمين إذ خطب فيهم بالمشروع خطبة مهمة اوضح خلالها طريقة أهل البلاد واسلوبهم في مواجهة المسلمين قال فيها: "**إن اهل هذه البلاد ضعفاء الأخلاق تنقصهم العزيمة، إذا عضّهم السيف أطاعوا، وإذا رفع عنهم عصوا، وعادوا إلى ما كانوا عليه مِن عاداتهم، ولست أرى أنّ ينزل المسلمون بين أظهرهم ثم يرتحلوا عنها رأيا سديداً مسلما**"[٣]، لذلك لا بد مِن إقرارهم لتمكين الإسلام في البلاد، وقد رأيت في ذلك أنّ أبني هنا مدينة للمسلمين تكون عماداً لهم في أمورهم، وملاذا يصيرون إليه، فاستحسن الحاضرون هذا الرأي وتم اتخاذ القرار ببناء مدينة كبيرة في أفريقية ومنها بدأُ في البحث عن مكان صالح لإقامة المدينة، حتى وقع الاختيار على موضع القيروان، في مكان يقع في طرف البر ويمتاز بكثرة النباتات والاشجار[٤].

شكل هذا الحدث أهمية في تاريخ أفريقية والمغرب عامة؛ لأنها صارت ولاية جديدة مستقلة وعاصمة المغرب الإسلامي، وقاعدة تنطلق منها الجيوش والحملات العسكرية لنشر الإسلام، واصبحت مقراً للولاة ومسكناً لقبائل العرب والبربر الذين دخلوا الإسلام وحسن اسلامهم فضلاً عن تعلم اصول الشريعة الإسلامية، فيقول ابن الأثير[٥]: "**ودخل كثير مِن البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان مِن هناك مِن الجنود**

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٣٠؛ ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٤، ص١٧٥.

(٣) ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٨٧؛ ابن عذاري، ج١، ص١٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٣.

(٥) الكامل في التاريخ، ٣ج، ص٢٣٥.

بمدينة القيروان، وآمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها"، وهكذا قدر لمدينة القيروان أنّ تؤدي دوراً يشمل النواحي العسكرية والسياسية والحضارية والاجتماعية، إذ أنّ شيوخها مِن أبناء الصحابة ومن التابعين، وكانوا خير دعاة وخير معين(١).

ومن جانب اخر عمل عقبة على توطيد العلاقات الاجتماعية مع البربر مِن خلال المصاهرة إذ تزوج بأميرة مِن قبيلة لواتة واصبح بمقتضى هذه المصاهرة مِن اشد المقربين لهذه القبيلة وهي سياسة تعود في قرارها الى نهج الرسول (ﷺ) في جعل المصاهرة وسيلة لكسب المجتمعات(٢).

ويظهر مِن خلال ما تقدم أنّ القرارات التي اتخذها القائد عقبة بن نافع جاءت وفقا لمصلحة الخلافة والسيطرة الإسلامية، وحققت النتائج المرجوة منها على المستوى البعيد ويعود ذلك إلى عوامل سياسية ودينية، حيث لم يعرف عن القبائل المغربية أنها توحدت تحت قيادة واحدة، ولم تسع الى توحيد صفوفها، إذ كانت العصبية القبلية وما تفرزه مِن نزاعات تنخر في صفوف القبائل وتضعف مِن قوتها، وأنها لم تلتف على ديانة واحدة فقد شتتها المعتقدات المتنافرة مِن مسيحية، ويهودية، ومجوسية، ووثنية في مختلف أشكالها، فالرومان لم يستطيعوا استمالة قبائل المغرب نحو الديانة المسيحية، ولم يتركوا في أوساطهم آثاراً اجتماعية، حتى أنّ وجودهم السياسي والاجتماعي يكاد لا يتعدى الشريط الساحلي، وبذلك كلما ابتعدنا عن قرطاجنة نجد الأثر الروماني يتضاءل عدا بعض المراكز المحددة، وقد استغل العرب الفاتحون هذه الناحية ولا سيما النزاع والتخاصم بين البرانس والبتر لتحقيق نتائج عسكرية وحضارية كبيرة(٣).

(١) المطوي، سيرة القيروان، ص١٧.

(٢) خطاب، قادة فتح المغرب، ص٢٠.

(٣) الحجي، تاريخ المغرب، ص١٠١.

من خلال ما سبق يتضح وجود تخطيط مسبق ومنهج متبع في أنّ تكون الانجازات الحضارية متزامنة مع الحملات المنظمة ويظهر ذلك الأمر مِن خلال خطوات الخليفة في مجمل القرارات الادارية والسياسية والحضارية.

لم يقتصر صناعة القرار على تأسيس المدينة بل شمل تخطيطها عمرانياً بما ينسجم مع النموذج الحضاري الإسلامي، حيث شُيّدت المساجد، والأسواق، والدور، وشُرّعت الطرق وفق تصور إداري منظم(١)، وابتُني الجامع على نسق جامع عمرو بن العاص بمصر(٢).

وتجلت مظاهر صناعة القرار العمراني التي تأثر بالفكر العمراني الاسلامي(٣) من خلال تحصين المدينة بحصون وأسوار وخنادق، وهذا ما يعكس التخطيط الاسلامي في العمران، ليحقق الأمن والاستقرار الحضاري، حيث ذكر ابن عذاري(٤): "**وأحاط عقبة المدينة بسور عظيم، وحفر حولها خندقاً، ليأمن غارات البربر**".

يبدو ان التوسع الاسلامي في بلاد المغرب استلزم اتخاذ القرارات الضرورية لربط البلاد الاسلامية في هذه المنطقة وهي جزءا من السياسة الاسلامية خلال اغلب الفتوحات اذ تم العمل على تاهيل الطرق البرية التي تربط مصر بالمغرب لتسهيل تنقّل الجيوش، والتجار، والدعاة، ما ساعد في تثبيت الاستقرار، وقيام حواضر عمرانية لاحقاً على تلك الطرق، إذ عمل المسلمون على إصلاح الطرق والمسالك بين مصر وأفريقية، لتيسير انتقال العساكر، وكان ذلك بداية ظهور القرى ونقاط الاستراحة على هذه الطرق(٥).

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٢٥٣.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٧٢.

(٣) مصطفى، التمدن في الاسلام ,

(٤) البيان المغرب، ج١، ص٢٩.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٢٥٤.

كذلك اتخذ قادة الفتح الإسلامي قرارات بإنشاء معسكرات دائمة قرب المناطق المأهولة، سرعان ما تحوّلت إلى مراكز عمرانية صغيرة، مثل بعض الحاميات في سوسة والمناطق الساحلية، وهذا ساعد في توسّع العمران تدريجياً، في أفريقية، بدءاً مِن إنشاء الحصون والحاميات، والمباني، كانت نواة لتجمّعات حضارية لاحقة(١).

يظهر ان سياسة الدولة اسهمت بإعادة إحياء المدن القديمة التي كانت قائمة قبل الإسلام مثل صبراتة(٢)، عبر إصلاح مرافقها وبناء المساجد والأسواق فيها، لتصبح جزءاً مِن المشروع الحضاري الجديد(٣).

ان الفكر الاسلامي كله له تأثير في صناعة القرارات الخاصة بالخطط الداخلية للمدن من خلال بناء المساجد الجامعة، كما فعلوا في القيروان وطرابلس، لتكون رمزاً للاستقرار والحكم، فضلاً عن الاهداف الدينية، اذ كان المسجد مركزاً للدراسة والقضاء، وإدارة الشؤون الدولة العامة(٤)، مما يعكس بعدا سياسيا وحضارياً واضحاً.

ان صناعة القرارات الاجتماعية في هذه البلاد خضعت هي الاخرى الى الجذور الاجتماعية الاسلامية من خلال الخطوات التي اتخذها الرسول والخلفاء من بعده في التعامل مع المناطق الداخلة للإسلام(٥)، إلا أن السياسة الاموية لم تصل لهذه النتيجة الا بعد ان مارست القوة العسكرية التي فشلت في تحقيق الاهداف المطلوبة بإخضاع المنطقة

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٣٢.

(٢) صَبْرَاتَة: بالفتح ثم السكون، وراء وألف وتاء، مدينة على ساحل البحر من نواحي إفريقية من أعمال طرابلس، قديمة البناء، ذات آثار باقية، تعود أصولها إلى العهد الفينيقي ثم الروماني. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٠٦.

(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص١٩٨.

(٥) ينظر: الطيالسي، مسند أبي داود، ج١، ص٤٥٤؛ أبن أبي شيبة؛ الكتاب المصنف في الاحاديث والآثار، ج٤، ص٥٤٣.

الامر الذي تطلب توجهاً جديداً من خلال اتباع سياسة تقوم على أساس كسب ولاء القبائل المغربية، ونشر الإسلام بينهم، من خلال سياسة الإقناع واللين، وربما كان عقبة بن نافع عسكرياً مِن الطراز الأول وصارماً شديداً في سياسته، فقد تطلبت المرحلة الجديدة والياً سياسياً يمتلك قدراً عالياً مِن تلك المرونة دون التفريط بأهداف الدولة المركزية ولهذا السبب ؛استدعى الخليفة معاوية بن أبي سفيان القائد عقبة بن نافع وعين مكانه القائد أبو المهاجر دينار(١).

عمل أبو المهاجر دينار (٥٥-٦٢هـ) على نقل مركز الاستقرار مِن القيروان إلى المناطق القريبة منها، حيث ذكر ابن خلدون(٢) "**أن أبا المهاجر دينار لما ولي أفريقية، نقل معسكره إلى تكروين مِن نواحي ميلة، وأقام بها، وبنى فيها المسجد، واتخذها مقرا لأعماله**"، ويمكن القول أنّ قرار نقل المركز الإداري والعسكري إلى موقع التكرور يهدف الى تحقيق الاستقرار، ويقرب المسلمين مِن القبائل البربرية، بما يسهم في نشر الإسلام وترسيخ الحضارة وغيّر أبو المهاجر دينار سياسة المواجهة العسكرية المباشرة مع البربر، واعتمد قراراً مهماً قائماً على المصالحة، وكسب ولاء القبائل، وخاصة قبيلة أوربة، بقيادة كسيلة، وهو ما ساعد في التمهيد للاندماج الحضاري، وفي هذا الصدد ينقل ابن عبد الحكم(٣): "**إن أبا المهاجر أحسن إلى كسيلة، ودعاه إلى الإسلام، وأظهر له حسن المعاملة، فكان ذلك أدعى لاستقرار الأمر للمسلمين**"، ويبدو أنّ قرار التفكير والعمل بهذه القرارات لها اهمية كبيرة في كسب السكان المحليين وفي مقدمتهم كسيلة وقبيلته، مما ساعد في تثبيت النفوذ الإسلامي وتحقيق الاستقرار الداخلي.

شكّلت مدة ولاية زهير بن قيس البلوي على المغرب الإسلامي (٦٣-٦٩هـ) مرحلة دقيقة في مسار الفتح الإسلامي، ورغم الطبيعة العسكرية الدفاعية التي طغت على تلك

(١) السامرائي، تاريخ المغرب العربي، ص٦٩.
(٢) تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٢.
(٣) فتوح مصر والمغرب ، ص١٥٠.

المرحلة، إلاّ أنّ القرارات التي اتخذها زهير حملت أبعاداً حضارية واضحة، تمثلت في إعادة تنظيم مدينة القيروان كمركز للسلطة والإدارة ذكر ابن عبد الحكم[١] أنّ زهير بن قيس "**لما ولي أفريقية، رجع إلى القيروان، ونظم أمرها، وأعاد الجند إليها**"، وقد عكس هذا القرار اهتماما بتثبيت السلطة السياسية، وهي خطوة أساسية في الحفاظ على الاستقرار السياسي والحضاري.

كما عمل البلوي على تأمين طرق المواصلات بين القيروان وسواحل برقة وطرابلس، وقد أشار البلاذري[٢] إلى أنّ زهير "**سار نحو برقة لتأمين الطريق وصد هجمات الروم والبربر على المسلمين**"، بهدف خلق بيئة آمنة للتجارة والتنقل، ما يُعد جزءا مِن البنية التحتية الحضارية الضرورية.

وخلال ولاية حسان بن النعمان الغساني على بلاد المغرب الإسلامي (٦٩-٨٢هـ)، فقد شهدت المنطقة واحدة مِن أهم مراحل صناعة القرار الحضاري الذي اعتمد على نفس الاساليب والخطط الاسلامية، اذ لم تقتصر قراراته على الجانب العسكري، بل امتدت لتشمل الجوانب العمرانية، حيث استكمل بناء القيروان وتطويرها، ويذكر ابن عبد الحكم[٣] أنّ حسان بن النعمان "**عمر القيروان، وجدّد بنيانها، وأحاطها بالسور، فاستقرت بها العرب والمسلمون**"، ويبدو ان هذا القرار له ابعاد حضارية مهمة من حيث تطوير المدينة كمركز إداري وديني دائم في المغرب الإسلامي.

كما عمل على هدم مراكز الوثنية وإرساء أسس الدين الإسلامي، وأشار البلاذري[٤] إلى أنّ حسان "**أزال بقايا الأوثان والوثنية في أفريقية، وبنى المساجد، ودعا الناس إلى**

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص١٧٣.
(٢) فتوح البلدان، ص٢٣٥.
(٣) فتوح مصر والمغرب، ص١٧٦.
(٤) فتوح البلدان، ص٢٣٦.

الإسلام"، مما اسهم تقوية الوجود الديني الذي يرمي إلى ترسيخ الهوية الإسلامية ونقل المجتمع نحو منظومة حضارية جديدة.

وكان لقضائه على زعامة الكاهنة البربرية وإرساء الاستقرار السياسي أثره في استتباب الامن، حيث انتهت فتنة الكاهنة، واستتب الأمر لحسان، فأمن الناس، واطمأنوا في أمصارهم(١)، وبلا شك أنّ استتباب الأمن السياسي شرط رئيسي لأي نهضة حضارية فضلا عن إدخال العرب والبربر في إدارة البلاد مِن خلال توزع الأراضي عليهم، وتداخلهم في عمرانها(٢)، إذ كان لقرار الدمج دورا واضحا في صناعة مجتمع حضاري متماسك، قائم على التعاون لا الصراع، وهو أساس متين لبناء الدولة والمجتمع.

اتجهت صناعة القرارات في زمن حسان بن النعمان نحو تحقيق المزيد مِن الانجازات الحضارية فبعد فتح مدينة تونس والاستيلاء على قرطاجنه، التي ارتدت بعد فتحها الاول مِن الوالي زهير بن قيس، عمل على مواجهة التمرد بطريقتين الاولى هي دك معاقلها وتركها مفتوحة لئلا يعود اليها الفارون مِن الروم ثم امر في الثاني ببناء المسجد الجامع، أيّ جامع الزيتونة وكان في الاصل ديرا للرهبان تخلوا عنه الأمر الذي استغله المسلمون وحولوه الى هذا الجامع(٣).

يبدو أنّ صناعة القرار الحضاري جاءت متلائمة مع الرغبة الأموية كانت واضحة في استمرار التوسع وفرض النفوذ وكذلك الرغبة في السيطرة على البحر المتوسط وسحبه مِن الإمبراطورية البيزنطية الأمر الذي دفع نحو قرار إنشاء قاعدة حربية عربية إسلامية في المغرب لمواجهة الخطر البيزنطي القادم مِن البحر الشامي، إذ بنى حسان مدينة

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص٢٨.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٣.
(٣) البكري، المغرب في تاريخ المغرب، ص٣٧.

تونس على أنقاض المدينة القديمة المسماة ترشيش[١] شرق قرطاجنة وخرق البحر اليها ليوصلها به، إذ كانت بعيدة عنه قليلاً، وجعل رادس مرساً لها[٢]، وأنشأ لذلك داراً لصناعة السفن وبناء الأسطول البحري، كما زودها بالمحارس، وهكذا أصبحت أفريقية مركزاً بحرياً مهماً تخرج منه أساطيل المغرب[٣]، ولذلك يعد حسان الغساني أول مِن وضع نواة الأسطول البحري العربي المغربي الامر الذي سحب مِن الروم التفوق البحري على المسلمين[٤].

ويبدو أنّ تلك الاجراءات والخطوات كانت مدروسة تعالج هذا الضعف مِن خلال التقدم الاداري والاقتصادي بتوفير الظروف الملائمة والمستلزمات لتحقيق القوة اللازمة لغرض الوجود الاسلامي.

شهد المغرب الإسلامي في عهد القائد موسى بن نصير (٨٦-٩٢هـ) نقلة نوعية في مسار صناعة القرار الحضاري، كون أنّ الأخير تمرس في مناصب عديدة أهلته ليكون مِن أولئك الولاة الذين يفكرون بما يعملون ويعرفون ما يريدون فاخذ يرسم مِن مقر ولايته الجديد في القيروان السياسة الإدارية لهذه البلاد بما ينسجم والأهداف العامة للدولة العربية الإسلامية[٥].

إذ لم تقتصر قراراته على الفتوحات العسكرية، بل امتدت لتشمل التأسيس والتنظيم الاجتماعي، وإرساء البنية التحتية الحضارية التي أسهمت في ترسيخ الاستقرار وتهيئة الأرضية للامتداد الإسلامي غربا، فقد كان موسى بن نصير مِن

(١) ترشيش: هي مدينة مشهورة بالمغرب، قيل إنها من بناء الروم، وقيل أصلها من مدن أهل البحر قديماً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٨.

(٢) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص٣٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٩٧.

(٤) لقبال، المغرب الإسلامي، ص٨٨.

(٥) ابن عذارى، البيان المُغرِب، ج١، ص٥٤-٥٥.

أبرز القادة الذين جمعوا بين الحزم العسكري والرؤية الحضارية، فصنع قرارات إستراتيجية تركت آثاراً عميقة في المجال العمراني، والاجتماعي في المغرب.

بدا عمله في الصعيد العمراني من خلال تنظيم المدن وبناء الحصون فيذكر أبن عذاري[١]: "**ثم أنّ موسى بن نصير لمّا تمكّن بالمغرب بنى فيه الحصون، وأقام فيه القواعد، ورابط به الجيوش**"، ولم يكن بناء الحصون قراراً عسكرياً فقط، بل حضاريا بامتياز؛ جاء لأسباب معينة منها توفير الأمن، وتحقيق استقرار السكان، وتشجيع حركة العمران، مما مكّن مِن بسط سلطة الدولة الإسلامية وتعزيز الوجود الحضاري فيها، وهذا الامر نابع من الفكر الاسلامي في تخطيط المدن وطرق حمايتها.

كذلك عمل على تشجيع القبائل على الاستقرار والإسلام فعندما دخل موسى بن نصير الى المغرب أخذ "**يدعو البربر إلى الإسلام ويحضّهم على الطاعة، ويقرّهم في بلادهم بعد أنّ أذعنوا له**"[٢]، هذا القرار يعكس بعدٌ حضارياً هدفه دمج سكان هذه البلاد ضمن الدولة الإسلامية، مع احترام خصوصيتهم القبلية والإقليمية، وهو ما أسهم في تعزيز الاندماج، وزيادة الولاء، وخلق بيئة حضارية قائمة على التفاهم والتعايش.

وقد عمل على استقدام الصناع والحرفيين مِن المشرق وذكر السلاوي[٣]: "**أن موسى بن نصير أرسل إلى الشام والعراق يطلب مِن هناك الصناع والمهندسين ليعمّروا المغرب ويبنوا فيه المساجد والحصون**"، ويمكن القول أنّ استقدام الكفاءات والحرفيين مِن المشرق الإسلامي قرار مهما هدفه نقل الخبرات وإثراء البيئة العمرانية والفنية في المغرب، وهو ما يعكس حرص الوالي موسى بن نصيره وكل القيادات التي اسهمت في تحقيق هذه القرارات على اهمية التمازج الحضاري.

---

(١) البيان المُغرِب، ج١، ص٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٣٣.

(٣) الأستقصا، ج١، ص١٢٩.

كذلك أولى موسى بن نصير الاهتمام الكبير بتطوير الصناعات الحربية في البلاد وهي جزءا من السياسة الاسلامية بعد الاستقرار وفرض السلطة عليها وهو قرار بالغ الأهمية؛ لأنه يسهم في خدمة الجانب العسكري ويساعد في تنشيط الحرف والصناعات المختلفة من خلال إنشاء ورش لصناعة السيوف والرماح والدروع في القيروان وسائر مدن المغرب(١).

كما عمل على تطوير صناعات البناء والزخرفة في العمارة الإسلامية، إذ تسابق الصناع والنجارون والحجارون إلى عمارة القيروان والمدن الكبرى في المغرب في أيام موسى بن نصير، حتى غدت تعرف بحسن البناء وجمال الزخرفة(٢)، أنّ أهتمام موسى بن نصير بالصناعات المرتبطة بالبناء والزخرفة يُعدّ جزءا مِن قراراته الحضارية التي هدفت إلى تجميل المدن، ورفع مستوى العمران، وترسيخ الهوية الإسلامية في النسيج المعماري للمغرب، فضلاً عن اتخاذه خطوات في مجال تطوير البنية التحتية والطرق، حيث أمر موسى بن نصير بإصلاح الطرق والمسالك، وجعل فيها العديد من المرافق للمسافرين(٣).

أمّا في مجال نشر الاسلام والتعليم فقد ذكر ابن خلدون(٤): "**أن موسى بن نصير كان يُكثر مِن إرسال العلماء والفقهاء إلى بلاد البربر، ليعلموهم القرآن والدين**" وورد لدى ابن عذاري اشارة لذلك فيقول: "**ترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا مِن العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام**" **والظاهر أنّ ابن نصير ترك هذا العدد مِن المسلمين الاوائل يفقهون إخوانهم مِن مسلمي البربر...، ولعل هذا العدد** "**سبعة عشر رجلاً**"(٥).

(١) ابن عذارى، البيان المُغرِب، ج١، ص٥٦.
(٢) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص٢٠.
(٣) ابن عذارى، البيان الغرِب، ج١، ص٥٧.
(٤) تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٧.
(٥) مناتي، تاريخ الدولة العربية الإسلامية العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ)، ص٢٣.

مما يظهر ان عمليات التوسع صاحبها قرارات مهمة حاولت قدر الامكان من دمج المجتمع المغربي مع ثقافة المجتمع الاسلامي وهي جزء من منهج الدولة العربية الاسلامية خلال تلك الحقبة.

يظهر من السياسة السابقة التي اتخذها موسى بن نصير ان صناعة القرارات خضعت للكثير من العوامل سواء جاءت بأوامر من الخلافة او تلك التي اجتهد فيها الوالي معتمدا على السياسات الاسلامية السابقة في معالجة الاوضاع وتحسين الجانب الحضاري وهي تختلف عن سياسة البيزنطيين، إذ عملوا على إزالة الرواسب التي تخلفت عند السكان جراء سياسة الطغيان والسخرة التي تعرضوا لها مِن قبل أولئك الغزاة الأجانب، وتمثلت في خوفهم وكراهيتهم لكل أشكال السيطرة فظلوا دوما يقاومون، ويثورون على البيزنطيين الذين حاولوا أنّ يسيطروا على أراضيهم وتسخيرهم في الحقول وحينما دخل العرب المسلمون الشمال الأفريقي اتجهوا منذ بداية الفتح إلى بث الحياة في السكان والعمل على تكريمهم ورفع شأنهم، وكان للولاة قبل الوالي موسى دورهم في ذلك، ولكن هذه السياسة ترسخت وتثبتت في عهد موسى بن نصير، وتأكد للسكان المحليين أنّ النظام الجديد يهدف إلى حماية حقوقهم وأموالهم مِن عدوان الحكام، وكانت هذه السياسة العربية المتمثلة بالمساواة والإخاء مع أهل البلاد هي التي جذبتهم إلى التعاون مع العرب وأطلعتهم على حقيقة الإدارة الجديدة[١]، حيث أشرك الوالي موسى بن نصير ضمن تنظيماته للسكان المحليين السكان المحليين في الجيش، حيث عين احد فرسانهم قائداً لجيش الفتح، وعدّه ساعده الأيمن في كل حملاته، وهو القائد طارق بن زياد، الذي خوله الوالي موسى بن نصير سلطات حربية وسياسية وإدارية مطلقة على ولاية طنجة وقيادة حاميتها الإسلامية[٢]، كما وضحنا سابقاً فأصبح جند العرب والبربر تحت قيادة واحدة على حد سواء[٣].

(١) السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٨٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٤٢.

(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص٧٣-٧٤.

لم ينسَ الوالي موسى بن نصير أهمية اللغة في خلق التواصل الاجتماعي ويبدو أنّ ذلك يعود الى رؤية الخلافة والولاية بضرورة تعلم اللغة لما لها مِن أهمية في كل التواصل الاجتماعي لذلك تم العمل على تعليم اللغة العربية بين البربر، وأدت الكتاتيب التي أنشأها العرب بالقرب مِن المساجد دورا كبيرا في هذا المجال إذ توافدت عليها أعداد كبيرة مِن السكان المحليين لتلقي العلم فيها وقد وجد هؤلاء في اللغة العربية سبيلا لجمع كلمتهم، لأنهم كانوا بحاجة إلى لغة يتفاهمون بها، وطريقة يكتبون بها ما يريدون التعبير عنه، ولم تكن لغتهم الأصلية لتفي بهذا الغرض، فوجدوا في لغة القرآن الكريم ضالتهم، فأصبحوا يشكلون وحدة متماسكة مع العرب في تلك البلاد(١).

ومن القرارات المهمة التي اتخذها موسى بن نصير هي ضرب السكة (النقود) في المغرب، وهو ما يُعد دليلاً واضحا على تخويل الخليفة الأموي له بذلك، تماشيا مع سياسة الدولة الأموية في تعريب السكة، واستقلال الجانب الاقتصادي، تجنّبا للاعتماد على النقود الرومية، لما يحمله ذلك مِن مخاطر على الاستقرار الاقتصادي والمعيشي، على وجه الخصوص مع اتّساع رقعة الدولة الإسلامية واتّساع مصالحها الاقتصادية(٢).

تُظهر الشواهد النقدية المتوفّرة وجود نماذج عديدة مِن الدنانير الذهبية ونقوداً النحاسية التي ضربها الوالي موسى بن نصير في دار السكة بمدينة القيروان، وذلك في أواخر القرن الأول الهجري(٣)، ويُلاحظ أنّ موسى بن نصير انتهج سياسة متدرّجة في تعريب النقود وتحويلها بالكامل إلى نقود عربية إسلامية، وهو ما يبدو استكمالاً لما بدأه سلفه الوالي حسان بن النعمان الغساني، إذ تشير المصادر إلى أنّ النقود في عهده كانت لا تزال تحمل بعض الكتابات

(١) أبن عذاري، البيان المغرب، ص٢٨٨.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٨٢؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٥٢؛ الحجّي، التاريخ الإسلامي، ص٥٥؛ شوقي، فتح المغرب العربي، ص١٤٢.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٨٣.

اللاتينية[١]، في دلالة على طبيعة المرحلة الانتقالية التي مرّ بها المغرب الإسلامي في المجال النقدي والاقتصادي، وصولاً إلى تحقيق استقلال اقتصادي نسبي عن التأثيرات البيزنطية والرومانية.

شهدت النقود التي ضربها الوالي موسى بن نصير في المغرب الإسلامي، وخاصة في دار السكة بالقيروان، تطوراً ملحوظاً في طابعها الديني والسياسي، حيث بدأت بالتدرّج في التخلص مِن الرموز والإشارات البيزنطية، مثل الألقاب واسم القيصر، واستُبدلت بعبارات إسلامية صريحة تُجسّد عقيدة التوحيد، وتمجّد الخالق عزّ وجل[٢]، تضمّن الدينار الذي ضربه موسى بن نصير عبارة التوحيد "لا إله إلاّ الله" على وجه العملة، وإثبات الرسالة الإسلامية على ظهرها بعبارة محمد رسول الله"[٣]، كخطوة واضحة لإثبات الهوية الإسلامية في المجال النقدي والاقتصادي.

ومع ذلك، استمرّت بعض بقايا التأثير البيزنطي في هذه النقود، مثل بقاء تاريخ الضرب مكتوباً باللاتينية، إلى أنّ اكتمل مشروع التعريب النقدي بالكامل بعد مغادرة موسى بن نصير إلى دمشق، وذلك في عهد والي إفريقيا إسماعيل بن أبي المهاجر، حيث أصبحت الدنانير المغربية تتطابق تماماً مع الدينار الأموي في الشكل، والوزن، والحجم، والمضمون الديني[٤]، مما مثّل استكمالاً لمسار استقلال المغرب الاقتصادي، واندماجه الكامل في المنظومة النقدية للدولة الإسلامية.

استُعملت العملة التي ضربها الوالي موسى بن نصير في المغرب على نطاق واسع، ولم تقتصر على هذه البلاد فحسب، بل امتد تداولها إلى الأندلس عند بداية دخول المسلمين

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٥٣؛ بارتولد، الخلافة العربية وسقوطها، ص٨٧.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٨٤.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٥٣.

(٤) شوقي، فتح المغرب العربي، ص١٤٣-١٤٤؛ بيضون، التاريخ السياسي للمغرب العربي، ص٧٦.

إليها بقيادة طارق بن زياد تحت إشراف موسى بن نصير[١]، ما يعكس وحدة السياسة النقدية في مناطق نفوذ الدولة الإسلامية آنذاك.

اكتمل مشروع تعريب الفلوس النحاسية في عهد موسى بن نصير، فأصبحت هذه العملات تحمل كتابات عربية خالصة خالية مِن الشارات المسيحية والكتابات اللاتينية[٢]، ومن أبرز الأمثلة على ذلك فلس ضرب في مدينة تلمسان، حيث يرى بعض الباحثين المحدثين في تاريخ المغرب أنّ هذا الفلس قد ضرب بمناسبة افتتاح موسى بن نصير لهذه المدينة سنة (٨٦هـ)، وتبرز أهمية هذه القطعة النقدية في كونها تحمل اسم مدينة الضرب مكتوبا بالخط الحجازي، فضلاً إلى صورة شخص مُلتحٍ على الطريقة العربية، وشعر رأسه منسدل إلى الأذنين ومفروق في الوسط، ويرجّح المؤرخ أنّ هذه الصورة تعود للوالي موسى بن نصير نفسه، بصفته فاتح تلمسان[٣].

وقد أصدر الوالي موسى بن نصير أكثر مِن نوع مِن المسكوكات في مناطق نفوذه بالمغرب والأندلس، حيث تشير الروايات التاريخية إلى انّه ضرب فلوساً نحاسية في طرابلس كُتب عليها اسمه "موسى" بالحروف اللاتينية "MUSE"، كما تم ضرب مسكوكات مماثلة في مدينة طنجة، وفي القيروان، ما يدل على اتساع المشروع النقدي الموحد الذي تبنّاه موسى بن نصير في إطار سياسة اقتصادية محكمة، وكانت البداية لضرب هذه العملات هي سنة (٩٢هـ)[٤].

لم يكن القائد موسى بن نصير غافلاً في تفكيره عن الخلافة بعد الانجازات التي حققها خاصة وان سياسات الامويين معروفة في عزل الولاة البارزين تخوفا من استقلاليتهم او التمرد في هذا الجزء البعيد عن المركز لذلك عمل على إرسال أكبر قدر

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٥٤.

(٢) أبو خليل، فتح المغرب العربي، ص١٤٤.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٨٥؛ بيضون، التاريخ السياسي للمغرب العربي، ص٧٧.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٥٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٨٥-٨٦ .

ممكن مِن الأموال والخراج إلى مركز الخلافة الأموية في دمشق، في محاولة منه لتجنّب إثارة الشكوك أم سوء الظن به، ويبدو أنّ هذا الدافع لعب دورا رئيسيا في اندفاع موسى بن نصير نحو التوسّع العسكري في بلاد البربر، أحيانا دون مبرّر عسكري أم ديني واضح، إذ كان الهدف غير المعلن يكمن في تحصيل الغنائم وإرسالها إلى الخلافة لتعزيز مكانته السياسية والإدارية(١).

لقد شكّلت نجاحات الوالي موسى بن نصير في مجال صناعة القرارات الحضارية إحدى الركائز الأساسية في تدعيم الاستقرار الاقتصادي للمغرب الإسلامي، حيث مثّل إقدامه على ضرب أول عملة إسلامية، سواء دنانير ذهبية أم فلوس نحاسية، خطوة استراتيجية لتسهيل المعاملات الاقتصادية، مِن دفع رواتب الجند، وتغطية حاجات السكان، إلى تسهيل أنشطة البيع والشراء، وهو ما ينسجم مع أهمية النقد في تدعيم الجوانب التجارية والاقتصادية للدولة الإسلامية آنذاك(٢).

كما كان لعبد العزيز بن مروان، والي مصر وأحد الشخصيات النافذة في الدولة الأموية، دور محوري في تثبيت موسى بن نصير على رأس قيادة جيوش المغرب، وهو ما يفسّر حرص موسى على ترسيخ مكانته لدى مركز الخلافة مِن خلال الإداء المالي والعسكري الناجح(٣).

ومن جهة أخرى، لابد ان نذكر ان موسى بن نصير اعتمد إدارياً على أبنائه الذين رافقوه إلى المغرب، حيث كلفهم بمهام متعددة تعكس ثقته العائلية بهم ورغبته في بسط السيطرة الإدارية المحكمة على الأقاليم المفتوحة(٤).

---

(١) شوقي، فتح المغرب العربي، ص١٤٨؛ بيضون، التاريخ السياسي للمغرب العربي، ص٨٢.

(٢) شوقي، فتح المغرب العربي، ص١٤٤؛ بيضون، التاريخ السياسي للمغرب العربي، ص٧٨.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٥٦.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٨٧.

يتبيّن مِن خلال هذه الشواهد أنّ القيادة الاسلامية في ايام موسى بن نصير لم تقتصر في قراراتها على الجانب العسكري، بل حرصت على صناعة قرارات حضارية شاملة، جمعت بين العمران، والتعليم، وتطوير البنية التحتية، والتكامل الاجتماعي، وهو ما أسّس لمغرب إسلامي مستقرّ ومزدهر، يشكل قاعدة انطلاق للفتوحات اللاحقة، خاصة فتح الأندلس.

شكّل المغرب الإسلامي منذ الفتح العربي جزا مهما مِن مشروع التوسع الحضاري للدولة الإسلامية، لما يتمتع به مِن موارد اقتصادية، اذ تم العمل على تنظيم الموارد، وتنشيط الاقتصاد(١)، وهذا يدل على أنّ صناعة القرار شملت الجوانب الادارية والاقتصادية والدينية بحيث لم يعد الفتح مجرّد نشاط ديني يهدف إلى نشر الإسلام فحسب، بل أصبح جزءاً مِن مشروع اقتصادي متكامل يخدم احتياجات الدولة ويعزز مواردها، فقد أدرك صانعو القرار أنّ استدامة الدولة الإسلامية تحتاج إلى تأمين مصادر الثروة، والتحكّم في طرق التجارة، واستغلال الأراضي الزراعية والموارد الطبيعية التي تزخر بها بلاد المغرب.

وهكذا، أصبح القرار المتعلّق بالمغرب جزءاً مِن استراتيجية تهدف إلى دمجه ضمن المنظومة الاقتصادية للدولة الإسلامية وبالتحديد الامويين، بما يضمن تدفّق الموارد ويُعزّز السيطرة على الأطراف، وهو ما شكّل إحدى الركائز الأساسية في صناعة القرار الحضاري خلال تلك المرحلة.

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١١٢؛ جاسم، الانجازات الحضارية والفكرية للوالي موسى بن نصير في المغرب والاندلس، ص٢٣٢.

الخاتمـــــة

الخاتمة

أنَّ هذه الدراسة المتواضعة عن صناعة القرار في المغرب خلال السنوات (٢٢-٩٢هـ) اظهرت العديد مِن النتائج يمكن إجمالها بالأمور التالية:

أولاً: يتضح مِن خلال استقراء النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أنّ صناعة القرار ليست مجرد عملية عقلية أم إدارية بحتة، بل هي منظومة متكاملة تتداخل فيها الأبعاد العقلية، الإيمانية، الأخلاقية والاجتماعية، وتتمحور حول مبدأ التوازن بين استخدام العقل، وتحمل المسؤولية، والتوكل على الله، والالتزام بالمشورة الجماعية، خاصة في القرارات المصيرية ذات البُعد المجتمعي أم السياسي، فالقرآن الكريم أرسى قواعد صناعة القرار الرشيد مِن خلال التأكيد على استخدام التفكير والتأمل والعقل، بوصفه مناط التكليف والتمييز بين الصواب والخطأ، كما يظهر في دعواته المتكررة للتفكر والتدبر وتبرز الآيات أهمية التدرج المنهجي في اتخاذ القرار، بدءاً بالعزم المبني على الدراسة والتأمل، ومروراً بالتوكل الذي لا يلغي الأسباب، وانتهاءً بتحمل الإنسان مسؤولية قراراته ونتائجها، أمّا السنّة النبوية، فقد جسّدت هذا المنهج بصورة عملية في سيرة النبي محمد (ﷺ)، الذي كان مثالاً للقائد الذي يجمع بين الحكمة والشورى، ويوازن بين المصلحة الفردية والجماعية، ويُحسن قراءة المواقف والظروف، ويُقدّر الأبعاد الأخلاقية والشرعية في كل قرار.

ثانياً: أظهرت مرحلة صدر الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي تطوراً واضحاً في صناعة القرارات، إذ تأسس القرار في عهد النبي محمد (ﷺ) على الوحي، الشورى، والمصلحة العامة، مما أسهم في بناء دولة مستقرة وقوية، أمّا بعد وفاته، فقد شهدت صناعة القرار تحولات جوهرية، إذ انتقلت القرارات تدريجياً مِن الاعتماد على النصوص الإلهية إلى الاجتهاد البشري الذي تباينت مخرجاته بين الخلفاء، وتأثر أحياناً بالمصالح القبلية والمحسوبيات، كما في خلافة عثمان بن عفان، ومع تولي الإمام علي (عليه السلام)، عادت صناعة القرار إلى مرتكزاتها الشرعية، إذ اتسمت بالعدل، المشروعية، والحكمة، سواء في القرارات السياسية أم العسكرية، مع الالتزام بمبدأ عدم المبادرة إلى القتال إلاّ دفاعاً عن

الحق والوحدة الإسلامية، وبذلك، تكشف هذه المرحلة عن أهمية القيادة الرشيدة المبنية على النصوص الشرعية والمصلحة العامة في استقرار الأمة، في مقابل الأضرار التي تُنتجها الانحرافات عن تلك الأسس.

ثالثاً: شهد المغرب في الفترة مِن (٢٢ إلى ٩٢هـ) تحولات سياسية وإدارية مهمة، حيث لعبت صناعة القرار دورا محوريا في توجيه الفتح الإسلامي للمنطقة، اتسمت القرارات في تلك المرحلة بتنوعها بين العسكرية والسياسية والإدارية، مما يعكس تعقيد التحديات وتعدد الفاعلين، وكان الموقع الجغرافي الاستراتيجي للمغرب، كامتداد طبيعي للإسلام نحو الغرب ومفتاحا للأندلس، عاملاً حاسماً في اتخاذ قرار الفتح، إذ وفّر الموارد الاقتصادية والظروف الميدانية المناسبة لنجاح الحملات، وقد جمعت السياسة الإسلامية بين القوة العسكرية والتنظيم الإداري المرن، مع مراعاة البعد السياسي في ضبط العلاقات مع القوى المحلية والإمبراطوريات المجاورة، مما أسهم في ترسيخ السيطرة الإسلامية على المغرب.

رابعاً: أنّ صناعة القرار السياسي والعسكري في سياق الفتح الإسلامي للمغرب، اتسمت بالتكامل بين سلطة الخليفة، ودور الولاة، والقادة العسكريين، فضلاً عن التفاعل مع المجتمع المحلي والجند، فقد كانت هناك آليات متوازنة بين اتخاذ القرار الفردي السريع في الحالات الطارئة، وبين المشاورة الجماعية في الأمور التي تتطلب تدبرا وحكمة، كما أظهرت التجربة الميدانية أنّ القادة العسكريين مثل عقبة بن نافع وعمرو بن العاص لعبوا دوراً محورياً في صياغة وتنفيذ القرارات الاستراتيجية، كما أنّ الخلافة كانت الجهة العليا التي توفق بين مختلف المصالح، وتتخذ القرار النهائي، حتى ولو أبدت تحفظاً أحياناً، كما في حالة الخليفة عمر بن الخطاب الذي رفض التوغل في الداخل المغربي خشية المجازفة، في المجمل، تمثل صناعة القرار في هذه المرحلة أنموذجاً متقدماً للتنسيق المؤسسي والسياسي والعسكري، مما مهد لنجاحات الفتح وتثبيت الوجود الإسلامي في شمال إفريقيا.

خامساً: لم يكن القرار السياسي يعتمد فقط على القوة العسكرية كوسيلة للفتح والسيطرة، بل تميز بالموازنة بين السياسة العسكرية والدعوة إلى الإسلام، إذ كان يتم التفاوض وعقد معاهدات الصلح، ومنح الأمانات، ما أدى إلى دخول أعداد كبيرة مِن البربر الإسلام طوعا، مما ساعد في تثبيت الحكم وتقليص فرص التمرد. وكان تعيين زعماء القبائل بعد إسلامهم كولاة على مناطقهم إحدى سياسات استدامة الولاء واستقرار الحكم.

سادساً: أظهرت الدراسة ان صناعة القرار العسكري في بلاد المغرب خلال المراحل الاولى من عمليات الفتح المنظمة وجود ضعف في التخطيط الاستراتيجي واعتمادها على قرارات فردية واندفاعية، ما تسبب في نجاحات ميدانية مؤقتة وهزائم مفاجئة، نتيجة للتسرع وضعف التنسيق بين القادة المحليين والقوات الإسلامية، إلى جانب تأثير الخلافات الداخلية وتعقيد العلاقات مع القبائل المحلية، مع ذلك، تميزت المرحلة المتأخرة بتحول جذري في آليات اتخاذ القرار العسكري، حيث برز نظام متكامل يجمع بين مركزية السلطة والخبرة القيادية القادرة على استشراف المواقف والتكيف مع المتغيرات الميدانية والسياسية، مع توظيف خطط مرنة تتضمن التوغل الداخلي وبناء قواعد عسكرية ثابتة، إلى جانب سياسة ناجحة لكسب ودّ القبائل ودمجها في النظام الإسلامي، هذا التحول أتاح استقراراً أمنياً وسياسياً في المغرب الإسلامي، وعزز مِن قدرة الخلافة الأموية على تثبيت سيطرتها، مؤكدا أنّ كفاءة القيادة المركزية والتخطيط الشامل كانا العاملين الحاسمين في نجاح الحملات العسكرية واستعادة التوازن في الميدان.

سابعاً: أنّ صناعة القرار الإداري في المغرب الإسلامي في هذه المرحلة كانت مزيجاً بين المركزية السياسية والاعتماد على الكفاءات العسكرية والإدارية، فضلاً عن استثمار العلاقات الشخصية والولاءات السياسية، مع محاولة دمج المجتمع المحلي في إطار الدولة الإسلامية، وهو ما ساعد على ترسيخ دعائم الحكم الإسلامي في منطقة كانت ذات تركيبة اجتماعية وثقافية معقدة، كما اتسمت القرارات الادارية في بعض المرات بطابع

الفردية البعيد عن المشاورات المؤسسية، مع إبراز دور الشخصيات القوية مثل معاوية بن حديج وعقبة بن نافع في الفتح والتنظيم، اعتمدت الإدارة الأموية سياسة دمج القبائل البربرية وتوزيع الأراضي لتعزيز التماسك، فضلاً عن قرارات استراتيجية مثل تأسيس القيروان وتعريب الإدارة، ما يدل على رؤية متقدمة تمزج بين المركزية والكفاءة واحتواء المجتمع المحلي لضمان استقرار الحكم، وهذه الرؤية في اتخاذ هذه القرارات لم تأت عفوية انما استندت على الاساليب الاسلامية المتبعة في المراحل التاريخية السابقة .

ثامناً: أظهرت القرارات المتتالية التي اتخذها القادة مثل أبي المهاجر دينار، وزهير بن قيس البلوي، وحسان بن النعمان، وموسى بن نصير، أنّ المشروع الحضاري الإسلامي في المغرب كان قائماً على مراحل متدرجة، تراعي خصوصية المجتمع المحلي، وتستثمر تناقضاته الداخلية، وتدمج أفراده ضمن بنية الدولة الجديدة، مع التركيز على تطوير البنية التحتية، مثل بناء الحصون، وتطوير المدن، وتأهيل الطرق، وإحياء المراكز الحضرية القديمة.

تاسعاً: اوضحت صناعة القرار في المغرب الإسلامي انها جزءاً أصيلاً مِن منظومة القرار السياسي والعسكري للدولة الإسلامية، حيث لم يُنظر إلى الفتح بوصفه هدفاً دينياً بحتاً، بل كوسيلة استراتيجية للسيطرة على الأراضي والموارد وتوسيع النفوذ الاقتصادي للدولة، وقد لعبت توجيهات الخلفاء، واختيارهم للقادة الأكفاء، وعلى رأسهم موسى بن نصير، دوراً حاسماً في تحويل المغرب إلى قاعدة مستقرة وآمنة، شكّلت نقطة انطلاق نحو الأندلس.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً- قائمة المصادر الاولية:

ابن الأثير الجزري، علي بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ)

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٢. الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

الأدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ)

٣. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

البكري، أحمد بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ)

٤. المسالك والممالك، تح: محمد بن خشن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥م.

البلاذري، أحمد بن يعقوب (ت٢٧٩هـ)

٥. أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٦٨٥هـ)

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

الجوهري، ابو نصر أسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)

٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، دار الملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

📖 **الحافظ العراقي، محمد بن علي (ت٨١٧هـ)**

٨. تذكرة الحفاظ، تح: حسين علي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

📖 **ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)**

٩. جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٦٢م؛ وصورتها. أعادت طباعتها دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

📖 **ابن أبي الحديد، محمد بن أحمد (ت٦٥٥هـ)**

١٠. شرح نهج البلاغة، تح: محمد مصطفى النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

📖 **الحميدي، عبد الله بن الزبير (ت٢١٩هـ)**

١١. مسند الحميدي، دار الكتب العلمية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

📖 **ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)**

١٢. فضائل الصحابة، تح: عبد الله الدارمي، دار الكتب العلمية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

١٣. مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

📖 **ابن حوقل، محمد بن عبد الله (ت٣٦٧هـ)**

١٤. صورة الأرض، تح: محمد فريد وجدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.

📖 **ابن الخطيب، عبد الرحمن بن محمد (ت٧٧٦هـ)**

١٥. الأحاطة في أخبار غرناطة، تح: عبد القادر محمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م.

📖 **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ)**

١٦. تاريخ ابن خلدون، تح: محمد فؤاد، دار الكتاب العلمية، بيروت.

١٧. المقدمة، تح: محمد فؤاد، دار الكتاب العلمية، بيروت.

📖 **ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)**

١٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٦٨م.

📖 **أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)**

١٩. سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (د. ت).

📖 **الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت٦٩٩هـ)**

٢٠. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

📖 **ابن أبي دينار، أحمد بن أبي دينار القيرواني (بعد ١٠٩٦هـ)**

٢١. المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تونس: دار الغرب الإسلامي.

📖 **الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)**

٢٢. سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

📖 **الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)**

٢٣. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

📖 **ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم (ت٢٣٨هـ)**

٢٤. مسند إسحاق بن راهويه، دار الكتب العلمية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

📖 **ابن سعد، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)**

٢٥. الطبقات الكبرى، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

الشريف المرتضى علي بن الحسين بن موسى الموسوي (ت٤٣٦هـ)

٢٦. الشافي في الإمامة، تح: السيد محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة الصادق، طهران، ١٤١٥هـ.

أبن شهر آشوب، ابو جعفر محمد بن علي (ت٥٨٨هـ)

٢٧. مناقب آل أبي طالب، تح: لجنة مِن اساتذة النجف الأشرف، (د. ط)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٧هـ/١٩٥٦م.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ت٢٣٥هـ)

٢٨. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، القاهرة: دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت).

الصافي، محمد بن خلف الصافي التفتازاني (ت٩٨١هـ)

٢٩. تفسير الصافي، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)

٣٠. الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ)

٣١. علل الشرائع، تح: عبد الواحد الموسوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)

٣٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: مجموعة مِن المحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

📖 **الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)**

٣٣. تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٣٤. جامع البيان في تفسير القرآن، تح: محمود محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

📖 **الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)**

٣٥. الأمالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣٦. تلخيص الشافي، تح: السيد حسين بحر العلوم، دار المحبين، قم، ط٢، ١٤١٦هـ.

📖 **الطيالسي، سليمان بن داود (ت٢٢٤هـ)**

٣٧. مسند الطيالسي، تح: محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

📖 **ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)**

٣٨. التحرير والتنوير، دار هجر، تونس، (د. ط)، بيروت، ١٩٨٩م.

📖 **ابن عبد البر، عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٦٣هـ)**

٣٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

📖 **ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/٨٧١م)**

٤٠. فتوح مصر واخبارها، تح: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥ م.

📖 **ابن عبد ربه، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٣٢٨هـ)**

٤١. العقد الفريد، تح: محمد عثمان الخشت، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٩م.

📖 **ابن عذاري، أحمد بن عبد الواحد (ت٦٣٠هـ)**

٤٢. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: عبد الله عدنان، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٤م.

📖 **ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت نحو ٣٩٥هـ)**

٤٣. مقاييس اللغة. تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

📖 **ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت٣٥١هـ)**

٤٤. تاريخ علماء الأندلس. تح: جمال الدين القفطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

📖 **الفيروز آبادي، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت٤٠٣هـ)**

٤٥. القاموس المحيط، تح: مكتب تح التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

📖 **القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)**

٤٦. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تح: مجموعة مِن المحققين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

📖 **القيرواني، رقيق بن عبد الله (ت ٤٢٥م)**

٤٧. تاريخ أفريقية والمغرب، تح: منجي الكعبي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، تونس، ط٢، ٢٠٠٥م.

📖 **ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ)**

٤٨. الإمامة والسياسة، تح: طه محمد الزيني، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٠م.

٤٩. المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

📖 **القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)**

٥٠. الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

📖 **القيرواني، أبو بكر بن علي المالكي (ت٤٤٠هـ)**

٥١. تاريخ إفريقيا والمغرب، تح: محمد حسين، دار العربية للكتاب، تونس وطرابلس، ١٩٨١م.

📖 **ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)**

٥٢. البداية والنهاية، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٩٦٥م.

٥٣. تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٥٤. السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

📖 **ابن الكلبي، مضرّج بن معبد الكلبي (ت٢٠٤هـ)**

٥٥. نسب معد واليمن الكبير، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

📖 **الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)**

٥٦. الكافي، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٢، طهران، ١٤٠٧هـ.

📖 **الكندي، محمد بن يوسف الكندي (ت٣٥٠هـ)**

٥٧. كتاب الولاة وكتاب القضاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

📖 **مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)**

٥٨. الموطأ، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

📖 **المالكي، علي بن سعيد المالكي (ت٤٧٨هـ)**

٥٩. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

📖 **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ)**

٦٠. الأحكام السلطانية والولايات القضائية، تح: محمد عبد الله عنان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

📖 **المجلسي، محمد باقر (ت١١١٠هـ)**

٦١. بحار الأنوار، تح: محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

📖 **المراكشي، عبد الواحد بن علي بن محمد (ت٦٤٧هـ)**

٦٢. البيان والتحصيل في تاريخ ملوك المغرب، تح: عبد العزيز الداودي، دار القلم، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

📖 **المزي، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت٧٤٢هـ)**

٦٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

📖 **المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)**

٦٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٥م.

📖 **المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ)**

٦٥. الإرشاد إلى تح مسائل الإمامة، تح: علي الأصغر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط١، طهران، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٦٦. الاختصاص، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

📖 **المقدسي، شمس الدين المقدسي (ت٣٨٠هـ)**

٦٧. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: عبد القادر عبد السلام، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

📖 **المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ)**

٦٨. نفح الطيب مِن غصن الأندلس الرطيب، ط١، تح: محمد عبد الله عنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

📖 **المقريزي، السيد جمال الدين أبو الفداء (ت٨٤٥هـ)**

٦٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تح: محمد فريد وجدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

📖 **مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)**

٧٠. الجامع الصحيح (المشهور بـ صحيح مسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

📖 **ابن المنذر، عبد الله بن أحمد المنذر المدني (ت٤٤٨هـ)**

٧١. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد بن عبد الواحد الكتاني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

📖 **ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ)**

٧٢. لسان العرب، (د. ط)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

📖 **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت٧٣٢هـ)**

٧٣. نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: محمد عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

📖 **ابن هشام، علي بن عبد الملك (ت٢١٨هـ)**

٧٤. السيرة النبوية، تح: شعيب الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

📖 **الهمداني، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٣٣٤هـ)**

٧٥. الإكليل في أخبار اليمن وسكانها، تح: عبد العزيز الحمادي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

📖 **الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)**

٧٦. أعلام الورى في خطط البلاد والنجوم الهدى، تح: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٧٧. المغازي. تح: مارسدن جونز، دار الأعلمي، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

📖 **ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)**

٧٨. معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

📖 **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٨٤هـ)**

٧٩. البلدان، تح: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.

٨٠. تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، دار صادر، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

📖 **أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ)**

٨١. كتاب الخراج، تح: محمد خير رمضان يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٨٢. فتوح البلدان، تح: أحمد عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

ثانياً- المراجع الثانوية العربية والمعربة:

📖 **باشا، عبد المقصود**

١. موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

📖 **بيرني، إرنست (ت١٩٤٠م)**

٢. التاريخ الروماني القديم، ترجمة: فلان بن فلان، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.

📖 **بيضون، محمد**

٣. التاريخ السياسي للمغرب العربي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

📖 **الثعالبي، عبد العزيز**

٤. تاريخ شمال إفريقيا: مِن الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تقديم ومراجعة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

📖 **العسكري، مرتضى محمد رضا**

٥. عبد الله بن سبأ. بيروت: دار المحجة البيضاء، (د. ط).

٦. خمسون ومائة صحابي مختلق، دار التوحيد للنشر، قم، ط السادسة، ١٤١٤هـ.

📖 **العناني، سعيد**

٧. دراسات في تاريخ المغرب، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.

٨. فجر تاريخ الأندلس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

📖 **الحجي، عبد الرحمن علي**

٩. التاريخ الأندلسي مِن الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٥م.

📖 **الحكيم، محمد**

١٠. دور الفرد في الاقتصاد الإسلامي. بيروت: دار العلوم، (د. ط)، (د. ت).

📖 **الصلابي، صالح**

١١. قصة بدء الخلق وخلق آدم (عليه السلام)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

📖 **الصابي، صالح**

١٢. قصة بدء الخلق وخلق آدم (عليه السلام)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت).

📖 **الصدر، محمد باقر**

١٣. الإسلام يقود الحياة: الشورى في الإسلام، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٥م.

١٤. المدرسة القرآنية، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، (د. ط).

📖 **سالم، عبد العزيز**

١٥. تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

📖 **السعودي، محمد عبد الغني**

١٦. الوطن العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

📖 **السعيد، فواز عبد الرحيم**

١٧. صناعة القرار السياسي في الدولة الإسلامية ١، دراسة تحليلية، مكتبة عين الجامعة، ط ١، ٢٠١٨م.

السلاوي، أحمد بن خالد الناصري

١٨. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

السواط، محمد، السندي، جعفر

١٩. الإدارة العامة. القاهرة: دار الشروق، (د. ط)، (د. ت).

شيخو، بولس

٢٠. دائرة المعارف المسيحية الشرقية، إعداد وتحرير: البروفسور بولس شيخو، دار الفارابي، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

شيت خطاب، محمود

٢١. قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

شبار، سعيد

٢٢. الاستخلاف والعمران في ضرورة الوعي بقيم وسنن النهوض والسقوط، بيروت، دار المعرفة، (د. ط)، (د. ت).

طه، عبد الرحمن

٢٣. الفتح والاستقرار في المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

فتحي، محمد

٢٤. صناعة القرار وتحليل وحل المشكلات، ط١، ٢٠٠٨م، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر.

القاسمي، عادل

٢٥. أفريقية والمغرب مِن الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العباسي، تونس، الدار التونسية للكتاب، ١٩٩٨م.

📖 **المزيدي، عبد الله**

٢٦. دولة الأدارسة: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٧م.

📖 **المطوي، محمد العروسي بن عبد الله بن المبروك بن الطاهر المامي (ت٢٠٠٥م)**

٢٧. سيرة القيروان، دار العربية للكتاب، تونس، ط١، ١٩٨٦م.

📖 **الملحم، محمد بن ناصر بن أحمد**

٢٨. سبيطلة مِن مواقع الإسلام الحاسمة (٢٧-٢٩هـ/٦٤٧-٦٤٩م): دراسة تاريخية تحليلية للأحداث الواردة فيها، مكتبة نور، ط١، ٢٠٠٥م.

📖 **المقريزي، جمال الدين أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد (ت٨٤٥هـ)**

٢٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تح: محمد فريد وجدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

📖 **مؤنس، حسين**

٣٠. الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٣١. فتح العرب للمغرب، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥م.

📖 **محمد، عبد الله**

٣٢. الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ت).

📖 **محمد علي السلمي**

٣٣. اتخاذ القرارات الإدارية: الأسس – العمليات – الوسائل، جدة، دار العلوم، (د. ط)، (د. ت).

📖 **محمد موسى**

٣٤. المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القيروان حتى انتهاء ثورات الخوارج، بيروت، دار الفكر، (د. ت).

📖 **زغلول، سعد زغلول عبد الحميد**

٣٥. تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر، ط١، ١٩٩٣–١٩٩٨م.

📖 **كوريا، خورخي**

٣٦. تاريخ إسبانيا، ترجمة: فلان بن فلان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.

📖 **لقبال، محمد بن عبد الكريم**

٣٧. المغرب الإسلامي: دراسة تاريخية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٩م.

📖 **يحيى، عبد الله**

٣٨. القرآن والعمران: قراءة في المفاهيم المؤسسة، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩١٧م.

📖 **الوردي، علي**

٣٩. مهزلة العقل البشري، لندن، دار كوفان، ط١، ١٩٩٤م.

📖 **كالو، محمد، وماهر أبو سعد**

٤٠. السلوك التنظيمي: مدخل بناء المهارات، الرياض، دار المريخ للنشر، (د. ط).

ثالثاً– الرسائل:

١. الساعدي، نور مهدي كاظم، ورثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، ٢٠١٢.

٢. آل مفتاح، فاطمة، اساليب اتخاذ القرارات اثناء الأزمات، رسالة ماجستير، دراسة ميدانية على هية القيادات الادارية، السعودية، ٢٠٢٤م.

٣. مناتي، كريم ماهود، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، العصر الاموي (٤١–١٣٢هـ)، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٩.

رابعاً- البحوث والمجلات:

١. أليكس منتز وكارل دي روين، فهم صنع القرار في السياسة الخارجية، كامبريدج، دار نشر جامعة كامبريدج، ط١، ٢٠١٠م.

٢. جاسم، لطيف جاسم، الانجازات الحضارية والفكرية للوالي موسى بن نصير في المغرب والاندلس، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية جامعة بابل / العدد ١١، آذار ٢٠١٣م.

٣. الرفايعة، عمر علي، العوامل المؤثرة في صناعة القرار واتخاذه لدى مديري المدارس في الريف الاردني، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد الثالث والاربعون، ج٤، ٢٠١٩م.

٤. الشمري، خليل عثمان حميد، الطرق التجارية في بلاد المغرب العربي حتى مدينة الفسطاط، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، ع ٥٢، كانون الاول، ٢٠٠٢م.

٥. محفوظ، محمد جمال الدين، سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في القيادة وإدارة الحرب، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، ع٣، ١٩٨٨، بحث منشور.

Abstarac

Historical studies of any nation are among the most significant fields of knowledge that document the political, economic, military, and social transformations that the nation has undergone, while simultaneously reflecting the paths of its civilizational development. In this context, the cities of the Islamic West, particularly the Maghreb region, emerged as active centers in building Arab-Islamic civilization. These regions witnessed a wide intellectual movement and significant scholarly and cultural activity, in which their jurists, scholars, and prominent figures contributed to enriching Islamic culture and strengthening the roots of civilizational interaction between the East and the West.

The early Islamic era in the Maghreb, especially during the period of the conquest and the era of governors (22–92 AH), represented a decisive foundational stage in the region's history. During this period, the features of political, military, and administrative decision-making became clearly evident, reflecting the nature of the challenges faced by the Islamic state in its efforts to establish authority and expand its influence. Caliphs, leaders, and governors played a central role in making fateful decisions, which were not spontaneous or random, but rather the result of careful studies, rational assessments, and a comprehensive vision of the requirements of the phase. This reflects the depth of political and administrative awareness among the decision-makers of that era.

Despite the numerous historical writings that have addressed the events of the Islamic conquest of the Maghreb, most of them have not addressed the concept of decision-making as an independent, specialized topic within the Moroccan experience, Therefore, this study seeks to shed light on this important dimension by tracing the emergence and development of political, military, administrative, and civilizational decision-making in the Maghreb during that period, highlighting the mechanisms and determinants of decision-making, and its impact on the course of historical events.

The importance of this study lies in its attempt to delve into the depths of the early Islamic periods to highlight the common elements in the historical continuity of political and military decision-making, both internally and externally. It also sheds light on the nature of the decisions that accompanied the major military campaigns, which were issued under the direct guidance of

the caliphs, starting from the era of the Rashidun Caliphate, through the period of conquest, and the era of governors in the Maghreb region.

The motivations behind choosing this topic stem from a genuine academic desire to understand the mechanism of decision-making during the Islamic conquest, with all its political, military, administrative, and civilizational dimensions - aspects that have not been explicitly or independently addressed in previous studies. The researcher noticed the absence of independent studies concerned with the concept of decision-making in the context of the Islamic conquest of the Maghreb, despite the abundance of studies dealing with leadership figures, conquests, and major battles. However, most of these studies were limited to recounting events without deeply analyzing how decisions were made and the role of caliphs and leaders in formulating and implementing them.

The researcher faced several challenges during the preparation of this study, most notably: the absence of previous studies that directly address decision-making in the Maghreb from an analytical perspective, as most research has focused on highlighting events and personalities without delving into the nature of decisions, their stages, and circumstances. Moreover, many.

sources and references lack clarification of the role of decision-makers in the Islamic conquest, as they merely present a sequence of historical events without referencing the intellectual and organizational structures that led to decision-making. Additionally, there is a lack of studies addressing administrative and civilizational decision-making, whether at the political or military levels. This prompted the researcher to rely on her analytical reading of historical events and to trace the positions and decisions taken by caliphs and leaders in managing military campaigns - from appointing or dismissing leaders to their directives during the campaigns and finally determining the fate of conquered territories in a manner that serves the supreme interest of the Islamic state.

Accordingly, this study is considered one of the important and rare studies in the field of historical research, as it seeks to present a new, integrated reading of decision-making during the Islamic conquest of the Maghreb. It highlights the organizational structure of the Islamic leadership mindset within the framework of the interaction between politics and religion, war and administration, and thought and implementation.

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Maysan
College of Education
Department of History

Decision-Making in the History of Islami Maghreb

22–92 AH / 642–710 AD

Historical Study

A thesis submitted by

Hajar Behzad Hussein

To the Council of the College of Education – University of Maysan
In partial fulfillment of the requirements for the degree of
Master of Arts in Islamic History

Supervisor

Professor Dr.

Ghufran Mohammed Aziz Al-Daami

1446 AH **2025 AD**